قواعد تأصيلية في توحيد الألوهية

كتبه: أبو عبد الله
محمد أنور مرسال

النسخة الأولى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قواعد تأصيلية في توحيد الألوهية

كتبه: أبو عبد الله
محمد أنور محمد مرسال

دار التوحيد للتراث
الإسكندرية

الطَّبْعَةُ الأولى

1444 هـ ، 2023م

رقم الإيداع:/

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

التوحيد للتراث
الإسكندرية - الورديان
بجوار مسجدي: أبي بكر الصديق وناصر السنة

مقدمة المصنِّف ((عفا الله عنه))

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الكريم الجواد، الذي خلق الإنسان من نطفة، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، يسمع دعاء الخلائق ويجيب، يُؤْنس الوحيد، ويَهدي الضال الشريد، ويُذهب الوحشة عن الغريب، يغفر لمن استغفره ويرحم من استرحمه، ويُصلح بفضله المعيب، ويستر العصاة، ويمهل البغاة، ومن تاب منهم قُبِلَ وأثيب، يصفح ويعفو عن الذنوب، ويمهل العاصي ليتوب، يستر العيوب، ويكشف الكروب، ويجزي عن العمل القليل بالجزيل، نحمده حمد الراغبين المنيبين المنكسرين.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، النبي الكريم، الرسول الأمين، الذى أدى أمانته، وبلغ رسالته، وادخر دعوته شفاعة لأمته، أرشدنا لطريق الهداية، وحذرنا طريقَ الظلمات والغواية، صلوات ربي وسلامه عليه، أما بعدُ:

فإنّ أعظم المقاصد وأجلّ الغايات وأنبل الأهداف:- توحيدُ ربِّ العالمين رب السماوات والأرَضينَ،مالك يوم الدين، والإقرار له بالوحدانية، وإفراده -تعالى- بالعبودية،وبالذّل والخضوع والانكسار وإخلاص النية، وإسلام الوجه خضوعًا وتذلُّلًا رغبًا ورهبًا، خوفًا ورجاءً، لرب البريّة، والبراءةُ من الشرك كلِّه كبيره وصغيره ،فهذه هي الغاية العظمى التي خلق الله الخلق وأوجدهم لأجلها، قال الله-تعالى-:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهي الغاية التي أرسل

الله –تعالى– لأجلها رسله الكرام وأنزل كتبه العظيمة.

وتوحيد الله هو أعظم ما تُفنى فيه الأعمار، وقد مَنَّ الله على عبده الفقير بصياغة متن في علم التوحيد على وَفْقِ مذهب أهل السنة والجماعة، وقد سميته:((**المغني المفيد في علم التوحيد**)) [1]، وفيه جزء يتعلق بتوحيد الألوهية، ومطلع هذا الجزء الكلام عن قواعد وضوابط تأصيلية في توحيد الألوهية، ووجدت –بحول الله– هذه القواعد والضوابط مناسبة للمرحلة الأولى، مقدِّمةً للطلبة في هذا العلم الجليل وقمت –بفضل الله وحده– بشرحها للطلبة في المعهد، وبعد الانتهاء من شرحها، استحسنها الطلاب، وطلب مني عدد منهم جَمْعَها ونشرها بينهم لتكون عونًا على المذاكرة، فأعان الله عبده الفقير على ذلك، فجمعتها وقمت بتخريج الأحاديث، وعزو الأقوال لمصادرها (2).

وها هو –بفضل الله وحده– بين يديك، فإن انتفعتَ به فلا تنسَ كاتبه بدعوة بظهر الغيب، وإن وجدت فيه عَطَبًا أو خللًا فانصح ولا تخجلْ.

واعلم أن هذا جُهْدُ المُقِلِّ، مع ضعف بضاعتي وقلة حيلتي.

((فإن يكُ صوابٌ فمن الله،وإن يَكُ خطأٌ فمني ومن الشيطان،والله ورسوله بريئان)) [3]، ورحم الله مَن بصرني بعيبي؛ إذ **((المؤمن: مرآة المؤمن))** [4] ،

---

(1) ـ يسر الله إتمامه وظهوره والنفع به إخلاصًا لوجهه الكريم.

(2) ـ **تنبيه مهم:** في بعض الأحيان في العزو لبعض الكتب تجد علامة: "ح" والمقصود بها: أن هذا المرجع من المكتبة الشاملة الحديثة، وهذا قليل جدًا.

(3) ـ **صحيح:** وهو من كلام ابن مسعود: رواه أبو داود (2116)، وورد نحوه عن الصِّدِّيق – رضي الله عنهما-.

(4) ـ **حسن:** رواه البخاري في (الأدب المفرد) (238).

و((الدين: النصيحة)) [1].

هذا، وأسأل اللهَ أنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به والمسلمين؛ إنه جواد كريم، وهو بالإجابة كفيل، وهو حَسْبُنا ونِعم الوكيلُ.

وصلِّ اللهم وسلم وبارِك على محمد -صلى الله عليه وسلم-،وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه: أبو عبد الله السكندري المصري

محمد أنور محمد مرسال

الاثنين/ السادس عشر من جمادى الآخر(1444 هـ)

الموافق: 9 /يناير/ 2023 م

(1) ـ رواه مسلم (55)، وأبو داود (4944)، وغيرهما.

((تمهيد))

هذا تمهيد بين يدي الكلام على القواعد، وهذا التمهيد فيه مسائل:

المسألة الأولى ـ ((الغرض من اختيار هذا الموضوع)):

((أولًا)):

رضا الله ـ فإن أفضلَ ما يُتقرب به إلى الله تعالى:- العلم، لا سيما علوم العقيدة، قال الله -تعالى-:﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾[محمد:19].

فنسأل الله -عز وجل- أن يرضى عنَّا بهذه الكلمات، وأن يتقبلها منَّا، وأن يجعلها في ميزان الحسنات، وأن يوفقنا فيها للإخلاص، وإلى ما يحبه ويرضاه، وأن يستخرج منا فيها ما يرضيه عنا.

((ثانيًا)):

من أهداف اختيار الموضوع: نشر العقيدة الصحيحة، بعيدًا عن عطب الطوائف والمدارس المخالفة لأهل السنة والجماعة في هذا الباب، حتى يلقى العبد ربه بعقيدة النبي-صلى الله عليه وسلم-، وعقيدة الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من أهل السنة والجماعة.

((ثالثًا)):

من أهداف اختيار الموضوع: أن يكون الطالب ضابطًا متقنًا لمنهج أهل السنة والجماعة في باب توحيد الألوهية،فتنضبط بذلك عقيدته بإذن الله -عز وجل- لا سيما في هذا الباب العظيم الذي حدثت فيه كثير من المغالطات والبدع

العظيمة والجسيمة للطوائف والمدارس المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

((رابعًا)):

من أهداف اختيار الموضوع: حمايةٌ للطالب من الوقوع في شراك العقائد الفاسدة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة؛ لأن مِن الطوائف المخالفة لأهل السنة مَن يعتقدون العقائد الباطلة، ويزعمون أنهم أهل السنة والجماعة!!، ويزعمون أنهم السواد الأعظم؛ ولذا فالحق معهم!!

((خامسًا)):

إكساب الطالبِ الملكةَ التأصيليةَ في الباب للقدرة على التفريق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

((سادسًا)):

من أهداف اختيار الموضوع: التنبيه المختصر على مواطن الخلل عند الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة في باب توحيد الألوهية [1].

([1]) ـ وهذا سيكون باختصار شديد؛ لأن هذا الشرح يتعلق بالمرحلة التمهيدية، وبعد التدرج يكون التفصيل في مادة بعنوان: (أُصُولُ الفِرَقِ المخَالِفَةِ لِأَهْلِ السُنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي بَابِ توحيدِ الألوهية)،نتكلم فيها عن أصول الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، لكن أولًا نضبط عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب.

المسألة الثانية ((منهج الشرح))

منهجية الشرح ستكون على ما يلي:

أولًا: نذكر الأصل الذي سار عليه أهل السنة والجماعة في الباب بلفظه.

ثانيًا: بيان معنى هذا الأصل،مع ضرب الأمثلة –إن كان هذا ممكنًا– في هذا الأصل.

ثالثًا: ذكر الأدلة الشرعية، والنظرية العقلية على هذا الأصل –مع ذكر وجه الاستدلال–.

رابعًا: نذكر في بعض الأحيان بعض الآثار الواردة عن السلف–من الصحابة والتابعين وأئمة الدين –في تقرير هذا الأصل.

خامسًا: التنبيه على مَن مِن الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة يخالف هذا الأصل، وننبه على ذلك إجمالًا.

سادسًا: نذكر فروعًا للأصول إن كان لها فروع إجمالًا؛ لأننا نتكلم عن مبادئ (1) في الباب.

---

(1) _ **وهاهنا سؤال يتعلق بمبادئ العلم، وهو:**

سؤال: وهل تكفي المبادئ العشرة المشهورة لضبط العلوم؟

المبادئ العشرة مهمة بلا شك، ولكنها وحدها لا تكفي لضبط العلوم ضبطًا متقنًا.

((سؤال)):

وما المبادئ العشرة؟

الجواب: نظمها الناظم في هذه الأبيات: =

= إِن مَبَادِي كُلِّ فَنٍّ عَشَرَهْ ... :الحَدُّ، والموضوعُ، ثُمَّ الثَمَرَهْ

وَفَضْلُه، ونِسْبَةٌ، والوَاضِعْ ... والاسمُ، الاستمدادُ، حُكْمُ الشارِعْ

مسائلٌ، والبعضُ بالبعضِ اكْتَفَى ... ومَنْ دَرَى الجميعَ حَازَ الشَّرَفا

ذكرها الصبان في حاشيته على الملوي ونظمها هو وغيره.

هذه المبادئ التي قررها العلماء وسلكها المتأخرون، وقالوا: إنه يحتاج إليها كل طالب علم.

سؤال: ولماذا لا تكفي المبادئ العشرة لإتقان العلوم؟

الجواب: لأمور:

الأول: بعض هذه المذكورات من المبادئ، وهي كمُلَح العلم، إن علمها الطالب فهو خير، وإن لم يعلمها لن يفوته الكثير ولن يخسر الكثير.

الثاني: هذه العشرة أغفلت مبادئ أخرى أهم مما ذُكِر في هذه العشرة.

– فالصحيح منهجيًا أن لا نقتصر على تلك العشرة، وإنما وجب البحث عن المبادئ الحقيقية التي يحتاج إليها طالب العلم، لا سيما طالب علم العقيدة.

ومن ذلك:

أ ـ مصادر الاستدلال ومناهجه عند المدارس العقدية (وهو غير موجود في المبادئ العشرة).

ب ـ المدارس العقدية المتصارعة في مسائل العقيدة –وهي–:

(1ـ المدرسة الفلسفية العقلية، 2ـ المدرسة الكلامية –بتياراتها–، 3ـ المدرسة الكشفية، 4ـ مدرسة أهل السنة والجماعة)

د ـ مراحل تدوين علم العقيدة، ومناهج التصنيف فيه؛ ليرجع الباحث إلى المرجع الذي يحتاج إليه في بحثه، وربما رجع لأبحاث تضره في بحثه، ونقده، وتصوره.

د ـ قوانين التحرير العقدي (وهذا بحر) يتفرع علية مسائل كثيرة.

مستفاد من فضيلة الدكتور "سلطان العميري".

المسألة الثالثة ((أهمية الموضوع)):

موضوع البحث غاية فى الأهمية، وتظهر أهميته بجلاء لأمور منها:

أولاً ـ ((أنه يتعلق بتوحيد الألوهية)):

وتوحيد الألوهية أولُ الدينِ وآخرُه وظاهرُه وباطنُه،وهو أولُ دعوةِ الرسلِ وآخرُها ولك أن تعلم أن أول ما جاء به النبي –صلى الله عليه وسلم– هو التوحيد.

ـ وعند موته نهى عن اتخاذ القبور مساجد،حماية لجناب التوحيد وخشية الوقوع في الشرك.

عَنْ عَائِشَةَ– رضي الله عنها–،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلى الله عليه وسلم– فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ:((**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)) قَالَتْ:"فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ،غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا" [1].

وفي رواية:((**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا [2].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ –رضي الله عنها–، قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَتْ: فَهُوَ يَضَعُهَا مَرَّةً عَلَى وَجْهِهِ، وَمَرَّةً يَكْشِفُهَا عَنْهُ، وَيَقُولُ: ((**قَاتَلَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)) **يُحَرِّمُ ذَلِكَ عَلَى أُمَّتِهِ** [3].

([1]) ـ رواه البخاري (4441)، ومسلم (531).

([2]) ـ رواه البخاري (5815).

([3]) ـ **حديث صحيح**، وهذا إسناد ضعيف، ابن إسحاق: وهو"محمد" مدلس وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، رواه أحمد (26350)

فلأجل هذا التوحيد –توحيد الألوهية– خُلقت الخليقة، وأنزلت الكتب، وأرسلت الرسل، وبه افترقت الناس إلى مؤمن وكافر، وإلى سعداء وأشقياء.

ثانيًا ـ ((أنه أول الأوامر التي وردت في القرءان)):

قال –تعالى–:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾{البقرة:21}.

فهذا أول أمر في كتاب الله، الأمر بعبادته وحده.

ثالثًا ـ ((وهذا التوحيد هو الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق)):

قال –تعالى–:﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾{الذاريات:56}.

أي: إلا ليوحدون (على أحد أوجه التفسير) (1).

رابعًا ـ ((أرسل الله جميع الرسل بهذا التوحيد)):

قال –تعالى–:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾{النحل:36}.

خامسًا ـ ((ووصف الله به الملائكة)):

قال –تعالى–:﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ﴾{الأنبياء:19}.

(1) ـ تفسير الطبري (400/10) الآثر رقم:(32345)، ط (دار الحديث) القاهرة، تفسير البغوي (صـ 1236) ط (دار ابن حزم) بيروت ـ لبنان، تفسير القرطبي (44/17) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

سادسًا ـ ((أعظم آية في كتاب الله بدأت به)):

أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسيّ) تبدأ بتوحيده –سبحانه وتعالى–:

﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ {البقرة:255}.

وجاءت أعظم سورة (سورة الفاتحة) في وسطها توحيد العبادة:

﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾{الفاتحة:5}.

وفي آخر سورة في كتاب الله (الناس): ﴿ **إِلَهِ النَّاسِ** ﴾{الناس:3}.

سابعًا ـ ((هو حق الله على العباد)):

عن معاذ بن جبل –رضي الله عنه–، قال: كُنْتُ رِدْفَ النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، علَى حِمارٍ يُقالُ له عُفَيْرٌ، فقالَ:((**يا مُعاذُ، هلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ، وما حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ؟**))، قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ:((**فإنَّ حَقَّ اللَّهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا**))، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ أفَلا أُبَشِّرُ به النَّاسَ؟ قالَ:((**لا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا**)) [1].

([1]) ـ رواه البخاري (2858)، ومسلم (30).

ثامنًا ـ ((أنه أول واجب على العباد)):

ـ فأول واجب على العبيد أن يعبدوا الله –عز وجل– ويوحدوه.

عن ابن عباس يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ:((**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ**)) [1].

((ثاسعًا)):

أنها تتعلق بتوحيد الألوهية، وهذا النوع من التوحيد تعرض لكثير من الحملات من الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة الجماعة، والعلم بأهم الأصول التي بنى عليها أهل السنة والجماعة اعتقادهم في هذا الباب يضبط للطالب هذا الباب؛ ولذلك ستجد من العلماء قد أفردوا هذا العلم في تقسيم التوحيد؛ لأهميته.

((عاشرًا)):

أن إتقان هذا الباب –توحيد الألوهية– من أعظم الطرق التي تُبْعِد العبد عن الشرك، والبدع والخلل في هذا الباب.

([1]) ـ رواه البخاري (7372)، ومسلم (19).

((الحادي عشر)):

أن علم التوحيد هو أشرف العلوم.

((الثاني عشر)):

الإيمان به على الوجه الحقيقي فيه السلامة من وعيد الله، وهو كثير في القرءان:

﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: 88].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء:48]

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: 94 – 96]

قال –تعالى–:﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[المائدة:72].

وكما في قوله –تعالى–:﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾[الإسراء:39].

الثالث عشر ـ ((ثوابه عظيم، وبه يحصل الأمن والاهتداء التام)):

قال الله –تعالى–:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[الأنعام:82].

الرابع عشرـ ((أنه أعظم اسباب تفريج الكربات في الدنيا والآخرة)):

أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوبتهما –كما في قصة يونس–صلى الله عليه وسلم–﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ

الظَّالِمِينَ﴾{الأنبياء:87}.

وإليك بعض الأمور سريعًا حتى لا نطيل:

❖_ يمنع من الخلود في النار:

إذا كان في القلب منه أدنى مثقال حبة خردل.

عَنْ أَنَسٍ –رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–قَالَ:((**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ**)) [1].

❖_ أنه إذا كمل في القلب يمنع دخول النار ألبتة

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ:أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ –وَزَعَمَ مَحْمُودٌ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–،وَقَالَ: وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا مِنْ دَلْوٍ كَانَتْ فِي دَارِهِمْ– قَالَ: سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الأَنْصارِيَّ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي سَالِمٍ، قَالَ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–، فَقَالَ:((**لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**)) [2].

❖_ أن أسعد الناس بشفاعة محمد –صلى الله عليه وسلم–:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ

---

(1) ـ رواه البخاري (44).

(2) ـ رواه البخاري (415)، ومسلم (263).

بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:((**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**)) [1].

❖_ أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد

فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله -تعالى- كملت هذه الأمور وتمت.

❖_ أنه يسهل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسليه عند المصيبات.

فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجوه من ثواب ربه ورضوانه، ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخطه وأليم عقابه، وتهون عليه المصائب لرضاه عن ربه، ولإيمانه بالقدر.

أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان، وزيّنه في قلبه، وكره إليه الكفر، والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

❖_ أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، ومن التعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم.

وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي، فيكون بذلك متألهاً متعبداً لله، فلا

---

(1) - رواه البخاري (99).

يرجو سواه، ولا يخشى غيره، ولا ينيب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وبذلك يتم فلاحه، ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التي لا يلحقه فيها شيء أن التوحيد إذا تم وكمل في القلب، وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يُصَيِّر القليل من العمل كثيراً، وتضاعف أجور صاحبه بغير حصر ولا حساب.

❖_ أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى،وإصلاح الأحوال،والتسديد في الأقوال والأفعال.

فإن الله –تعالى– يدفع عن الموحدين شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والتنعم بذكره.

مقدمة مهمة عن توحيد الألوهية، بين يدي القواعد، وهذه المقدمة تتعلق بها مسائل:

المسألة الأولى: الكلام على التوحيد عمومًا وأقسامه.

المسألة الثانية: حكم إِدخال أقسام أخرى مع أقسام التوحيد.

المسألة الثالثة: الاعتراض على تقسيم التوحيد.

فصل: في الكلام على شهادة التوحيد "لا إله إلا الله".

المسألة الرابعة: بعض أسماء توحيد الألوهية.

فصل: بعض الأدلة المختصرة في التفريق بين الربوبية والألوهية.

((المقدمة))

هذه مقدمة مهمة عن توحيد الألوهية، بين يدي القواعد، وهذه المقدمة تتعلق بها مسائل:

المسألة الأولى: ((الكلام على التوحيد عمومًا وأقسامه))

التوحيد لغة: معناه الإفراد (1).

واصطلاحًا: هو إفرادُ الله في ربوبيته، وأسمائه وصفاته، وإفرادُه -تعالى- بالعبادة والألوهية، ونفيُها عما سواه.

ويمكن أن يُقال اختصارًا:

هو إفراد الله -تعالى- بما يستحقه وبما يختص به ونفيه عما سواه.

تقسيم التوحيد:

(معرفة وإثبات _ وقصد وطلب)

المعرفة والإثبات: هو إثبات حقيقة ذات الرب -تعالى- وصفاته وأفعاله وأسمائه، (وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات).

القصد والطلب: يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بشهادة أن لا إله إلا الله.

أي: لا يُعبد إلا هو.

ومن العلماء من قَسَّمَه ثلاثة أقسام:

(الربوبية _ والألوهية _ والأسماء والصفات)

---

(1) ـ مختار الصحاح، عبد القادر الرازي (صـ 380) مادة: "وحد"، ط (دار الحديث) القاهرة.

سؤال: وهل هناك فرق بينها؟

الجواب: القسمة الثلاثية مفسرة للقسمة الثنائية.

ومعنى توحيد الربوبية: أن يعتقد العبدُ أن اللهَ خالق، ورازق، ومدبِّر، وسيد كل شيء.

فتوحيد الربوبية هو: (إفراد الله بأفعاله) أو (توحيد الله بأفعاله)

فهو الإقرار والاعتقاد الجازم بأنّ الله –تعالى– هو ربّ كلّ شيء ومليكه وهو الخالق المدبّر للأمور كلّها، والمتصرّف في الكون كلّه، لم يكن له أيّ شريك في ملكه، لا أحد ولا شيء رادٌّ لأمره، ولا معقّب لحكمه، ولا يوجد هناك مَن يماثله أو ينازعه في أيّ معنى من معاني ربوبيته، أو أسمائه، أو صفاته الحسنى– جلّ في علاه–.

توحيد الله بأفعاله:

ومن أفعال الله –سبحانه–: الخلق، والرَّزْق، والسيادة، والإنعام، والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكَم، والتقدير، والحكم ....إلخ، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها، ولهذا فإن الواجب على العبد أن يؤمن بذلك كله.

– وتوحيد الربوبية من لوازم توحيد الإلهية.

كما قال الله –تعالى–: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام:102].

أمثلة على توحيد الربوبية:

أ ـ توحيد الربوبية:

قال ربنا –تبارك وتعالى–:﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54].

وقال ربنا –عَزَّ وَجَلَّ–:﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الرعد:16].

توحيد الألوهية:

هو إفراد الله بالعبادة، ونفيها عن كل ما سواه.

هو إفراد الله –تعالى– بجميع أنواع العبادة، الظاهرة أو الباطنة، القولية أو الفعلية؛ –كالصلاة، والصوم، وبر الوالدين، وصلة الأرحام–، ونفي العبادة عن كل ما سواه.

فهو (**توحيد الله بأفعال العباد –التعبدية–**)

قيدنا بالتعبدية: لأن هذا على شهرته ليس دقيقًا –بغير القيد–؛ لأنه يقوم على معنى عام ولا يحدد القيد المؤثر في توحيد العبادة، فأفعال العباد ليست كلها داخلة في توحيد العبادة، فمنها ما يجوز تعلُقها بالمخلوق وصرفُها له في كثير من الأحوال، كالحب، والخوف، ونحو ذلك (1).

والأدلة على إفراد الله –عز وجل– بالعبادة في القرآن،لها صور كثيرة ومنها:

أ ـ الأمر بتوحيد الألوهية:

قوله –تعالى–:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

(1) ـ المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (1/40-41) ط (دار مدارج) السعودية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21].

وقوله –تعالى–:﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:36].

وقوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:23].

ب ـ التنبيه على أنه المقصود من بعثة الرسل:

قوله –تعالى–:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:36].

وقوله –تعالى–:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

ج ـ التنبيه على أنه الأساس لوجود الخليقة والمقصود من إيجاد الثقلين:

قال –تعالى– :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:56].

هـ ـ التنبيه على أنه المقصود من إنزال الكتب الإلهية:

قال –تعالى–:﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[النحل: 2].

و ـ التنبيه على بيان عظيم ثواب أهل التوحيد:

قال الله –تعالى–:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:82].

ز ـ التحذير من ضده، وبيان خطورة مناقضته:

قال –تعالى–: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:72].

وكما في قوله -تعالى-:﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:39].

ومن السنة:

يقول معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: كُنْتُ رِدْفَ النبيّ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ- علَى حِمارٍ يُقالُ له عُفَيْرٌ، فقالَ:((يا مُعاذُ، هلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ علَى عِبادِهِ، وما حَقُّ العِبادِ علَى اللَّهِ؟))، قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ:((فإنَّ حَقَّ اللَّهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقَّ العِبادِ علَى اللَّهِ أنْ لا يُعَذِّبَ مَن لا يُشْرِكُ به شيئًا))، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ أفَلا أُبَشِّرُ به النَّاسَ؟ قالَ: ((لا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا)) [1].

عن ابن عباس يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: ((إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ)) [2].

---

(1) ـ رواه البخاري (2858)، ومسلم (30).

(2) ـ رواه البخاري (7372)، ومسلم (19).

توحيد الأسماء والصفات:

إفراد الله بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُلا الواردة في الكتاب والسُّنَّة، والإيمان بمعانيها وأحكامها.

قال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾{مريم:65}.

وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾{الأعراف:180}.

وقال -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾{الشورى:11}.

((الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية)):

الفرق الأول:

توحيد الربوبية: متعلق "بأفعال الرب -تعالى-، والأمور الكونية؛ كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة وغيرها".

توحيد الألوهية: متعلق "بأفعال المكلفين من صلاة، وصيام، ومحبة، وخوف، ورجاء، وأوامر، ونواهٍ، ومن واجب، ومحرم، ومكروه."

فتوحيد الربوبية: (مدلوله علمي)، **وتوحيد الألوهية**: (مدلوله عملي).

الفرق الثاني:

توحيد الربوبية: الإيمان به لا يكفي لدخول المرء في الإسلام، ولا بد أن يكون معه الألوهية.

فتوحيد الألوهيّة متضمّنٌ لتوحيد الربوبيّة، لأن من أفرد الله -تعالى- بالعبادة فهو مقرٌ ضمناً بتفرّد الله -تعالى- في الخلق والملك والتدبير، وغير ذلك من

الأفعال الإلهيّة، ولولا إقراره بالربوبيّة ما أفرده بالعبادة.

تنبيه:

التوحيد له أقسام كثيرة باعتبارات مختلفة:

باعتبار مضمونه:(توحيد خبري ــ توحيد طلبي)

باعتبار محله من العبد:(توحيد ظاهر ــ توحيد باطن)

باعتبار وسيلةِ قيامِ العبدِ به (قلبي ــ قولي ــ عملي)

وغير ذلك، فالمسألة اجتهادية اصطلاحية.

المسألة الثانية: ((حكم إدخال أقسام أخرى مع أقسام التوحيد)):

بعض المعاصرين أضاف بعض الأنواع الآخرى لأقسام التوحيد، ومن ذلك: أفرد بعض المعاصرين توحيد الحاكمية والتشريع في أقسام التوحيد.

وهذا الفعل قد أنكره كثير من المعاصرين (1)، واحتجوا على إنكاره بأمور، ومنها (2):

((الأول)):

بأنه يندرج تحت توحيد الربوبية والألوهية فلا محل لذكره.

قلت: وفيه نظر لأن موجب الإفراد ليس لعدم اندراجه في الربوبية، وإنما للحاجة إلى إبرازه وجلائه لكثرة الانحراف فيه، وأهمية ما يتضمنه من معان.

ثم هذا الاعتراض يعود إلى التقسيم الثلاثي؛ لأن توحيد الأسماء والصفات يتضمنه الربوبية.

((الثاني)):

أن إضافة قسم آخر فيه تجهيل للسلف، واستدراكًا عليهم؛ لأنهم لم يتفطنوا لهذا القسم، ولم يفردوه وحده.

---

(1) ـ وممن أنكر زيادة هذا التقسيم، فضيلة الشيخ الإمام/ محمد صالح العثيمين ـرحمه اللهـ في لقاءات الباب المفتوح.

(2) ـ انظر: فتوى الشيخ صالح العثيمين "لقاءات الباب المفتوح"، انظر: "مختصر سبيل الهدى والرشاد في بيان حقيقة توحيد رب العباد"، د/محمود عبد الرحمن الخميس (ص 65-66)، ط (مكتبة الفرقان) عجمان ـ الإمارات.

قلت: وهذا فيه نظر،لا سيما والواضع للقسم المذكور لا يدعي أنه أتى بجديد، أو جهل السلف، وإنما يتبرأ من ذلك [1]؛ إنما أبرز هذا القسم؛ لأهميته والحاجة لإبرازه.

((الثالث)):

أن السلف ورد عنهم القسمة الثنائية والثلاثية،فكان هذا منهم إجماعًا على هذه الأقسام.

وهذا فيه نظر؛ لأن المسألة ليست توقيفية، بل اجتهادية؛ ولذلك لم يرد عن السلف أن التوحيد محصور في عدد معين لا يزيد عليه [2].

مسألة أخرى:

بعض المعاصرين يضيف توحيد المتابعة:

أضاف بعض المعاصرين توحيد المتابعة (أي: يفرد النبي –صلى الله عليه وسلم– بالاتباع دون غيره) فهل هذا صحيح؟

((الجواب)):

لا يصح لأن التوحيد متعلق بالله –تعالى–،والنصوص عندما يطلق فيها التوحيد إنما يتعلق بالله –تعالى– دون غيره، فالمنع هنا ليس من جهة عدم جواز إضافة أقسام للتوحيد، وإنما للمعنى المذكور (3).

---

(1) ـ أما من صدر عنه تجهيل السلف، فهو أولى بالجهل، منحرف عن الطريق القويم، والصراط المستقيم.

(2) ـ انظر "المسلك الرشيد شرح كتاب التوحيد"، سلطان العميري (33/1 – 35) ط (دار مدارج).

(3) ـ المصدر السابق (36/1 ـ 37)

المسألة الثالثة ((الاعتراض على تقسيم التوحيد))

التوحيد ينقسم ثلاثة أقسام:

أ ـ توحيد ربوبية.

ب ـ وتوحيد ألوهية.

ج ـ وتوحيد أسماء وصفات.

بعض الطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، كالأشعرية [1]، وغيرهم، يقولون: إن تقسيم التوحيد بدعة من البدع المحدثة!!

سؤال: ولماذا قالوا هذه المقالة؟

الجواب: لأمور منها:

أ ـ أن التوحيد عند القوم هو توحيد الربوبية فقط؟

فهم يفسرون لا إله إلا الله بـ (القدرة على الاختراع والخلق).

ولهم على ذلك شبهات كثيرة استدلوا بها من نصوص القرءان والسنة، وقد أجاب عنها أهل السنة والجماعة بحول الله (وسنذكر طرفًا منها فيما هو قادم- إن شاء الله-).

ب ـ ثم تمسحوا: بأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ- ما قسم التوحيد، إلى قسمة ثلاثية، ولم يقل عن التوحيد أنه توحيد ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، فمن أين أتيتم بهذا التقسيم المحدث؟!

---

(1) ـ وغيرهم من الفلاسفة والمتكلمين، وإنما ذكرنا الأشاعرة لهجمتهم الشرسة المعروفة على تقسيم التوحيد.

وقد قال النبي-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ-:((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)) [1].

إذن فهذا التقسيم بدعة محدثة.

وقد زعموا: بأن أول من قسم هذا التقسيم ابن تيمية، ابتدعه في دين الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأتى بهذا التقسيم الذي لم يكن معروفًا عند العلماء، والغرض من ذلك تكفير الأشاعرة والصوفية!!

وإن تعجب فاعجب مما قاله بعض جهالهم:

فقد زعم بعض جهالهم:

بأن أول من أحدث هذا التقسيم هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب!!

-وقد نادى على نفسه بالجهل بمقالته هذه-

فهل هذا الكلام صحيح؟

وهل تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية وأسماء وصفات، هل هذا من البدعة في الدين؟

إليك الجواب عن هذه الفرية:

أولًا: ((الجواب على من زعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أول من أحدث هذا التقسيم)):

قول من قال أن هذه التقسيمة ابتدعها واخترعها شيخ الإسلام ابن تيمية:-

---

(1) ـ رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718).

كلام باطل مردود، والذي يقول ذلك قد نادى على نفسه بالجهل؛ لأن تقسيم التوحيد عند العلماء موجود عند العلماء المتقدمين وهم على قسمين:

أ ـ من العلماء من قسمه قسمة ثلاثية:

قالوا: إن التوحيد ينقسم إلى:(ربوبية ـ وألوهية ـ وأسماء وصفات).

ب ـ ومن العلماء من قسمه قسمة ثنائية:

قالوا: التوحيد ينقسم إلى قسمين: (المعرفة والإثبات، والقصد والطلب).

أما من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام (ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات)

فهذه طريقة سار عليها جماعة من سلف هذه الأمة، منهم:

ابن بطة،(ت 387) هـ

محمد بن إسحاق بن منده،(ت 395) هـ

وغيرهم قد سار على هذه الطريقة، وقررها، ووافق عليها:

ابن تيمية (1)، وابن القيم (2)، والمقريزي، وأيضًا قرر هذه الطريقة الصنعاني ومحمد بن عبد الوهاب، وكثير من العلماء وافقوا وقرروا هذه الطريقة.

فالتقسيم الثلاثي هذا لم يخترعه ابن تيمية، بل هو قد جاء في كلام أهل العلم ممن ساروا على ذلك.

وهذا الذي ذكرناه –أي: وُرُود هذا التقسيم عن ابن بطة وابن منده– (رحمهما الله) يَرد الأكذوبة التي يلوكها بعض الببغاوات، الذين يزعمون أن أول من قال

---

(1) ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (390/7) ح.

(2) ـ مدارج السالكين، ابن القيم (449/4) ط (عطاءات العلم).

بالقسمة الثلاثية في التوحيد هو شيخ الإسلام ابن تيمية!!

بل ويفترون على شيخ الإسلام، ويقولون:

إنه قسم التوحيد إلى هذه القسمة،والغرض من ذلك تكفير الأشاعرة والصوفية!

–وهذا كذب وافتراء على الإمام –رَحِمَهُ اللهُ–.

وكان أشد منهم جهلًا من زعم أن الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" هو أول من قسم هذه القسمة!!.

خلاصة الكلام:

دعوى أن شيخ الإسلام هو أول من قسم هذا التوحيد إلى هذه القسمة الثلاثية:– أمر باطل مردود.

وعلى كل فتقسيم التوحيد في الجملة، والتفريق بين الألوهية والربوبية واقع في كلام كثير من السلف.

سبب اعتراض المتكلمين على التقسيم:

وأما الأشاعرة: فليس عندهم توحيد ألوهية، ولا فرق عندهم بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية.

ولذلك يضربون الصفح عن تقسيم التوحيد، ويطعنون فيه.

تنبيه:

قد فرق بعضهم –من الأشاعرة– بين أنواع التوحيد، ولكنه تفريق أجوف.

فالذين فرقوا منهم لم يجعلوا ترك الألوهية مانعًا من الإيمان ما دام لم يعتقد النفع

والضر فيمن صرف له العبادة، فلا يوجد عندهم مؤمن بالربوبية مشرك في الألوهية لوجود التلازم!!

خلاصة الكلام:

وهذا الكلام الذي ذكروه كلام باطل مردود، فتقسيم التوحيد عمومًا والتفريق بين الربوبية والألوهية قد ورد في كلام كثير من السلف.

((بعض من ورد عنهم من السلف التفريق بين الربوبية والألوهية))

إليك بعض من ورد عنهم التفريق بين أنواع التوحيد:

ابن عباس –رضي الله عنهما–، ت:(68) هـ ،

ومجاهد بن جبر –رحمه الله–ت:(104) هـ (1).

أ ـ أبو حنفية، ت:(150) هـ، في الفقه الأبسط (2). –وفي نسبة الكتاب إليه كلام–

ب ـ وأبو يوسف –صاحب أبي حنيفة–، ت:(182) هـ (3).

د ـ ومحمد بن نصر المروزي، ت:(294) هـ (4).

---

(1) ـ وسيأتي ذكر هذه الآثار عند ذكر الإمام الطبري –بعد قليل إن شاء الله–.

(2) ـ انظر "الفقه الأبسط"، (صـ 135)، "إثبات العلو" حيث قال:

((من قَالَ لَا اعرف رَبِّي فِي السَّمَاء اَوْ فِي الأَرْض فقد كفر وَكَذَا من قَالَ إِنَّه على الْعَرْش وَلَا أدري الْعَرْش أَفِي السَّمَاء اَوْ فِي الأَرْض وَالله تَعَالَى يدعى من أعلى لَا من أَسْفَل لَيْسَ من وصف الربوبية والألوهية فِي شَيْء .....))

(3) ـ نقل ذلك عنه الإمام ابن منده، في كتاب "التوحيد" (304/3)، أثر رقم:(890) ت: "الفقيهي".

(4) ـ انظر: تعظيم "قدر الصلاة" حيث قال: **((إلا أن له أصلًا وفرعًا، فأصله الإقرار بالقلب عن المعرفة، وهو الخضوع لله بالعبودية، والخضوع له بالربوبية، وكذلك خضوع اللسان بالإقرار بالإلهية بالإخلاص له من القلب واللسان، أنه واحد لا شريك له،ثم فروع هذين الخضوع له بأداء الفرائض كله))**. انظر: "تعظيم قدر الصلاة" للمروزي (702) ط (مكتبة الدار) المدينة.

هـ ـ وابن جرير الطبري، ت:(310) هـ، في تفسيره في مواضع كثيرة (1).

وقد أورد الإمام بعض الآثار عن بعض السلف، ومن ذلك:

أ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: 106] يَعْنِي النَّصَارَى يَقُولُ: ((﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾،﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف:87] وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يُشْرِكُونَ بِهِ، وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَيَسْجُدُونَ لِلْأَنْدَادِ دُونَهُ)) (2).

ب ـ عَنْ مُجَاهِدٍ:﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف: 106]، **((إِيمَانُهُمْ قَوْلُهُمْ: اللَّهُ خَالِقُنَا، وَيَرْزُقُنَا، وَيُمِيتُنَا، فَهَذَا إِيمَانٌ مَعَ شِرْكِ عِبَادَتِهِمْ غَيْرَهُ))** (3).

---

(1) ـ ومنها قوله –رحمه الله–:((الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة: 21] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: **فَأَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْفَرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْ أَحَدِهِمَا أَنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرُوا أَمْ لَمْ يُنْذَرُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ،لِطَبْعِهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، وَعَنِ الْآخَرِ أَنَّهُ يُخَادِعُ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا يُبْدِي بِلِسَانِهِ مِنْ قَلْبِهِ: آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،مَعَ اسْتِبْطَانِهِ خِلَافَ ذَلِكَ، وَمَرَضِ قَلْبِهِ،وَشَكِّهِ فِي حَقِيقَةِ مَا يُبْدِي مِنْ ذَلِكَ؛ وَغَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ الْمُكَلَّفِينَ، بِالِاسْتِكَانَةِ وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ،وَإِفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ لَهُ، وَالْعِبَادَةِ دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ؛ لِأَنَّ جَلَّ ذِكْرُهُ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ**)). انظر:"تفسير الطبري" (384/1) ط (دار هجر).

(2) ـ انظر:"تفسير الطبري" (375/13) ط (دار هجر).

(3) ـ انظر:"تفسير الطبري" (374/13) ط (دار هجر).

و ـ والإمام الطحاوي، ت:(321) هـ (1).

عبد الله بن محمد النيسابوري (المرتعش)، ت:(328) هـ (2).

ز ـ وأبو حاتم البستي، ت:(345) هـ (3).

ح ـ وأبو زيد القيرواني، ت:(386) هـ (4).

ط ـ وابن بطة، ت:(387) هـ، في الإبانة الكبرى (1).

---

(1) ـ انظر مطلع "العقيدة الطحاوية" حيث قال:((...**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ وَلا شَيْءَ مِثْلُهُ وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ وَلا إِلَهَ غَيْرُهُ**...)) العقيدة الطحاوية، (صـ 8) ط (دار ابن حزم) بيروت ـ لبنان.

فبين الإمام: واحدانية الله في ربوبيته، ووحدانيته في ألوهيته.

(2) ـ حيث قال:((**أصول التوحيد ثلاثة:** معرفة الله بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة)). أورده أبو نعيم في "الحلية" (55/10) ط (دار السعادة).

قلت: والإقرار بالوحدانية يتضمن وحدانيته في العبادة، وكذلك نفي الأنداد يتضمن نفي أنداد العبودية من دونه.

(3) ـ انظر مطلع "روضة العقلاء" حيث قال:((**الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية**...)).روضة العقلاء، لأبي حاتم ابن حبان البستي، (صـ 14).

(4) ـ وهو يُفهم من كلامه في مطلع عقيدته حيث قال: ((**من ذلك الإيمانُ بالقلب، والنُّطقُ باللِّسان أنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شبيهَ له، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبة له، ولا شريكَ له**)).

"مقدمة ابن أبي زيد القيرواني" (صـ 56) ط (وزارة الشؤون والأوقاف، والدعوة والإرشاد) السعودية.

قلت: فعندما قال: "لا إله غيره" يفهم منها توحيد الألوهية؛ لأن الإله هو المعبود، وعندما نفى عنه الصاحبة والشريك.....إلخ، فيفهم منه توحيد الربوبية.

ك ـ وابن منده، ت:(395) هـ، في كتاب التوحيد (2).

ل ـ وإسماعيل التيمي الأصبهاني قوام السنة، ت:(535) هـ (3).

م ـ وابن تيمية، ت:(728) هـ (4).

---

(1) ـ انظر مطلع "الإبانة الكبرى" حيث قال: ((**إن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:**

أحدهما: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

الثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها؛ من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه)) انظر: "الإبانة الكبرى"، ابن بطة العكبري، (172/6).

(2) ـ ويظهر ذلك لمن طالع كتاب "التوحيد" لابن منده، في تبويبه وترتيبه في كتابه، فهو يقرر القسمة الثلاثية.

وانظر: كلام الدكتور "علي بن محمد ناصر فقيهي" –محقق الكتاب– في مطلع الكتاب (33/1، وما بعدها) "وصف الكتاب ومباحثه".

(3) ـ انظر "الحجة في بيان المحجة"، حيث قال:

((**....وَقد قَالَ بعض أهل الْمعرفَة: إِنما أعطينا الْعقل لإِقامة الْعُبُودِيَّة، لَا لإِدراك الربوبية، فَمن شغل مَا أعْطى لإِقامة الْعُبُودِيَّة بإِدراك الربوبية، فَاتَتْهُ الْعُبُودِيَّة، وَلم يدْرك الربوبية.**))

انظر: "الحجة في بيان المحجة" إسماعيل التيمي الاصبهاني (صـ 155) ط (دار الكتب العلمية).

(4) ـ ومواطن ذلك في كتب الإمام أكثر من أن تحصى، ومنها:

((**والشرك نوعان: أحدهما: شرك في الربوبية، والثاني شرك في الإلهية**))

درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (390/7).

ن ـ وابن القيم، ت:(751) هـ (1).

ص ـ وابن أبي العز، ت:(792) هـ (2).

وغيرهم كثير من العلماء الذين أقروا مسألة تقسيم التوحيد.

- فضلًا عمن ورد عنهم هذا التفريق وأقروه من الأشاعرة.

الرد على من زعم أن هذا التقسيم بدعي محدث:

وجملة القول أن من يزعم أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أو إلى قسمين تقسيم بدعي:- كلامه باطل مردود من وجوه:

الوجه الأول:

أن هذا التقيسم ليس ببدعي، بل هذا التقسيم إنما هو مستنبط من كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومن النصوص الشرعية المتضمنة له، وإليك بيان ذلك:

نقول بعون الله: هذه النصوص التي دلت على تقسيم التوحيد منها نصوص مجتمعة -جمعت بين أنواع التوحيد في موضع واحد-، ومنها نصوص مفترقة ذكر فيها أنواع التوحيد على سبيل الافتراق.

وسنبدأ بالنصوص التي وردت بذكر أنواع التوحيد على سبيل الافتراق، ومن ذلك:

أ ـ توحيد الربوبية:

قال ربنا -تبارك وتعالى-:﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:54].

---

(1) ـ مدارج السالكين، ابن القيم (449/4) ط (عطاءات العلم).

(2) ـ شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز (صـ 78 – 79) ط (المكتب الإسلامي) بيروت.

وقال ربنا –عَزَّ وَجَلَّ–:﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[الرعد:16].

فهذا توحيد ربوبية.

ب ـ توحيد الألوهية

قال –تعالى–:﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾[النحل:36].

وقال –تعالى–:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[البقرة:21].

هذا توحيد ألوهية، توحيد عبادة.

ج ـ أما توحيد "الأسماء والصفات":

قال –عَزَّ وَجَلَّ–:﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:65].

وقال –عَزَّ وَجَلَّ–:﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الأعراف:180].

وقال –عَزَّ وَجَلَّ–:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:11].

وهناك آيات واضحة جمع الله –تبارك وتعالى– فيها توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات في موضع واحد، ومن هذه الآيات:

أ ـ قال الله –تبارك وتعالى–: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:65].

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[مريم:65]، هذا توحيد ربوبية.

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾[مريم:65]، هذا توحيد ألوهية.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[مريم:65]، يعني هل تعلم له نظيرًا وشبيهًا ومثيلًا –سبحانه وتعالى–، هذا في توحيد الأسماء والصفات.

ب ـ وأيضًا قال ربنا –تبارك وتعالى–:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس:1:3].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ توحيد ربوبية.

﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ توحيد أسماء وصفات.

﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ توحيد ألوهية.

فهذا التقسيم إنما هو مستنبط من نصوص القرآن والسنة.

الوجه الثاني:

ولو تنزلنا مع هؤلاء الذين يقولون أن هذا التقسيم لم يرد في القرآن ولا السنة.

فنقول بعون الله:

ولو تنزلنا معكم بأن هذا التقسيم لم يرد في القرآن والسنة، فهذا لا يدل على أنه تقسيم بدعي.

برهان ذلك:

أن التقسيم نوعان:

أ ـ تقسيم شرعي. **ب ـ تقسيم اصطلاحي.**

أما التقسيم الشرعي:

فهو الذي وردت به النصوص الشرعية، كتقسيم المعاصي والذنوب إلى صغائر وكبائر، فهذا تقسيم شرعي وردت به النصوص، ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾[النساء:31].

وقال رسول الله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ-:((الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)) [1].

فهذه نصوص فيه ذكر الكبائر.

بعد ما ورد في الصغائر

وعلى قول بعض أهل العلم، على وجه من وجوه التفسير [2] كما في قول الله -تعالى-:﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾ [الكهف:49].

وقول الله -تعالى-:﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم:23].

على وجه من وجوه التفسير

فقد دلت هذه النصوص [3] على أن المعاصي منها صغائر وكبائر.

وهذا التقسيم علمناه من الشرع، فهذا تقسيم شرعي.

حكم التقسيم الشرعي:

التقسيم الشرعي حكمه لا يجوز فيه الزيادة ولا النقصان.

فإذا جاء واحد وقال: سنقسم المعاصي والذنوب إلى كبائر وصغائر ومعاصٍ في الوسط أو أواسط، نقول: هذا الكلام ليس بسديد ولا يصح؛ لأن هذا تقسيم شرعي، والتقسيم الشرعي محله التوقيف، لا يجوز فيه لا زيادة ولا نقصان.

---

(1) ـ رواه مسلم: (233).

(2) ـ البعض يحمله على صغيرة المعصية، وعلى كبيرة المعصية، والبعض يقول ـوهم الأكثرـ:

أن المقصود من ذلك أن هذا الكتاب ما ترك شيئًا.

(3) ـ نقصد عموم النصوص في الكبائر والصغائر: إما بالمنطوق، أو المفهوم، أو على وجه من وجوه التفسير.

ومن صور التقسيم الشرعي:

تقسيم الشرك والكفر إلى: "كفر أكبر، وكفر أصغر".

فالكفر والشرك ورد في النصوص الشرعية أنه ينقسم إلى قسمين:

كفر أكبر، وكفر أصغر.

فمن قال: سنقسم الشرك والكفر إلى:"شرك أكبر، وإلى شرك أصغر، وإلى شرك أوسط".

نقول:لا يصح ذلك؛ لأن هذا تقسيم شرعي، والتقسيم الشرعي لا يجوز فيه الزيادة ولا النقصان.

أما التقسيم الاصطلاحي:

وهناك تقسيم آخر وهو التقسيم الاصطلاحي، كالذي اصطلح عليه أهل كل فن:

أ ـ كتقسيم علوم الدين إلى:العقيدة والفقه والمصطلح وعلوم القرآن والقراءات وأصول الفقه.....إلخ

ب ـ وكتقسيم الصلاة إلى:أركان، وشروط، وسنن وهيئات، وواجبات –على قول الحنابلة (1)–.

وهذا ما كان موجودًا على عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– بتقسيماته.

لكن هذا تقسيم اصطلاحي، لأجل التسهيل، والتيسير في التعليم.

---

(1) ـ شرح منتهى الإرادات، البهوتي (172/1) ط (دار الفكر) بيروت.

حكم التقسيم الاصطلاحي:

التقسيم الاصطلاحي حكمه: أنه لا مشاحاة في الاصطلاح، بشروط وقيود، ومنها:

أ ـ ألا يخالف النصوص الشرعية.

ب ـ ألا يؤدي إلى مفسدة [1].

فنقول بعون الله:

ولو تنزلنا مع هؤلاء الذين يقولون: إن تقسيم التوحيد هو تقسيم محدث مبتدع، نقول لهم:

هذا من جنس التقسيم الاصطلاحي، ولا مشاحاة في الاصطلاح، فبان بذلك أن قولهم: إن تقسيم التوحيد إلى أقسام محدث:- قول باطل.

أما زعمهم أن ابن تيمية هو أول من قسم هذا التقسيم، فبينا أن هذا الكلام باطل مردود وليس بصحيح، وليس بسديد، هذا بالنسبة لهذه المقدمة المتعلقة بهذه الجزئية.

تنبيه:

فلو جاء بعض العلماء وقسم التوحيد إلى أكثر من ثلاثة أقسام -بضوابط أهل السنة- فلا بأس.

مثلًا: في هذه الآونة توجد ظاهرة موجودة في المجتمع اسمها "ظاهرة الإلحاد"

---

(1) ـ وهناك قيود أخرى، ولكن هذه رؤوس هذا القيود، وبالله التوفيق.

-الكفر بوجود الله-، وقد أراد بعض العلماء التحذير من هذا الكفر، فصنف كتابًا عن التوحيد، وقال: التوحيد ينقسم إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: وجود الله.

القسم الثاني: توحيد الربوبية.

القسم الثالث: توحيد الألوهية.

القسم الرابع: توحيد الأسماء والصفات.

فخص وجود الله بقسم منفصل -مع أنه لازم ظاهر-؛ وذلك لأنه توجد ظاهرة مجتمعية كفرية موجودة وهي مسألة الإلحاد، فذكر مسألة وجود الله، وأتى بالأدلة على وجود الله، لإبطال هذا الكفر، فلا بأس بذلك ولا مشاحاة في الاصطلاح.

((فصل: بعض الأدلة المختصرة في التفريق بين الربوبية والألوهية))

وكما قلنا: للقوم شبهات يستدلون بها على التسوية بين الربوبية والإلهية، ومن يفرق بينهما منهم –التفريق الأجوف– يدعي أنه لا يمكن أن توجد الربوبية دون الألوهية.

وهذه جملة مختصرة من الأدلة المفرقة بين الربوبية والألهية:

الدليل الأول:

الدليل اللغوي: فمعنى الإله في اللغة يختلف عن معنى الرب.

فلفظ الإله: مرجعه للعبادة والتعبد.

ولفظ الرب: أي الملك والتصرف والسيادة.

الدليل الثاني:

آيات فرقت بين النوعين.

فهناك آيات كثيرة في القرءان جاء فيها التفريق بين توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، ومن هذه الآيات:

قال– تعالى–:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾[الناس:1:3].

ففرق بين الربوبية والألوهية [1].

([1]) ـ **وقد يقول المخالف للمعارضة:** (هذا من باب التأكيد، لا التفريق).

والجواب عن ذلك: أن هذا خلاف الأصل، إذ الأصل التأسيس لا التأكيد.

الدليل الثالث:

أن الله ألزم المشركين بالألوهية؛ لما له من معاني الربوبية

كما في قوله -تعالى-:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:21].

وجه الاستدلال:أنه -تعالى- ألزمهم بالألوهية بدليل ربوبيته، ولو كان مضمون الربوبية هو مضمون الألوهية؛ لما كان هذا حجة ملزمة؛ لأنه استدلال على الشيء بنفسه، وهذا مردود بالشرع، والعقل، والفطرة.

الدليل الرابع:

أن الله أثبت للمشركين الإقرار بأصول ما يتضمنه توحيد الربوبية.

وهذا كثير في القرءان، ومن ذلك:

قال -تعالى-:﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [العنكبوت: 61].

وقال-تعالى-:﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾[المؤمنون:89/84].

قال-تعالى-:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف:87].

وجه الاستدلال:أن الله قد أثبت لهم الإقرار بأصول ما يتضمنه الربوبية، وبناءً على ذلك ألزمهم وأمرهم بتوحيد الألوهية، فلو كانا شيئًا واحدًا لما صح هذا الأمر.

((تنبيه)):

لا يفهم من الكلام أن توحيد الربوبية عند المشركين صحيحٌ، فهذا خطأ بيِّن –وربما وقع فيه بعض الأفاضل–.

والصواب: المشركون يقِرُّون بتوحيد الربوبية في الجملة، ولم يكن هذا التوحيد عندهم سليمًا، بل كان فيه خللٌ وشِرْكِياتٌ، ومنها:

أ ـ نسبة المطر للكواكب والأنواء.

ب ـ كانوا يأتون الكُهَّان.

ج ـ كانوا يتطيرون.

د ـ ينسبون بعض الحوادث للدهر.

وأصل إنكار البعث طعن في الربوبية.

وقد ذكرنا الكلام على هذه المسألة بدلائلها في مقال مختصر على الشبكة العنكبوتية، بعنوان: **أُغْلُوطَةٌ مشهورةٌ:**

((هل كان اعتقاد مشركي الجاهلية في الربوبية صحيحًا ؟[1])).

([1]) ـ وهذه روابط المقال: https://www.alukah.net/sharia/0/151917/

رابط أخر http://www.saaid.net/arabic/880.htm

وسيأتي ذكره في الحاشية، انظر: (صـ 179)

((الدليل الخامس)):

قال-تعالى-:﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:5].

قال- تعالى-:﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾[الصافات:36].

وجه الاستدلال: سموا ما يعبدونهم آلهة، وهم بلا شك لا يعتقدون فيهم أنهم خلقوهم.

((الدليل السادس)):

الواقع يدل على ذلك، وعلى إمكانية ذلك وعدم امتناعه.

المسألة الرابعة ((بعض أسماء توحيد الألوهية)):

واعلم ـ رحمنا الله وإياك ـ أن لتوحيد الألوهية أسماء كثيرة منها:

1ـ ((توحيد الألوهية)):

وذلك باعتبار إضافته إلى الله -عز وجل-.

2ـ ((توحيد الإرادة)):

لتضمنه إخلاص النية لله -عز وجل- وأن العبد يريد به وجه الله.

3ـ ((توحيد العبادة)):

باعتبار إضافته إلى المُوَحِّد (العبد) لأنه يتضمن صرف العبادة لله وحده.

4ـ ((توحيد القصد)):

لأنه يستلزم إخلاصَ القصد لله -عز وجل-.

5ـ ((توحيد العمل)):

لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده.

6- ((توحيد الفعل / التوحيد الفعلي)):

لأنه يتضمن أفعال القلوب والجوارح.

7- ((التوحيد الطلبي)):

لتضمنه الطلب، والدعاء من العبد لله -عز وجل-.

فهذه بعض أسماء توحيد الألوهية.

فصل: في الكلام على شهادة التوحيد ((لا إله إلا الله))

والكلام على كلمة التوحيد سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ((أسماء شهادة أن لا إله إلا الله)):

المسألة الثانية ((معنى لا إله إلا الله)):

ما هو معنى الإله؟

((المسألة الثالثة)):

من الأشاعرة من ورد عنه المعنيان _في معنى الإله_، فهل من ذكر المعنيين أصاب أم أخطأ؟

المسألة الرابعة ـ ((علام يُطلق لفظ الإله؟)).

المسألة الخامسة ـ ((ما معنى لا إله إلا الله؟)).

المسألة السادسة ـ ((ما أركان لا إله إلا الله؟)).

المسألة السابعة ـ ((لماذا قدم النفي على الإثبات)).

المسألة الثامنة ـ ((شروط لا إله إلا الله)).

المسألة التاسعة ـ ((ألقاب شروط كلمة التوحيد)).

المسألة العاشرة ـ ((خواص لا إله إلا الله)).

المسألة الحادية عشرة ـ ((هل يجوز نطقها بغير العربية)).

فصل: في الكلام على شهادة التوحيد ((لا إله إلا الله))

والكلام على كلمة التوحيد سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ((أسماء شهادة أن لا إله إلا الله)):

أطلق عليها الكثير من الألقاب والأسماء، وقد جمع لها بعض العلماء [1] **أربعة وعشرين اسمًا، ومن أسماء كلمة التوحيد:**

أ ـ كلمة التوحيد:

لأنها عنوان التوحيد، ونفي الشرك بالله –تعالى–، ففيها إثبات العبودية له –تعالى– ونفيها عما سواه.

ب ـ كلمة الإخلاص:

لأن مدارها على إخلاص التوحيد لله –تعالى–، وإخلاص العبودية لله –تعالى–

ج ـ كلمة الإحسان:

قال –تعالى–:﴿هَلْ جَزاء الإحْسانِ إلاَّ الإحْسان﴾ [الرحمن:60].

❖ قال ابن عباس –رضي الله عنهما–:

((هَلْ جَزَاءُ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَعَمِلَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الْجَنَّةُ؟)) [2].

د ـ الكلمة الطيبة:

قال –تعالى–:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

---

(1) ـ كالبيضاوي، وغيره.

(2) ـ تفسير البغوي (343/4) ط (دارإحياء التراث العربي).

﴿ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[إبراهيم:24].

هـ ـ الكلمة الثابتة:

للآية السابقة.

و ـ العروة الوثقى:

قال الله –تعالى–:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[البقرة:256]. يعني: بكلمة لا إله إلا الله.

ز ـ كلمة التقوى:

قال –تعالى–:﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[الفتح:26].

ح ـ كلمة الصدق:

قال –تعالى–:﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:33].

عن ابن عباس –رضي الله عنها–:﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ يقول:((من جاء بلا إله إلا الله)) [1].

ط ـ الكلمة الباقية:

رُوي عن جماعة من المفسرين أنهم قالوا في تفسير قوله –تعالى–:

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾[الزخرف:28]، إنها قول لا إله إلا الله (2).

([1]) ـ تفسير الطبري (204/20) ط (دار هجر).

([2]) ـ تفسير الثوري، رقم:(871) صـ 270، تفسير الطبري (204/20) ط (دار هجر)، مختصر تفسير ابن كثير، الصابوني (288/3) ط (دار القرءان الكريم) بيروت.

ي ـ الكلمة العليا:

واستعلاء هذه الكلمة من وجوه:

الأول: لأن القلب إذا تجلى فيه نورُ هذه الكلمة تجلي فيه نورُ الربوبيةِ، ونورُ الألوهيةِ، ونورُ معرفةِ صفاتِ اللهِ وتعظيمهِ، فإذا تجلى نور التوحيد في القلب تبعه حصولُ قوةٍ وهيبةٍ ربانية، ولهذا السبب صار المدركون لهذه الكلمة العظيمة يستحقرون الأحوال الدنيوية، ويستحقرون عظم الملوك، ولا يبالون بالقتل، ولا يقيمون لشيء من طيبات الدنيا وزنًا، وكل ذلك يدل على استعلاء قوة هذه الكلمة.

وانظر إلى إيمان سحرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه الكلمة، كيف لم يلتفتوا إلى قطع الأيدي والأرجل؟ وانظر لصاحبي فتى الأخدود شُقَا بالمنشار فلم يعبئا بذلك، وصبرا عليه، وانظر لرسول الله سيدنا محمد –لله صلى الله عليه وسلم–، تحمل البلاء واللأواء –بأبي هو وأمي–، وانظر لصحابته الكرام –رضي الله عنهم– كيف تحملوا العذاب؟ وهان عليهم كل شيء في سبيل الكلمة العليا، حتى مات منهم من مات أثناء تعذيبه –كـ "سمية" –رضي الله عنها–.

الثاني: استعلاؤها في الدنيا على سائر الأديان، كما قال –تعالى–:

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الفتح:28].

ك ـ كلمة العدل:

قال –تعالى–:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[النحل: ٩٠]، قَالَ: ((شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،﴿وَالْإِحْسَانِ﴾[النحل:90]،أَدَاءُ الْفَرَائِضِ..)) (1).

ل ـ الطيب من القول:

قال -تعالى-: ﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ الْقَوْلِ ﴾[الحج:24].

وأي كلمة هي أطهر وأطيب من هذه الكلمة؟!

وتأمل في قوله- تعالى-:﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:28]، فهذه نجاسة معنوية سببها الشرك، وهذه النجاسة الحاصلة بسبب الشرك والكفر لو دامت سبعين سنة أو أكثر تزول بذكر هذه الكلمة مرة واحدة، فأي كلمة أطيب وأطهر منها؟!

م ـ المثل الأعلى:

قال -تعالى-:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾[النحل:60].

عَنْ قَتَادَةَ:﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل: 60] قَالَ:

((شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) (2).

ن ـ كلمة السواء:

قال- تعالى-: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران:64].

على وجه من وجوه التفسير: معنى "كلمة سواء" يعني: كلمة التوحيد (3).

---

(1) ـ كتاب الدعاء، الطبراني (1583)، تفسير الطبري (335/14) ط (دار هجر).

(2) ـ تفسير الطبري (258/14) ط (دار هجر).

(3) ـ تفسير الطبري (478/5) ط (دار هجر).

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ:((كَلِمَةُ السَّوَاءِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) [1].

س ـ كلمة النجاة:

لأنها نجاة من عذاب الله لمن قالها بحقها، ونجاة من الخلود في النار

قال الله –تعالى–:﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48].

فهذه الآية صريحة في أن النجاة لا تحصل بدون الإيمان بلا إله إلا الله، وتحصل مع الايمان بلا إله إلا الله.

قال–تعالى–:﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر:41]، النجاة: وإنما النجاة في توحيد الله.

وعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: ((مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ)) [2].

ع ـ العهد:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ:﴿ إِلَّا مِنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 87].

قَالَ:((الْعَهْدُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَتَبَرَّأُ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَلَا يَرْجُو إِلَّا اللَّهَ)) [3].

---

(1) ـ تفسير الطبري (478/5) ط (دار هجر).

(2) ـ رواه مسلم (93).

(3) ـ تفسير الطبري (533/15) ط (دار هجر).

ف ـ دعوة الحق:

قال –تعالى–:﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾[الرعد: 14].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾[الرعد: 14].قَالَ:

((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) [1].

❖ **ومن أسماءها أيضًا:**

ص ـ القول السديد

ق ـ الدين

ر ـ الصراط

ش ـ كلمة الاستقامة

ت ـ مقاليد السموات والارض

ث ـ البِر

خ ـ كلمة الحق.

وغير ذلك من الأسماء التي ذكرها أهل العلم.

([1]) ـ تفسير الطبري (486/13) ط (دار هجر).

المسألة الثانية ((معنى لا إله إلا الله)):

اختلف الناس في معنى لا إله إلا الله.

سؤال: وما سبب الخلاف؟

الجواب: سببه راجع لأمور:

الأول: يختلف معنى لا إله إلا الله بحسب اختلاف الأصول العقدية التي ينطلق منها المبين لمعناها.

الثاني: حسب التقديرات –اللغوية– التي يراعيها الناظر.

تنبيه: من أشد المؤثرات في معناها (معنى لفظ الإله)، ولذلك سنركز على معنى الإله:

ما هو معنى الإله؟

اختلف الناس في معنى الإله على أقوال:

القول الأول:

معنى الإله: "المعبود"

وهذا قول جماهير المفسرين، واللغوين –عمومًا–.

وإليك شيئا من كلام أهل العلم واللغة في الباب:

ابن عباس:

فسر لفظ "الله" بأنه ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين [1].

([1]) ـ تفسير الطبري (121/1) ط (دار هجر).

قتادة:

قال قتادة:﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾{الزخرف:84}.

أي : يُعبد في السماء، ويُعبد في الأرض [1].

قال أبو إسحاق الزجاج (241): وهو نحوي العصر العباسي

((معنى قولنا الإله إنما هو الذي يستحق العبادة، وهو- تعالى- المستحقُ لها دونما سواه)) [2].

قال الزجاجي: (340 هـ):

((إله فِعَال بمعنى مفعول، كأنه مألوه، أي: معبود مستحقٌ للعبادة، يعبده الخلق ويُؤَلهونه)) [3].

قال ابن فارس (395 هـ):

((الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبُّد. فالإله الله -تعالى-، وسمّيَ بذلك لأنّه معبود. ويقال : تألّه الرجُل، إذا تعبّد)) [4].

قال الجوهري (393 هـ):

((أَله بالفتح إلاهة، أي عبد عبادة ..... والآلهة الأصنام سموها بذلك لاعتقادهم أن العبادة تحق لها....)) [5].

---

(1) ـ تفسير عبد الرزاق، رقم:(2795) (178/3)، تفسير الطبري (560/20) ط (دار هجر).

(2) ـ تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج (صـ 26).

(3) ـ اشتقاق أسماء الله، الزجاجي (صـ 24).

(4) ـ مقاييس اللغة، ابن فارس (127/1)

(5) ـ الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري (صـ 134).

يقول الطبري (310 هـ):

((هو الذي يألهُهُ كلُ شيء، ويعبده كلُ خلق)) [1].

ابن أبي زَمَنِين (399 هـ):

((هو المُوَحَّدُ في السماء وفي الأرض)) [2].

قال ابن تيمية:

((فإن الإله، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد)).

قال ابن كثير:

((وقوله –تعالى–:﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّماواتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ اخْتَلَفَ مُفَسِّرُو هذه الآية على أقوال، بعد اتفاقهم على إنكار قول الجهمية الأول القائلين– تعالى عن قولهم علوا كبيرًا– : بأنه فِي كُلِّ مَكَانٍ، حَيْثُ حَمَلُوا الْآيَةَ عَلَى ذلك، والأصح من الْأَقْوَالِ: أَنَّهُ الْمَدْعُوُّ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ، أَيْ يَعْبُدُهُ وَيُوَحِّدُهُ وَيُقِرُّ لَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَيُسَمُّونَهُ اللَّهَ وَيَدْعُونَهُ رَغَبًا وَرَهَبًا، إِلَّا مَنْ كَفَرَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلهٌ**﴾ [الزُّخْرُف:84] أَيْ هُوَ إِلَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، وَإِلَهُ مَنْ فِي الْأَرْضِ)) [3].

---

(1) ـ تفسير الطبري (121/1) ط (دار هجر).

(2) ـ تفسير القرءان العزيز، ابن ابي زمنين (196/4).

(3) ـ تفسير ابن كثير (240/3) ط (دار طيبة) ت: سامي بن محمد السلامة.

بل من الأشاعرة من قرر ذلك:

قال الإمام البيهقي:

((فمعنى الإله: المَعبود، وقول الموحدين: لا إله إلا الله معناه لا معبود غير الله)) [1].

قال أبو المظفر السمعاني (489 هـ):

((أي: معبود في السماء والأرض)) [2].

قال القرطبي (671 هـ):

((قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ نَفْيٌ وَإِثْبَاتٌ. أَوَّلُهَا كُفْرٌ وَآخِرُهَا إِيمَانٌ، وَمَعْنَاهُ لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ)) [3].

قال البيضاوي (685 هـ):

((الإله في الأصل لكل معبود، ثم غلب على المعبود بحق)) [4].

((الإله: فعال بمعنى المفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلاهة، أي: عبادة، أو أله ألها، أي تحير، فإن الفطن يدهش في معرفة المعبود، والعقول تتحير في كبريائه، فغلب على المعبود بحق)) [5].

---

(1) ـ الأسماء والصفات، البيهقي (صـ 27) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(2) ـ تفسير السمعاني (119/5).

(3) ـ تفسير القرطبي (170/2) بعد الآثر رقم:(798) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة.

(4) ـ تفسير البيضاوي (26/1).

(5) ـ تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (28/1).

قال السيوطي (911 هـ):

((«اللَّه لَا إلَه» أي لا معبود بحق في الوجود «إلَّا هُوَ)) [1].

قال البهوتي (1051 هـ):

((ومن ثم كان "لا إله إلا الله" توحيدًا، أي: لا معبود بحق إلا ذلك الواحد الحق)) [2].

القول الثاني:

المقصود بالإله "واجب الوجود"

وهذا مذهب الفلاسفة، وعندهم أخص وصف للإله هو **"واجب الوجود"**

القول الثالث:

المقصود بالإله: "القديم"

وهذا مذهب المعتزلة.

وعندهم أخص وصف للإله "القِدَم"

وهذا بناء على قولهم بنفي الصفات، المبني على أصلهم بأن الله –تعالى– لا يوصف إلا بالقِدَم، ومن قال: إن الصفات تقوم بالذات ووصفه بالصفات الواردة في النصوص الشرعية على هذا النحو فهو قائل بتعدد الآلهة.

فجعلوا القول بإثبات الصفات على وجه قيامِها بالذات من الشرك الذي يؤدي لتعدد الآلهة.

---

(1) ـ نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي (37/1).

(2) ـ كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي (37/1) ط (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان.

((القول الرابع)):

الإله معناه: "الخالق أو القادر"

وبهذا قال عدد من علماء أهل الكلام.

يقول البيهقي:

((الله: معناه من له الإلهية، وهي القدرة على الاختراع....)) [1].

يقول ابن فورك: حكاية عن أبي الحسن الأشعري:

((وفسر الألوهية بأنها القدرة على اختراع الجواهر والأعراض))

وقال: إن هذا أَسَدّ الأقوال

يقول الرازي:

((....قَالُوا: وَبِهَذَا الطَّرِيقِ عَرَفْنَا أَنَّ خَاصِّيَّةَ الْإِلَهِيَّةِ هِيَ الْقُدْرَةُ عَلَى الِاخْتِرَاعِ وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا طَلَبَ حَقِيقَةَ الْإِلَهِ، فَقَالَ:((وَما رَبُّ الْعالَمِينَ)) [الشُّعَرَاءِ: 23] قَالَ مُوسَى:((رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ))[الشُّعَرَاءِ: 26]..)) [2].

((تنبيه)):

جاء عدد من المتأخرين وقرروا أن الإله والرب بمعنى واحد.

وفي هذا يقول زيني دحلان:

((ليس الرب غير الإله بل هو الإله بعينه)) [3].

([1]) ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، البيهقي (صـ 49) طـ (دار الفضيلة) الرياض.

([2]) ـ التفسير الكبير، الرازي (217/32).

([3]) ـ المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (88/1) طـ (دار مدارج للنشر) السعودية.

((تنبيه أخر)):

((بعض الدارسين المعاصرين ينسب هذا القول إلى علماء الكلام بما يوحي بأنه قولهم جميعًا، وهذا غير صحيح، وإنما هو قول لكثير منهم، وكثير منهم يقرر القول الأول)) [1].

وترتب على هذا القول مفاسد، وهي:

أ ـ أن الإقرار بالربوبية هو أول واجب على العبيد.

وهذا من أعظم الباطل لمخالفته لنصوص القرءان والسنة، وما جاء به الأنبياء ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:36].

ب ـ إغفال توحيد الألوهية وعدم الاعتناء به، وهذا أوقع فئامًا منهم في الإشراك بالله، كالاستغاثة بغير الله من أموات وأولياء، وصرف ألوانًا من العبادات لغير الله من ذبح ونذر .....إلخ.

ج ـ أن هذا فتح أبواب الشرك على المسلمين، لأنهم ظنوا أن التوحيد هو إفراد الله بالربوبية.

تنبيه آخر:

بعض من فسر الإله "بالقادر على الاختراع" لا يقصد حصر معناه في هذا

---

(1) ـ المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (89/1) ط (دار مدارج للنشر) السعودية.

المعنى، وإنما يقصد أخص وصف الإله، وهو القدره على الاختراع، ولهذا بعض الأشاعرة نقلنا عنهم أنهم قالوا: إن معنى الإله هو "المعبود"

وورد عنهم القدرة على الاختراع، كالبيهقي -كما سبق وبيناه-

واستدل أصحاب هذا القول بأدلة:

((الدليل الأول)):

قال -تعالى- في قصة موسى وفرعون:﴿ **قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرض وَمَا بينهما إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَ**﴾{الشعراء:23 ـ 24}.

وجه الاستدلال: أن موسى -صلى الله عليه وسلم- أجابه بقوله: **(رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرض وَمَا بينهما)**، فلولا أن الإلهية بمعنى القدرة على الاختراع لم يكن جواب موسى -صلى الله عليه وسلم-:صائبًا [1].

((الدليل الثاني)):

قال -تعالى-:﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا**

---

(1) ـ **تنبيه: والجواب عن هذه الشبهات سيكون باختصار:**

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

الوجه الأول: أن فرعون لم يكن يسأل سؤال الاستفهام، وإنما يسأل سؤال الإنكار -لأنه كان ينكر وجود الله -على قول-، فناسب الجواب عليه بإقامة الحجة بدلائل الربوبية التي ستجره باللزوم للألوهية.

الوجه الثاني: أن فرعون سأل عن رب العالمين، فأجابه موسى -صلى الله عليه وسلم- بمقتضيات الربوبية.

الوجه الثالث: أنه أجابه بدواعي الربوبية من باب "ذِكر السبب الداعي للألوهية" وهو في هذا الموضع أكمل، حتى لا يسأله فرعون: "ولماذا أفرده بالإلوهية؟" فيعاود موسى -صلى الله عليه وسلم- الجواب بدواعي الربوبية.

﴿كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾{الأعراف:172}.

وجه الاستدلال: أن الله حين قرر الناس بالميثاق، خاطبهم بالربوبية، واكتفى منهم بالإقرار بالربوبية، فدل ذلك على أنه لا فرق بين الربوبية والألوهية، وأنهما بمعنى واحد [1].

((الدليل الثالث)):

أن العرب لا يطلقون لفظ الإله إلا لمن يعتقدون فيه أنه يستحق التعظيم ومن أعظم صفات التعظيم "القدرة على الاختراع" [2].

((الدليل الرابع)):

عَنْ البَرَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم] قَالَ:

---

(1) ـ **والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:**

الوجه الأول: هذا الاستدلال خارج النزاع؛ لأن غاية ما فيه جواز إطلاق الربوبية على الإلوهية، ونزاعنا ليس في صحة طلاق لفظ الرب على الإلوهية، وإنما في تحديد معنى الألوهية، وحصرها في القدرة على الاختراع.

الوجه الثاني: أن هذا الدليل حجة عليكم؛ لأنه يتعلق بميثاق الذر، وهو الميثاق الأول (والمواثيق ثلاثة: ميثاق فطرة، وميثاق ذر، وميثاق رسل)، ولو كانت الربوبية هي الألوهية لما جاءت الرسل بالميثاق الثاني -ميثاق الرسل- للتذكير بالميثاق الأول - ميثاق الذر- ومعلوم أن ميثاق الرسل يتعلق بالربوبية والألوهية، وأسه وأساسه الألوهية، والأدلة الشرعية طافحة بذلك، ومن أشهرها قوله تعالى:

((وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)).

(2) ـ **والجواب عن هذه الشبهة:**

كما سبق: هذا الاستدلال خارج النزاع؛ لأن غاية ما فيه جواز إطلاق الربوبية على الإلوهية، ونزاعنا ليس في صحة طلاق لفظ الرب على الإلوهية، وإنما في تحديد معنى الألوهية، وحصرها في القدرة على الاختراع.

((فِي القَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ)) [1].

وجه الاستدلال: لو كان معنى الربوبية يختلف عن معنى الألوهية؛ لسُئِل عنه العبد في قبره [2].

((الدليل الخامس)):

أن العرب كثيرًا ما تستعمل لفظ الإله بمعنى الرب، ولفظ الرب بمعنى الإله، وورد هذا في النصوص الشرعية.

((الصواب في المسألة)):

أن معنى الإله: "المعبود"

وهذا قول جماهير المفسرين، واللغوين –عمومًا–.

وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو الحق.

---

(1) ـ **صحيح:** رواه الترمذي (3120).

(2) ـ وفيما سبق جواب عن هذه الشبهة، فضلًا عن أن السؤال خُص بالربوبية؛ لأن المقام مقام ضعف ظاهر للعبد، فضلًا عن كون السؤال عن الربوبية هو سؤال عن الألوهية؛ لأن الربوبية والألوهية "إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا" كالإيمان، والإسلام.

((المسألة الثالثة)):

من الأشاعرة من ورد عنه المعنيان –في معنى الإله–، فهل من ذكر المعنيين أصاب أم أخطأ؟

نقول: في الجواب تفصيل:

أ ـ لو قصد أن هذا المعنى –الخالق القادر– من معاني الإله، فهذا حق؛ لأن الإله الحق لا بد أن يكون قادرًا خالقًا.

ب ـ وأما إن قصد أنَّ معنى –الخلق والقدرة– هو الأصل في معناه من اللغة والنصوص الشرعية، أو قصد أنه أخص وصف، فهذا باطل بلا شك.

لأنه مخالف لما قررته النصوص الشرعية، ومخالف لدعوة الأنبياء ولما قرره الصحابة –رضي الله عنهم–،ومن تبعهم، ومخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك مخالف لجماهير أهل العلم واللغة.

المسألة الرابعة ـ ((علام يُطلق لفظ الإله؟)):

الذين قالوا : إن الإله معناه المعبود اختلفوا فيما بينهم، علام يطلق لفظ الإله –والذي معناه المعبود–؟

((القول الأول)):

لفظ الإله لا يطلق إلا على المعبود بحق.

((القول الثاني)):

لفظ الإله يطلق على كل معبود سواء كان بحق أو بباطل.

وهذا قول جمهور أهل السنة والجماعة –الذين قالوا: بأن الإله هو المعبود.

سؤال: ولماذا نذكر هذا الخلاف وما فائدته؟

فائدته ستأتي عندما نتكلم عن تفسير لا إله إلا الله، وكيف سيكون للخلاف أثر في تفسير كلمة التوحيد.

المسألة الخامسة ـ ((ما معنى لا إله إلا الله؟)):

بناء على ما سبق ذكره من معنى الإله اختلف الناس في معنى لا إله إلا الله، على أقوال:

((القول الأول)):

معناها: "لا معبود بحق إلا الله" أو "لا معبود مستحق للعبادة إلا الله"

وهذا قول عامة أهل السنة والجماعة.

وقد قرر هذا المعنى بعض أهل الكلام، منهم:

القاضي عبد الجبار المعتزلي، وأبو منصور الماتردي، والزركشي، والقرافي والدردير، والصاوي.

واستدلوا على ذلك:

بأن لفظ الإله يطلق في اللغة وفي النصوص الشرعية على كل معبود سواء أكان بحق أو بباطل، فلابد من تقدير "بحق" ليدل على إفراد المعبود.

((القول الثاني)):

معناها: "لا معبود موجود إلا الله"

وقد قرر هذا القول عدد من العلماء الذين يقولون:(إنَّ لفظ الإله لا يطلق على الآلهة التي بباطل) وبه قال الطاهر بن عاشور.

قلت: وهذا القول ليس بسديد؛ لأنَّ إطلاق الإله على الآلهة التي تعبد بباطل فيه خلاف، والأدلة تدل على أنه يطلق عليها، ولذلك هذا القول فيه نظر.

((تنبيه)):

من العلماء من جزم ببطلان هذا القول؛ لأنه يلزم منه أن كل معبود يُعبد بحق أو باطل هو الله [1].

يقول الشيخ حافظ حكمي –رحمه الله– في "معارج القبول":

((فَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّهُ، لَا إِلَهَ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَلَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، إِلَّا اللَّهُ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ فَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَتَقْدِيرُ خَبَرِ لَا الْمَحْذُوفِ بِحَقٍّ هُوَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَمَا سَنُورِدُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا تَقْدِيرُهُ بِمَوْجُودٍ فَيُفْهَمُ مِنْهُ الِاتِّحَادُ، فَإِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَعْبُودُ، فَإِذَا قِيلَ: لا معبود موجودا إِلَّا اللَّهُ لَزِمَ مِنْهُ أَنَّ كُلَّ مَعْبُودٍ عُبِدَ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ هُوَ اللَّهُ فَيَكُونُ مَا عَبَدَهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ هِيَ اللَّهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ تَوْحِيدًا، فَمَا عُبِدَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ إِلَّا اللَّهُ)) (2).

---

(1) ـ وهو الشيخ: "حافظ حكمي" -رحمه الله-.

(2) ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول، حافظ حكمي (325/1) ط (دار الحديث) القاهرة.

قلت: وهذا فيه نظر؛ لأن من قرر هذا التفسير لمعنى لا إله إلا الله، لا يجوز إطلاق لفظ الإله إلا على الله، فلا يصح أن يكون هذا لازمًا لقولهم، -ولازم القول لا يُعد قولًا إلا بعد التزامه-، وإنما يصح هذا الإنكار على من فسرها بهذا المعنى من أصحاب وحدة الوجود -كما سيأتي- ولعل هذا مقصد الشيخ "حافظ" من الإنكار المقصود.

والغرض المقصود:أن محل الإنكار المذكور يصلح لمن قال بمذهب الحلول والاتحاد، ولا يصلح لمن يمنع من إطلاق لفظ الإله على من يُعبد بباطل، وبالله التوفيق.

((القول الثالث)):

معناها: "لا قادر إلا الله"

وهذا المعنى قرره كثير من علماء الكلام؛ بناء على أنّ معنى الإله عندهم القادر على الاختراع.

((القول الرابع)):

معناها: "لا موجود إلا الله"

وهذا مذهب أصحاب وحدة الوجود، والحلولية.

وهذا قول باطل؛لأنه مبني على أصول وحدة الوجود الكفرية، التي تستلزم صحة عبادة الأصنام، والأوثان، وأن عابديها على صواب، وأن الرسل ضيقوا على الناس واسعًا.

((والصواب من هذه الأقوال)):

أنَّ معناها: "لا معبود بحق إلا الله".

وهذا قول عامة أهل السنة والجماعة.

المسألة السادسة ـ ((ما أركان لا إله إلا الله؟)):

كلمة التوحيد لها ركنان:

الركن الأول: النفي.

الركن الثاني: الإثبات.

النفي: المقصود به الكفر بكل ما يُعبد من دون الله

الإثبات: إثبات استحقاق العبودية له –تعالى– دونما سواه.

((برهان ذلك)):

قال –تعالى–:﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:256].

قال الله –تعالى–:﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:36].

عَنْ طَارِقِ بْنِ أَشْيَمَ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–:**((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ))** [1].

([1]) ـ رواه مسلم (37).

المسألة السابعة ـ ((لماذا قدم النفي على الإثبات؟)):

ما الحِكمة من تقديم النفي على الإثبات –لا إله إلا الله–، مع أن الأصل في التوحيد أن نثبت لله –تعالى– ما تفرد به من خصائصه،والإثبات يمكن تصوره، بخلاف النفي.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة، ومنها:

التوجيه الأول:

تقديم النفي على الإثبات: إنما كان لشدة النفور من الشرك والكفر.

التوجيه الثاني:

تقديم النفي على الإثبات: من باب التخلية قبل التحلية؛ لأن في النفي تفريغ للقلب، فإذا كان القلب خاليًا، كان أقرب إلى رسوخ التوحيد فيه، وهذا منهج قرءاني،قال الله –تعالى–:﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[البقرة:256].

التوجيه الثالث:

تقديم النفي على الإثبات: لأنه أبلغ في الدلالة والتأكيد، فقولك: ليس في البلد عالم إلا فلان، أبلغ في التأكيد من قولك: لا عالم سواه.

التوجيه الرابع:

تقديم النفي على الإثبات: لأن الكفر بالأصنام مقدم على الإيمان بالله، فلا يمكن للمسلم أن يتم إيمانه حتى يكفر بالطاغوت.

المسألة الثامنة ـ ((شروط لا إله إلا الله)):

اتفق أهل الإسلام أنَّ الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، لا بد لها من شروط حتى تكون صحيحة وينتفع بها قائلها.

وقد دلت على ذلك (أن كلمة التوحيد لها شروط) نصوص شرعية، ومنها:

((الدليل الأول)):

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي مَسِيرٍ، قَالَ: فَنَفِدَتْ أَزْوَادُ الْقَوْمِ، قَالَ: حَتَّى هَمَّ بِنَحْرِ بَعْضِ حَمَائِلِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ جَمَعْتَ مَا بَقِيَ مِنْ أَزْوَادِ الْقَوْمِ، فَدَعَوْتَ اللهَ عَلَيْهَا، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَجَاءَ ذُو الْبُرِّ بِبُرِّهِ، وَذُو التَّمْرِ بِتَمْرِهِ، قَالَ: وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَذُو النَّوَاةِ بِنَوَاهُ، قُلْتُ: وَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِالنَّوَى؟ قَالَ: كَانُوا يَمُصُّونَهُ وَيَشْرَبُونَ عَلَيْهِ الْمَاءَ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهَا قَالَ حَتَّى مَلَأَ الْقَوْمُ أَزْوِدَتَهُمْ، قَالَ: فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ:((**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**)) [1].

وجه الاستدلال: دل الحديث على شرط **"اليقين"** قوله: **"غَيْرَ شَاكٍّ"**.

((الدليل الثاني)):

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ:أَخْبَرَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ –وَزَعَمَ مَحْمُودٌ أَنَّهُ عَقَلَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، وَقَالَ:وَعَقَلَ مَجَّةً مَجَّهَا مِنْ دَلْوٍ كَانَتْ فِي دَارِهِمْ – قَالَ:

([1]) ـ رواه مسلم (44).

سَمِعْتُ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الأَنْصارِيَّ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي سَالِمٍ، قَالَ: غَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقَالَ:((**لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ**)) [1].

وجه الاستدلال:الحديث فيه شرط "**الإخلاص**"، في قوله:"**يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ**"

((الدليل الثالث))

الإجماع. (وهو إجماع جُملي، وإجماع تفصيلي):

إجماع جملي:أن أهل العلم أجمعوا جملة أن كلمة التوحيد لها شروط، وهذا ظاهر معلوم معروف في كلامهم.

إجماع تفصيلي: وهو الإجماع على على شرط بعينه، كشرط العلم، فقد أجمع العلماء عليه.

سؤال: وهل ورد في كلام السلف أنَّ لكلمة التوحيد شروطًا؟

الجواب: نعم ورد في كلام السلف، ومن ذلك:

الحسن البصري (110 هـ):

قال الحسن للفرزدق [2] وهو يدفن امرأته:((ما أعددت لهذا اليوم؟))

قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

([1]) ـ رواه البخاري (415)، ومسلم (263).

([2]) ـ همام بن غالب التميمي الدارمي أبو فارس الشهير بالفرزدق شاعر بليغ من أهل البصرة عظيم الأثر في اللغة من الطبقة الأولى في الإسلاميين كانت وفاته في بادية البصرة سنة عشر ومائة هجرية، وكلمة الحسن له تعريض بما كان الفرزدق يقوله في شعره من هجر القول.

انظر ترجمته في: "خزانة الأدب للبغدادي (105/1 ـ 108)، وفيات الأعيان (196/2)، الأعلام (96/9 ـ 97).

قال الحسن:((نعم العدة لكن لـ "لا إله إلا الله" شروط فإياك وقذف المحصنة))، وقيل للحسن: إن ناساً يقولون من قال: "لا إله إلا الله" دخل الجنة؟ فقال: **((من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة))** [1].

وهب بن منبه (114 هـ):

وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ:**((بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ))** [2].

ومن المتكلمين من نص على أن كلمة التوحيد لها شروط:

قال عبد القادر البغدادي –وهو من أئمة الأشاعرة– قال:

((الركن الأول من أركان الإسلام الإسلام، كما ورد به الخبر: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ولهذه الشهادة شروط)) [3].

خلاصة الكلام:

اتفق أهل الإسلام على أنَّ الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، لا بد لها من شروط حتى تكون صحيحة وينتفع بها قائلها.

واختلفوا في تحديد هذه الشروط –وسيأتي بيان ذلك–.

---

(1) ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (صـ 13 ـ 14).

(2) ـ رواه البخاري (بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ :لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

(3) ـ أصول الدين (صـ 188).

اختلفت عبارات أهل العلم في التعبير عن المعاني اللازم توافرها في الانتفاع بالشهادة، ومن ذلك:

(الشرط): بعضهم يعبر عنها بالشرط.

(الأركان): بعضهم عبر عنها بالركن.

(الفرض): بعضهم عبر عنها بالفرض [1].

وهذا إن دل يدل على أهمية هذا الشرط وعظمه.

والأمر في التسمية سهل.

((تنبيه مهم)):

هناك فرق بين مقام البحث في شروط الدخول في الإسلام، وبين مقام البحث في شروط الانتفاع بوصف الإسلام للمعين.

فالمقام الأول: (شروط البحث في شروط الدخول في الإسلام):

توسعت فيه الشريعة، فيكفي في الحكم على المعين بالإسلام، أن يقصد الدخول فيه مع المجيء بالقول، أو الفعل الدال على ذلك.

والمقام الثاني: (شروط الانتفاع بوصف الإسلام للمعين):

فهذا لابد فيه من توفر شروط الشهادة [2].

فهذه الشروط هي عبارة عن:

أ ـ شروط للصحة.

---

(1) ـ المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (107/1) ط (دار مدارج) السعودية.

(2) ـ المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (106/1) ط (دار مدارج) السعودية.

ب ـ شروط لحصول الزيادة في الانتفاع والارتقاء في معارجها

ومن هنا تظهر حاجة كل المسلمين لمعرفة هذه الشروط، ليرتقي في إيمانه وتوحيده.

وذلك لأن الناس يتفاضلون في المجيء بشهادة التوحيد:

يقول ابن القيم:

((فإنّ من الناس من تكون شهادته ميتة، ومنهم من تكون نائمةً إذا نبهت انتبهت، ومنهم من تكون مضطجعةً، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب. وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن، فروح ميتة وروح مريضة إلى الموت أقرب، وروح إلى الحياة أقرب، وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن)) [1].

المسألة العاشرة ـ ((خواص لا إله إلا الله)):

أ ـ جميع حروفها جوفية، وليس فيها من الحروف الشفهية، وفي هذا إشارة للإتيان بها من خالص الجوف وهو القلب، لا مجرد الشفتين.

وكذلك فيها أنه يمكن النطق بها دون شعور من أمامك لأنك لا تحتاج إلى تحريك الشفتين كما كان يقول ابن حزم.

قال ابن حزم –رحمه الله–:

((أكثروا من قول "لا إله إلاّ الله" فإنها ألفاظ تتم بحركة اللسان دون حركة لشفتين فلا يشعر بذلك الجليس!)) [2].

---

(1) ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم (458/1) ط (عالم الفوائد).

(2) ـ التلخيص لوجوه التخليص، ابن حزم (100/1) ط (دار ابن حزم) بيروت ـ لبنان.

ب ـ ليس فيها حرف معجم بل جميعها متجردة عن النقط، إشارة إلى التجرد عن كل معبود سوى الله.

ج ـ من قالها عند موته دخل الجنة.

وقد سبق وذكرنا بعض الفضائل والخصائص للتوحيد [1].

المسألة الحادية عشرة ـ ((هل يجوز نطقها بغير العربية)):

يجوز للأعجمي إذا أراد الدخول في الإسلام أن ينطق الشهادتين بلغته، ويصح إسلامه بذلك، ولو كان يعرف العربية؛ لأن المقصود من التلفظ بالشهادتين الإخبار عما في القلب، وهو حاصل بأي لغة.

قال الإمام الماوردي–رحمه الله–:

((فَأَمَّا لَفْظُ الشَّهَادَتَيْنِ فَقَدْ كَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْإِصْطَخْرِيُّ يَقُولُ: لَا يَصِحُّ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ فعلى قوله يَسْقُطُ الِاسْتِدْلَالُ، وَأَمَّا جُمْهُورُ أَصْحَابِنَا وَهُوَ ظَاهِرُ مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ يَجُوزُ بِالْفَارِسِيَّةِ مِمَّنْ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَذْكَارِ الصَّلَاةِ :أَنَّ أَذْكَارَ الصَّلَاةِ مَشْرُوعَةٌ عَلَى وَصْفٍ لَمْ يُعْقَلْ مَعْنَاهُ فَلَزِمَ الْإِتْيَانُ بِهِ عَلَى الصِّفَةِ الْمَشْرُوعَةِ، وَالْمَقْصُودُ بِالشَّهَادَتَيْنِ الْإِخْبَارُ عَنِ التَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَهَذَا الْمَعْنَى يَسْتَوِي فِيهِ لَفْظُ الْفَارِسِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ)) [2].

قال الإمام النووي –رحمه الله–:

((إِذَا أَقَرَّ بِالشَّهَادَتَيْنِ بِالْعَجَمِيَّةِ وَهُوَ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ فَهَلْ يُجْعَلُ بِذَلِكَ مُسْلِمًا

---

(1) ـ انظر (صـ 11)

(2) ـ الحاوي الكبير، الماوردي (96/2) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

فِيهِ وَجْهَانِ لِأَصْحَابِنَا الصَّحِيحُ مِنْهُمَا أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا لِوُجُودِ الْإِقْرَارِ وَهَذَا الْوَجْهُ هُوَ الْحَقُّ وَلَا يَظْهَرُ لِلْآخَرِ وَجْهٌ وَقَدْ بَيَّنْتُ ذَلِكَ مُسْتَقْصًى فِي شَرْحِ الْمُهَذَّبِ وَاللَّهُ أعلم)) [1].

(1) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (134/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

((قواعد تأصيلية في توحيد الألوهية))

((القاعدة الأولى))

((الكفر والشرك يطلق في الشريعة ويُراد به الكفرُ الأكبر تارة، والكفرُ الأصغر تارة أخرى))

والكلام على هذا الأصل سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ـ ((معنى القاعدة)).

المسألة الثانية ـ تعريف الكفر، والشرك.

المسألة الثالثة ـ ((الأدلة والتطبيقات على هذه القاعدة)).

أنواع الكفر الأكبر.

المسألة الرابعة ((الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر)).

المسألة الخامسة: ((الفرق بين الشرك والكفر)).

((فرع على الأصل السابق)).

هل التقسيم: (الأصغر والأكبر) يختص بالشرك والكفر فقط؟

((القاعدة الأولى))

((الكفر والشرك يطلق في الشريعة ويُراد به الكفرُ الأكبر تارة، والكفرُ الأصغر تارة أخرى))

والكلام على هذا الأصل سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ـ ((معنى القاعدة)):

أن ألفاظ الشرك والكفر الواردة في النصوص الشريعة تارة يُراد بها الشرك الأكبر وتارة يُراد بها الشرك الأصغر، ولكل قسم من القسمين حكمه المختلف عن القسم الآخر فى أحكام الدنيا والآخرة، ويوجد بينهما فوارق–وسيأتي الكلام على هذه الفوارق والأحكام في بابها إن شاء الله–.

المسألة الثانية ـ تعريف الكفر، والشرك:

الكُفر في اللغة: الستر والتغطية.

قال ابن فارس: (كَفَرَ) الْكَافُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ السَّتْرُ وَالتَّغْطِيَةُ.

يُقَالُ لِمَنْ غَطَّى دِرْعَهُ بِثَوْبٍ: قَدْ كَفَرَ دِرْعَهُ. وَالْمُكَفِّرُ: الرَّجُلُ الْمُتَغَطِّي بِسِلَاحِهِ.

وَيُقَالُ لِلزَّارِعِ كَافِرٌ، لِأَنَّهُ يُغَطِّي الْحَبَّ بِتُرَابِ الْأَرْضِ.

قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–:﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾{الحديد: 20}.

وَالْكُفْرُ: ضِدُّ الْإِيمَانِ، سُمِّيَ لِأَنَّهُ تَغْطِيَةُ الْحَقِّ. وَكَذَلِكَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ:

جُحُودُهَا وَسَتْرُهَا)) [1].

وقال الأزهري:

((وَيُقَال: كافَرَني فلانٌ حَقي إِذا جَحده حقَّه والكفَّارَاتُ سمِّيت كفاراتٍ لِأَنَّهَا تُكفِّرُ الذنوبَ أَي تستُرها مِثل كَفَّارَة الْأَيْمَان، وَكَفَّارَة الظِّهَارِ، والقَتل الْخَطَأ، قد بَينهَا الله –جلّ وَعز– فِي كِتَابه وَأمر بهَا عباده)) [2].

قال القاسم بن سلام:

((وَأما الْكَافِر فَيُقَال –وَالله أعلم–: إِنَّمَا سمي كَافِرًا لِأَنَّهُ متكفر بِهِ كالمتكفر بِالسِّلَاحِ وَهُوَ الَّذِي قد ألبسهُ السِّلَاح حَتَّى غطى كل شَيْء مِنْهُ وَكَذَلِكَ غطى الْكفْر قلب الْكَافِر وَلِهَذَا قيل لِلَّيْلِ كَافِر لِأَنَّهُ ألبس كل شَيْء)) [3].

قال ابن قتيبة:

((أما الْكَافِر فَهُوَ من قَوْلك كفرت الشَّيْء إِذا غطيته وَمِنْه يُقَال تكفر فلَان فِي السِّلَاح إِذا لبسه وَقَالَ بَعضهم وَمِنْه كافور النّخل وَهُوَ قشر الطلعة تَقْدِيره فاعول لِأَنَّهُ يُغطي الكفرى وَمِنْه قيل ليل كَافِر لِأَنَّهُ يستر كل شَيْء)) [4].

والكفر نقيض الإيمان، والكافر إذا أطلق يراد به من لا يؤمن بالله.

---

(1) ـ مقاييس اللغة، ابن فارس (191/5).
(2) ـ تهذيب اللغة، الأزهري (114/10).
(3) ـ غريب الحديث، القاسم بن سلام (13/3).
(4) ـ غريب الحديث، ابن قتيبة (247/1).

الكفر اصطلاحًا: هو نقيض الإيمان، سواء كان بالقلب أو اللسان أو الأعمال فعلًا وتركًا.

والمتفق عليه عند أهل السنّة: أن الإيمان اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح، والكفرُ نقيضُه، فيكون (بالقلب، واللسان، والجوارح):

بالقلب: كعدم تصديق القلب، أو اعتقاد إله مع الله، أو جحد وحدانية الله، أو بُغض النبي –صلى الله عليه وسلم– أو دين الإسلام، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه أفضل مِن حكم الشريعة أو مساوٍ لها أو أنه مباح.

باللسان: كالتلفظ بألفاظ الكفر كَسَبّ الله ورسوله أو الاستهزاء بالدين، أو بترك الشهادتين.

بالأعمال: كالسجود للصنم، أو ترك العبادات والواجبات بالكليّة.

قال سفيان بن عيينة:

((.... وَتَرْكُ الْفَرَائِضِ مُتَعَمِّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ وَلَا عُذْرٍ هُوَ كُفْرٌ، وَبَيَانُ ذَلِكَ فِي أَمْرِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِبْلِيسَ وَعُلَمَاءِ الْيَهُودِ، أَمَّا آدَمُ فَنَهَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَحَرَّمَهَا عَلَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا مُتَعَمِّدًا لِيَكُونَ مَلَكًا أَوْ يَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ فَسُمِّيَ عَاصِيًا مِنْ غَيْرِ كُفْرٍ، وَأَمَّا إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ فُرِضَ عَلَيْهِ سَجْدَةٌ وَاحِدَةٌ فَجَحَدَهَا مُتَعَمِّدًا فَسُمِّيَ كَافِرًا، وَأَمَّا عُلَمَاءُ الْيَهُودِ فَعَرَفُوا نَعْتَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولٌ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَأَقَرُّوا بِهِ بِاللِّسَانِ وَلَمْ يَتَّبِعُوا شَرِيعَتَهُ فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُفَّارًا، فَرُكُوبِ الْمَحَارِمِ مِثْلُ ذَنْبِ آدَمَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَمَّا تَرْكُ الْفَرَائِضِ جُحُودًا فَهُوَ كُفْرٌ مِثْلُ كُفْرِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَتَرْكُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنْ غَيْرِ جُحُودٍ فَهُوَ كُفْرٌ مِثْلُ كُفْرِ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-)) [1].

قال ابن تيمية:

((وَالْكُفْرُ لَا يَخْتَصُّ بِالتَّكْذِيبِ؛ بَلْ لَوْ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ إنَّك صَادِقٌ لَكِنْ لَا أَتَّبِعُك بَلْ أُعَادِيك وَأُبْغِضُك وَأُخَالِفُك وَلَا أُوَافِقُك لَكَانَ كُفْرُهُ أَعْظَمَ؛ فَلَمَّا كَانَ الْكُفْرُ الْمُقَابِلُ لِلْإِيمَانِ لَيْسَ هُوَ التَّكْذِيبُ فَقَطْ عُلِمَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ هُوَ التَّصْدِيقُ فَقَطْ بَلْ إذَا كَانَ الْكُفْرُ يَكُونُ تَكْذِيبًا وَيَكُونُ مُخَالَفَةً وَمُعَادَاةً وَامْتِنَاعًا بِلَا تَكْذِيبٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ تَصْدِيقًا مَعَ مُوَافَقَةٍ وَمُوَالَاةٍ وَانْقِيَادٍ لَا يَكْفِي مُجَرَّدُ التَّصْدِيقِ؛ فَيَكُونُ الْإِسْلَامُ جُزْءَ مُسَمَّى الْإِيمَانِ كَمَا كَانَ الِامْتِنَاعُ مِنْ الِانْقِيَادِ مَعَ التَّصْدِيقِ جُزْءَ مُسَمَّى الْكُفْرِ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمًا مُنْقَادًا لِلْأَمْرِ وَهَذَا هُوَ الْعَمَلُ)) [2].

تعريف الشرك:

الشرك لغة: يطلق على معان متعددة، ومن أشهرها وأكثرها استعمالًا: "**المشاركة، والمخالطة**" سواء أكانت فيهما مساواة بين المشاركين أو لا.

---

(1) ـ كتاب "السنة"، لعبد الله بن أحمد (745).

(2) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (292/7) ط (مكتبة ابن تيمية) القاهرة.

يقول ابن فارس:

(((شَرَكَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى مُقَارَنَةٍ وَخِلَافِ انْفِرَادٍ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى امْتِدَادٍ وَاسْتِقَامَةٍ فَالْأَوَّلُ الشِّرْكَةُ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ بَيْنَ اثْنَيْنِ لَا يَنْفَرِدُ بِهِ أَحَدُهُمَا. وَيُقَالُ: شَارَكْتُ فُلَانًا فِي الشَّيْءِ، إِذَا صِرْتَ شَرِيكَهُ. وَأَشْرَكْتُ فُلَانًا، إِذَا جَعَلْتَهُ شَرِيكًا لَكَ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي قِصَّةِ مُوسَى:﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 32] وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ: "اللَّهُمَّ أَشْرِكْنَا فِي دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ"، أَيِ اجْعَلْنَا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِي ذَلِكَ، وَشَرِكْتُ الرَّجُلَ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكَهُ)) [1].

الشرك اصطلاحًا:

له تعريفات كثيرة، ومن أجمعها:

((هو جعلُ شيءٍ من خصائصِ اللهِ لغيرِ اللهِ –تعالى–))

أو: إشراكُ غيرِهِ في شيءٍ من متعلقاتِ خصائصهِ وأحكامِها)) [2].

"هو جعلُ شيءٍ":وصف عام يشمل ما يقوم به العبدُ سواء كان قلبيًا أو عمليًا

وعُبِر بلفظ "الجعل": لأنه الوارد في القرءان ((فلا تجعلوا لله أندادًا))

"شيء": لأن الشرك في الشريعة لا يتعلق بالمساواة في كل شيء، فكل من جعل شيئًا من خصائص الخالق للمخلوق فقد أشرك، حتى ولو لم يسوِ.

كمن نسب لمخلوق إحياء الموتى، وقال: هو دون إحياء الله.

---

(1) ـ مقاييس اللغة، ابن فارس (265/3).

(2) ـ المسلك الرشيد إلى شرح كتاب التوحيد، سلطان العميري (213/1) ط (دار مدارج للنشر) السعودية.

فهذا شرك مع أنه لم يسوِ.

ولهذا في بعض التعريفات للشرك يقيدون بالمساواة، وهذا ليس بدقيق.

"خصائص الله": قيد للتمييز، والمراد بخصائص الله:

الأمور والمعاني التي لا تثبت إلا له –تعالى– ولا تثبت لغيره.

وما يختص الله به نوعان:

أ ـ ما يختص الله به في أصله، وكماله.

ب ـ ما يختص الله بكماله.

أ ـ ما يختص الله به في أصله:

(كالألوهية، والكبرياء، ونحوهما)

ب ـ ما يختص الله بكماله:

مع وجود قدر مشترك –كما سبق وبيناه في غير هذا الموضع [1]–كصفات

---

(1) ـ انظر كتابي " **شرح متن أصول اهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى**" يسر الله بظهوره وطباعته.
ومختصره، وهو **"مختصر شرح أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى" سؤال وجواب.**
وهو موجود عل الشبكة العنكبوتية.
ومختصر الكلام في القدر المشترك في الصفات:
ما من صفة بين الخالق والمخلوق إلا وبينهما قدر مشترك، وقدر فارق.
فالقدر المشترك: (يتعلق باللفظ والمعنى).
والقدر الفارق: (يكون في الكيفية، والكنه).
أقسام الناس في القدر المشترك:
أ ـ نفاة القدر المشترك: (وهم: المعطلة، من جهمية ومعتزلة، ويدخل معهم الملفقة المخلطة -الأشاعرة والماتردية- دخولًا جزئيًا).
ب ـ مُقِرُّو القدر المشترك اللفظي فقط (وهم: المفوضة) =

العلم والقدرة والسمع والبصر....إلخ، فيتصف بها الخالق والمخلوق مع وجود القدر المشترك، والفارق.

"لغير الله": قيد في عموم يشمل كل المخلوقات -إنس أو جن أو ملائكة، وغيرها-.

المسألة الثالثة ـ ((الأدلة والتطبيقات على هذه القاعدة)):

قد جاءت النصوص في القرآن والسنة تدل على وجود نوعين من الشرك (الشرك الأكبر، والشرك الأصغر).

((أمثلة الشرك الأكبر في كتاب الله)):

أ ـ قوله -تعالى-:﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾{المائدة:17}.

وجه الاستدلال: أنهم زعموا أن المسيح -عليه السلام- (المخلوق) هو الله، ومن زعم أن مخلوقًا من مخلوقات الله هو الله فهذا كفر أكبر بإجماع المسلمين.

ب ـ قال -تعالى-:﴿**والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ**

= ج ـ **مذهب أهل الحق، (أهل السنة والجماعة):** أنه لا يلزم من وجود القدر المشترك التمثيل.

وفائدة وجود القدر المشترك: لفهم الخطاب؛ وذلك لأن المُخَاطَب لا يفهم المعاني المُعَبَّر عنها إلا إذا عَرف معانيها، ولا يمكن تفهيم الخطاب للمُخَاطَب دون معرفة اللفظ.

﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾{البقرة:39}.

وجه الاستدلال: بين الله أنهم خالدون في النار، والخلود في النار إنما يكون للكافرين الكفر الأكبر.

ج ـ قال –تعالى–:﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا﴾{الرعد:43}.

وجه الاستدلال: كفرهم الله للتكذيب برسالة النبي ه، والتكذيب برسالة النبي كفر أكبر بالإجماع.

د ـ قال الله –سبحانه تعالى–:﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾{البقرة:217}.

وجه الاستدلال: أن الله جعل الكفر المذكور سببًا لحبوط العمل، وحبوط العمل بالكلية إنما يكون للكافر الكفر الأكبر.

هـ ـ قال –تعالى–:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾

وجه الاستدلال: الآية نزلت في المشركين من قوم النبي– صلى الله عليه وسلم –(لما قالوا له تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة) وقوم النبي من المشركين كفرهم من الكفر الأكبر.

و ـ قال –تعالى–:﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾{آل عمران: 12}.

أشهر ما ورد فيه أنها نزلت في اليهود بعد غزوة بدر لما قالوا للنبي–صلى الله

عليه وسلم- بعد انتصاره في غزوة بدر على المشركين:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ:((**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**))، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ:﴿**قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ**﴾[آل عمران] قَرَأَ مُصَرِّفٌ إِلَى قَوْلِهِ:﴿**فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[آل عمران] بِبَدْرٍ ﴿**وَأُخْرَى كَافِرَةٌ**﴾[آل عمران] [1].

وعلى هذا التفسير فالمراد والمقصود بها اليهود واليهود كفرهم كفر أكبر،

قال- تعالى-:﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ**﴾[سبأ : 3].

ز ـ **وجه الاستدلال**: أنهم يكذبون بالساعة، والتكذيب بالبعث والقيامة كفر أكبر بإجماع المسلمين.

ح ـ قال- تعالى-:﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**﴾[التغابن : 7].

وجه الاستدلال: كالسابق.

والأمثلة في الباب على الكفر الأكبر في القرءان كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.

❖ **تنبيه**: واعلم أن إطلاق لفظ الكفر الأكبر، والشرك الأكبر في كتاب الله أكثر من إطلاق لفظ الشرك والكفر الأصغر.

---

(1) ـ **ضعيف**: رواه ابو داود (3001).

ومن الأمثلة من السُّنة على الكفر الأكبر:

وقد ورد في السنة نصوص تدل على الكفر الأكبر، ومن ذلك:

أ ـ عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا:((**أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**)) [1].

وجه الاستدلال: المقصود بالكفر البواح الكفر المخرج من الملة.

أنواع الكفر الأكبر:

الكفر الأكبر له أنواع كثيرة، وإليك شيء من ذلك:

قال ابن القيم:

((وَأَمَّا الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، فَخَمْسَةُ أَنْوَاعٍ: كُفْرُ تَكْذِيبٍ، وَكُفْرُ اسْتِكْبَارٍ وَإِبَاءٍ مَعَ التَّصْدِيقِ، وَكُفْرُ إِعْرَاضٍ، وَكُفْرُ شَكٍّ، وَكُفْرُ نِفَاقٍ)) [2].

1 ـ ((كفر العِناد)):

قال -تعالى-:﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾{ق : 24}.

([1]) ـ رواه البخاري (7055)، ومسلم (1709).

([2]) ـ تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، هذبه "عبد المنعم صالح" (صـ 174) طـ (دار النشر للجامعات) القاهرة.

وقال –تعالى–:﴿كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾{المدثر : 16}.

ومثال الكفر عنادًا: كفر أبي طالب، فإنه صدق الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر.

2 ـ ((كفر الإنكار)):

ويسمى كفر التكذيب.

وهو أن يكفر بقلبه ولسانه (فلا يعرف الله ولا يعترف به) وهو ككفر الملحدين

قال–تعالى–:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَما جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾{لعنكبوت:68}.

–تعالى–:﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾{النحل:83}

يقول ابن القيم:

((فَأَمَّا كُفْرُ التَّكْذِيبِ فَهُوَ اعْتِقَادُ كَذِبِ الرُّسُلِ،وَهَذَا الْقِسْمُ قَلِيلٌ فِي الْكُفَّارِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَيَّدَ رُسُلَهُ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْآيَاتِ عَلَى صِدْقِهِمْ مَا أَقَامَ بِهِ الْحُجَّةَ، وَأَزَالَ بِهِ الْمَعْذِرَةَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾{النمل:14} وَقَالَ لِرَسُولِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ {الأنعام: 33}.)) [1].

([1]) ـ تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، هذبه "عبد المنعم صالح" (صـ 174) طـ (دار النشر للجامعات) القاهرة.

3 ـ ((كفر الكبر)):

ككفر إبليس فإنه لم يجحد أمر الله أو ينكره، ولا قابله بالإنكار، لكنه استكبر وأبى الانقياد لله –تعالى–.

قال –تعالى–:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾{البقرة:34}.

وقال –تعالى–:﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾{الشعراء: 111}.

وقوله –تعالى–:﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾{القصص: 39}.

وقوله –تعالى–:﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾{الزمر : 59}.

4 ـ ((كفر الجحود)):

وهو أن يعترف بقلبه ولا يقرّ بلسانه، ككفر فرعون بموسى، وكفر اليهود بمحمد –صلى الله عليه وسلم–،فإنهم كانوا يعلمون الحق لكنهم لم يُقرّوا به قال (تعالى) مبيّناً حال الجاحدين من الكافرين:﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾{النمل: 14}.

ويقول –تعالى– في حق اليهود:﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ {البقرة: 89}.

وقال –تعالى– في حق اليهود:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾{البقرة: 146}.

وقال موسى –عليه السلام– لفرعون:﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَافِرْعَونُ مَثْبُورًا﴾{الإسراء:102}.

فعلم فرعون أن ما جاء به موسى –صلى الله عليه وسلم– هو الحق ولكنه يتظاهر بإنكاره ظلمًا وعلوًّا وإبقاءً على ملكه.

وكفر الجحود نوعان:

الأول: جحود عام (أن يجحد جملةَ ما أنزله الله، وإرسالَهُ الرسولِ)

حكمه: وهذا كفر أكبر

الثاني: جحود خاص مقيد (أن يجحد فرضًا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم، أو صفة من صفات الله.....ونحو ذلك).

حكمه: إن فعله جهلًا أو تأويلًا معتبرًا، فإنه يُعذر، وإن جحده عامدًا عالمًا فهو كفر أكبر.

وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم:

((**وَكُفْرُ الْجُحُودِ نَوْعَانِ:** كُفْرٌ مُطْلَقٌ عَامٌّ، وَكُفْرٌ مُقَيَّدٌ خَاصٌّ.

فَالْمُطْلَقُ: أَنْ يَجْحَدَ جُمْلَةَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَإِرْسَالَهُ الرَّسُولَ.

وَالْخَاصُّ الْمُقَيَّدُ:أَنْ يَجْحَدَ فَرْضًا مِنْ فُرُوضِ الْإِسْلَامِ،أَوْ تَحْرِيمَ مُحَرَّمٍ مِنْ مُحَرَّمَاتِهِ، أَوْ صِفَةٍ وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ خَبَرًا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، عَمْدًا، أَوْ تَقْدِيمًا لِقَوْلِ مَنْ خَالَفَهُ عَلَيْهِ لِغَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ.

وَأَمَّا جَحْدُ ذَلِكَ جَهْلًا، أَوْ تَأْوِيلًا يُعْذَرُ فِيهِ صَاحِبُهُ فَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهُ بِهِ، كَحَدِيثِ الَّذِي جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَحْرِقُوهُ وَيَذْرُوهُ فِي الرِّيحِ، وَمَعَ هَذَا فَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، وَرَحِمَهُ لِجَهْلِهِ، إِذْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَهُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَجْحَدْ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَى إِعَادَتِهِ عِنَادًا أَوْ تَكْذِيبًا)) [1].

5 ـ ((كفر النفاق)):

هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، فيظهر بلسانه الإيمان، ولا يعتقد بقلبه، فهذا هو النفاق الأكبر، لأنه يستر كفره ويخفيه، وهو من أشدّ أنواع الكفر خطراً، لأن المنافق يتظاهر بالإسلام وباطنه كافر به،ويكيد للإسلام والمسلمين، وهو مأمون الجهة لإسلامه الظاهر، لذلك جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، قال –تعالى–:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾{النساء:145}.

وسيأتي الحديث عن النفاق الأصغر في النوع الثاني مِن نوعي الكفر(بإذن الله).

6 ـ ((كفر الاستهزاء)):

الاستهزاء بالله –تعالى– وآياته ورسوله كفر، يخرج صاحبه من الملة.

وقال –تعالى–:﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم

(1) ـ تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، هذبه "عبد المنعم صالح" (صـ 175) طـ (دار النشر للجامعات) القاهرة.

﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ {التوبة: 64-66}.

قال ابن تيمية:

((﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِاَللَّهِ كُفْرٌ وَبِالرَّسُولِ كُفْرٌ مِنْ جِهَةِ الِاسْتِهْزَاءِ بِاَللَّهِ وَحْدَهُ كُفْرٌ بِالضَّرُورَةِ فَلَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الْآيَاتِ وَالرَّسُولِ شَرْطًا؛ فَعُلِمَ أَنَّ الِاسْتِهْزَاءَ بِالرَّسُولِ كُفْرٌ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لِذِكْرِهِ فَائِدَةٌ وَكَذَلِكَ الْآيَاتُ)) [1].

سؤال: ولماذا الاستهزاء بالدين كفر؟

الجواب: لأنَّ الاستهزاء يدلُّ على الاستخفاف، وأصل الدين مبني على تعظيم الله -تعالى-، وتعظيم دينه ورسله -صلوات ربي وسلامه عليهم-، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة.

❖ **سؤال: حكم الاستهزاء بالمؤمنين؟**

الجواب: الاستهزاء بالمؤمنين له حالتان:

الحالة الأولى: الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين بخَلقهم أو خُلقهم، وهو محرم بالإجماع.

قال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله-:

((وَقَدْ قَامَ الْإِجْمَاعُ عَلَى تَحْرِيمِ ذَلِكَ)) [2].

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (48/15) ط (مكتبة ابن تيمية) القاهرة.

(2) ـ الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي (33/2) الكبيرة رقم:(251) "السخرية والاستهزاء بالمسلم".

الحالة الثانية: الاستهزاء بالمؤمنين بسبب تمسكهم بالإسلام، وهذا يراعى فيه أمران:

الأمر الأول: أن يكون المستهزئ جاهلًا بأن ما يستهزئ به من الشريعة الإسلامية.

الأمر الثاني: ألا يقصد المستهزئ باستهزائه ما يقوم به المسلم من الطاعات.

فإذا انتفى هذان الأمران، وقصد الاستهزاء بالمسلم بسبب تمسكه بالدين فهذا حكمه الردة عن الإسلام.

❖ **سؤال: وهل تجوز السخرية من المسلم في حال؟**

الجواب: نعم.

أما سخرية الإنسان ممن يَسخر منه فجائزة،وهذا من العدل؛لأنه يقابل السخرية بمثلها (1)، ومع ذلك فتركها أولى.

((برهان ذلك)):

قال –تعالى–:﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾{النحل:126}.

قال –تعالى–:﴿**وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**

---

(1) ـ **وللأمر قيود:**

أ ـ أن تكون بمثلها وقدرها ولا تتعداها. ب ـ أن لا يترتب عليها ضرر أعظم.

ج ـ أن يكون الحق فيما تجوز فيه المقاصة، فإن كانت فيما لا تجوز فيه (كالغيبة والنميمة، وسب الآباء ....إلخ)، فلا تجوز.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ {الشورى:40}.

وذكر الله عن نوح وقومه:﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾{هود:38}.

7 ـ ((كفر الإعراض)):

يقول ابن القيم:

وَأَمَّا كُفْرُ الْإِعْرَاضِ فَأَنْ يُعْرِضَ بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ عَنِ الرَّسُولِ، لَا يُصَدِّقُهُ وَلَا يُكَذِّبُهُ، وَلَا يُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ، وَلَا يُصْغِي إِلَى مَا جَاءَ بِهِ أَلْبَتَّةَ، كَمَا قَالَ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ يَالِيلَ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : وَاللَّهِ أَقُولُ لَكَ كَلِمَةً، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَأَنْتَ أَجَلُّ فِي عَيْنِي مِنْ أَنْ أَرُدَّ عَلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَأَنْتَ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ أُكَلِّمَكَ " [1].

قال الله –تعالى–:﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾{فصلت: 3-4}.

وقال واصفًا حال الكافرين:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ {الأحقاف:3}.

قال –تعالى–:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾{طه:124}.

والإعراض ينقسم إلى قسمين:

إعراض كلي: يخرج صاحبه من الملة.

([1]) ـ تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، هذبه "عبد المنعم صالح" (صـ 175) ط (دار النشر للجامعات) القاهرة.

إعراض جزئي: لا يخرج صاحبه من الملة.

وهو أنواع كثيرة.

8 ـ ((كفر البغض والكره)):

وهو البغض لله أو الرسول أو الدين.

قال –تعالى–:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾{محمد: 9}

9 ـ ((كفر الشك)):

ويسمى كفر الظنّ، وهو التردد وعدم الجزم بصدق الرسول وبما جاء به.

يقول ابن القيم:

((وَأَمَّا كُفْرُ الشَّكِّ فَإِنَّهُ لَا يَجْزِمُ بِصِدْقِهِ وَلَا يُكَذِّبُهُ، بَلْ يَشُكُّ فِي أَمْرِهِ، وَهَذَا لَا يَسْتَمِرُّ شَكُّهُ إِلَّا إِذَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْإِعْرَاضَ عَنِ النَّظَرِ فِي آيَاتِ صِدْقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُمْلَةً، فَلَا يَسْمَعُهَا وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، وَأَمَّا مَعَ الْتِفَاتِهِ إِلَيْهَا، وَنَظَرِهِ فِيهَا فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى مَعَهُ شَكٌّ، لِأَنَّهَا مُسْتَلْزِمَةٌ لِلصِّدْقِ، وَلَا سِيَّمَا بِمَجْمُوعِهَا، فَإِنَّ دَلَالَتَهَا عَلَى الصِّدْقِ كَدَلَالَةِ الشَّمْسِ عَلَى النَّهَارِ)) [1].

كمن يشكّ في البعث بعد الموت، قال الله –تبارك تعالى–:﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَاكَ رَجُلاً لَكِنا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا

(1) ـ تهذيب "مدارج السالكين"، ابن القيم، هذبه "عبد المنعم صالح" (صـ 175) طـ (دار النشر للجامعات) القاهرة.

﴿أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾{الكهف: 35-38}.

10 ـ ((كفر البغض والكره)):

ويضاف إلى هذا النوع: الكفر حسداً:

ككفر أبي جهل وغيره،فإنهم حسدوا النبي-صلى الله عليه وسلم- على الرسالة فلم يؤمنوا به.

قال -تعالى-:﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾{الزخرف: 31-32}.

وعن السدي في قوله -تعالى-:﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾{الأنعام: 33}.

قَالَ السُّدِّيُّ:((الْتَقَى الْأَخْنَسُ بْنُ شُرَيْقٍ وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ الْأَخْنَسُ لِأَبِي جَهْلٍ: يَا أَبَا الحكم أخبرني عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَصَادِقٌ هُوَ أَمْ كَاذِبٌ؟ فَإِنَّهُ لَيْسَ هَاهُنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَكَ غيري، فقال أَبُو جَهْلٍ: وَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَصَادِقٌ وَمَا كَذَبَ مُحَمَّدٌ قَطُّ، وَلَكِنْ إِذَا ذَهَبَ بَنُو قُصَيٍّ بِاللِّوَاءِ وَالسِّقَايَةِ وَالْحِجَابَةِ وَالنَّدْوَةِ وَالنُّبُوَّةِ فَمَاذَا يَكُونُ لِسَائِرِ قُرَيْشٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ)) [1].

([1]) ـ تفسير البغوي (120/2) ط (دار إحياء التراث).

الشرك الأصغر:

النوع الثاني: الكفر الأصغر:

وهو الذنوب التي وردت تسميتُها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وهو موجب لاستحقاق الوعيد في النار دون الخلود بها.

وهذا النوع من الكفر يسميه بعض العلماء: الكفر العملي، الذي يقابل الكفر الاعتقادي، وهو أيضاً: كفر النعمة [1]، أو كفر دون كفر.

وسبب تسميته كفراً: أنه ثبت تسميته بالشرك أو الكفر في النصوص الشرعية.

وسبب عدِّه كفراً أصغر، أو كفراً دون كفر: أنّ نصوص القرآن والسنّة دلّت على أن فاعل تلك الأعمال لا يخرج عن دائرة الإسلام، فهذه الذنوب لا تناقض أصل الدين وجملة الشريعة، ولا تتضمن إنكاراً لأصل مِن أصول الإسلام.

قال محمد بن نصر المروزي:

((الْكُفْرُ كُفْرَانِ: أَحَدُهُمَا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَالْآخَرُ لَا يَنْقُلُ عَنْهَا فَكَذَلِكَ الشِّرْكُ شِرْكَانِ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَشِرْكٌ فِي الْعَمَلِ لَا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ)) [2].

قال ابن القيم:

((فَأَمَّا الْكُفْرُ فَنَوْعَانِ: كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَكُفْرٌ أَصْغَرُ.

---

(1) ـ وكفر النعمة فيه تفصيل وسيأتي ذكره.

(2) ـ تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي (صـ527) ط (مكتبة الدار) المدينة.

فَالْكُفْرُ الْأَكْبَرُ هُوَ الْمُوجِبُ لِلْخُلُودِ فِي النَّارِ.

وَالْأَصْغَرُ مُوجِبٌ لِاسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ دُونَ الْخُلُودِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى-وَكَانَ مِمَّا يُتْلَى فَنُسِخَ لَفْظُهُ-:"**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ بِكُمْ**"، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ «**اثْنَتَانِ فِي أُمَّتِي، هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ :الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ**»،وَقَوْلُهُ فِي السُّنَنِ:«**مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ**» وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ**»وَقَوْلِهِ:«**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**» وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَامَّةِ الصَّحَابَةِ فِي قَوْلِهِ-تعالى-:﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾{المائدة: 44}قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِكُفْرٍ يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، بَلْ إِذَا فَعَلَهُ فَهُوَ بِهِ كُفْرٌ، وَلَيْسَ كَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَكَذَلِكَ قَالَ طَاوُسٌ، وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، وَفِسْقٌ دُونَ فِسْقٍ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَ الْآيَةَ عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَاحِدًا لَهُ، وَهُوَ قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَهُوَ تَأْوِيلٌ مَرْجُوحٌ، فَإِنَّ نَفْسَ جُحُودِهِ كُفْرٌ، سَوَاءٌ حَكَمَ أَوْ لَمْ يَحْكُمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى تَرْكِ الْحُكْمِ بِجَمِيعِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، قَالَ :وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْحُكْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِسْلَامِ، وَهَذَا تَأْوِيلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْكِنَانِيِّ، وَهُوَ أَيْضًا بَعِيدٌ، إِذِ الْوَعِيدُ عَلَى نَفْيِ الْحُكْمِ بِالْمُنَزَّلِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُ تَعْطِيلَ الْحُكْمِ بِجَمِيعِهِ وَبِبَعْضِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِمُخَالَفَةِ النَّصِّ، تَعَمُّدًا مِنْ غَيْرِ جَهْلٍ بِهِ وَلَا خَطَأٍ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فِي التَّأْوِيلِ، حَكَاهُ الْبَغَوِيُّ عَنِ الْعُلَمَاءِ عُمُومًا.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَأَوَّلَهَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالضَّحَاكِ وَغَيْرِهِمَا، وَهُوَ بَعِيدٌ، وَهُوَ خِلَافُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، فَلَا يُصَارُ إِلَيْهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يَتَنَاوَلُ الْكُفْرَيْنِ، الْأَصْغَرَ وَالْأَكْبَرَ بِحَسَبِ حَالِ الْحَاكِمِ، فَإِنَّهُ إِنِ اعْتَقَدَ وُجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ عِصْيَانًا، مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرُ، وَإِنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مُخَيَّرٌ فِيهِ، مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ، فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ جَهِلَهُ وَأَخْطَأَهُ فَهَذَا مُخْطِئٌ، لَهُ حُكْمُ الْمُخْطِئِينَ.

وَالْقَصْدُ أَنَّ الْمَعَاصِيَ كُلَّهَا مِنْ نَوْعِ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ، فَإِنَّهَا ضِدُّ الشُّكْرِ، الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِالطَّاعَةِ، فَالسَّعْيُ إِمَّا شُكْرٌ، وَإِمَّا كُفْرٌ، وَإِمَّا ثَالِثٌ، لَا مِنْ هَذَا وَلَا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ)) [1].

أمثلة على الكفر، والشرك الأصغر:

أ ـ قال –تعالى–:﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ {النمل: 40}.

فالمقصود هاهنا كفر النعمة أو شكر النعمة.

ب ـ وقال الله حكاية عن فرعون:﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ

(1) ـ تهذيب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، هذبه "عبد المنعم صالح" (صـ 173 ـ 174) ط (دار النشر للجامعات) القاهرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الْكَافِرِينَ﴾{الشعراء : 19}.

أي: من الكافرين بالنعمة كما قال ابن عباس وغيره.

ج ـ عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ المرْجِئَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ:

((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) [1].

د ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:((اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ)) [2].

"الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ":أي تعيير المسلمِ أخاه بنسبه(عائلتك كذا وكذا، ينتقصها) ومن العلماء من قال: إن المراد نفي النسب عنه وأنه ليس ابن زواج شرعي[3].

"النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ":الصراخ والعويل والندب، وذِكر محاسن شمائل الميت، ويُنسب إلى أمور ليس منها شيء [4]،والتلفظ بألفاظ لا ترضي الله –عز وجل– كأن يقال: "بدري عمرك، تركتنا لمن، لماذا يا رب يحدث معنا هذا؟

وأما البكاء فلا حرج فيه.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ، وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَأَخَذَ رَسُولُ

---

(1) ـ رواه البخاري (48)، ومسلم (116).

(2) ـ رواه مسلم (121).

(3) ـ فيض القدير، المناوي (195/1) ط (مكتبة الإيمان) القاهرة.

(4) ـ الأذكار، النووي (صـ 266) ط (دار ابن حزم)، فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب، حسن بن على الفيومي (19/14).

اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– إِبْرَاهِيمَ، فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: ((يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ))،ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ–صلى الله عليه وسلم–: ((إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ)) [1].

وقد اختلف العلماء في معنى الكفر في هذا الحديث:

فمنهم من قال: هما من أعمال الكفار، وأخلاق الجاهلية [2].

ومنهم من قال: إن هذه الأفعال قد تؤدي للكفر [3].

ومنهم من قال: إنه كفر نعمة وكفر إحسان أي كفر دون كفر [4].

ومنهم من قال: إن هذا كفر بالنسبة للمستحِلّ [5].

---

(1) ـ رواه البخاري (1303)، ومسلم (2315).

(2) ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (556/3) ط (دار الوطن) الرياض، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي (166/1) تحت الحديث رقم:(56) ط (المكتبة التوفيقية) القاهرة، إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، (326/1) تحت الحديث رقم:(121) ط (دار الوفاء) المنصورة ـ مصر. صحيح مسلم بشرح النووي (50/1) تحت الحديث رقم:(121) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ صحيح مسلم بشرح النووي (50/1) تحت الحديث رقم:(121) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(4) ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (556/3) ط (دار الوطن) الرياض، صحيح مسلم بشرح النووي (50/1) تحت الحديث رقم:(121) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(5) ـ صحيح مسلم بشرح النووي (50/1) تحت الحديث رقم:(121) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

فنقول: الكفر في هذا الحديث كفر دون كفر، وليست المرأة التي ناحت على الميت كافرة، وليس الطاعن في النسب كافرًا.

سؤال: لماذا جمع النبي -صلى الله عليه وسلم- **بين النياحة على الميت والطعن في النسب؟ ما العَلاقة بينهما؟**

((الجواب)):

لأن الاثنين يجتمعان في أذية المسلم، فالطعن في النسب يؤذي الحي، والنياحة تؤذي الميت المنوح عليه -إلا إن أوصى الميت بعدم النياحة عليه [1] أو إن عُلم من حاله أنه لم يكن ليَرْضَ بذلك أبدًا -[2].

ومن النصوص في الشرك الأصغر:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا نَحْوًا مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ البَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، فَقَامَ قِيَامًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ القِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَقَدْ تَجَلَّتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ صَلَّى

---

(1) ـ وقد كانت من عادة العرب الوصية بذلك.

(2) ـ ومن التوجيهات للعلماء في الباب: قيل: كانوا يندبونه بشمائل ومحاسن في نظرهم، وتلك الشمائل في الشرع، قبائح يُعذب عليها، وقيل: توبيخ الملائكة بما يندبه أهله عليه.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَاذْكُرُوا اللَّهَ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ)) قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:((بِكُفْرِهِنَّ)) قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: ((يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)) [1]

فهذا كفر دون كفر.

وأيضا: عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:((الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً)) [2] .

ومعنى هذا أن هناك شركا أكبر كما أن هناك شركا أصغر بنص الحديث

---

(1) ـ رواه البخاري (1052).

(2) ـ **صحيح:** رواه أحمد (23630).

((تنبيه)):

هل كفر النعمة كله من الكفر الأصغر؟

ج: لا. فكفر النعمة منه ما هو أصغر، ومنه ما هو أكبر يخرج من الملة.

فالأصغر أن ينشغل بالنعمة عن ربِّها واهبِه إياها، فمثلا تجده يصلي حينًا ويترك الصلاة حينًا.....وهكذا، فهذا كفر ولكنه كفر دون كفر لأنه لم يؤد حق هذه النعمة.

وأما كفر النعمة الذي هو كفر أكبر مخرج عن الملة: فكأن يجحد واهبَ النعمة-سبحانه وتعالى-، وأن ينسب الفضل إلى نفسه عقله وجهده كما قال قارون:(إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي) .

((خلاصة القاعدة)):

أن الشرك والكفر في شريعة الله وفي النصوص الشرعية يطلق ويراد به أحيانا الشرك الأصغر ، ويراد به أحيانا الشرك الأكبر.

المسألة الرابعة ((إشكال وجوابه)):

في الحديث:((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) [1].

قلنا أنه كفر دون كفر.

((سؤال)):

هل من قتل مسلمًا لا يكون كافرًا، وهل من قتل نفسه لا يكون كافرًا؟

((الجواب)):

نعم،لا يكون كافرًا،ولفظ الكفر الوارد في القتل،هو كفر النعمة،وكفر دون كفر.

((إشكال)):

هناك نصوص فيها التصريح بخلود قاتل المسلم، وقاتل نفسه في النار، والخلود في النار يكون للكافر كفرًا أكبر، ومن ذلك:

قال –تعالى–:﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾{النساء:93}.

والخلود في النار لا يكون إلا للكفار!!

واللعن هو الطرد من رحمة الله –عز وجل–، ولا يُطرد من رحمة الله إلا الكافر!!

وفي الحديث: عَنْ سُلَيْمَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ ذَكْوَانَ، يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ:((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا

---

[1] ـ رواه البخاري (48)، ومسلم (116).

فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا)) [1].

والخلود الأبدي إنما يكون للكافر!!

الجواب عن هذا الإشكال:

اعلم أن الخوارج الذين يكفرون الناس بفعل المعاصي يستدلون بهذه النصوص على كفر من قتل نفسًا مسلمة!

والجواب عن هذا الإشكال سيكون من جهتين:

الأولى: (بعض الأدلة على عدم كفر القاتل).

الثانية: (بعض توجيهات العلماء لنصوص وعيد القاتل بالخلود في النار).

أولًا ـ ذكر بعض الأدلة على عدم كفر قاتلِ نفسه:

المنتحر **مسلم** عاصٍ لله –تعالى–، فاعلٌ لكبيرة هى من أعظم الكبائر عند الله.

((برهان ذلك)):

أدلة على ذلك كثيرة في النصوص الشرعية، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال الله –تعالى–:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:48].

---

(1) ـ رواه البخاري (5778).

وجه الاستدلال: أنَّ الله –عز وجل–(**لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**)، ولا شك أن قتل النفس داخل فيما يُمكن أن يغفرهُ ربنا –تبارك وتعالى– إذا شاء، ولأنَّ قتل النفس ليس من الشرك الأكبر عند أحد من أئمة الإسلام –في الأصل–، إذن فهو يدخل في احتمالية المغفرة إذا شاء ربنا –تبارك وتعالى– ذلك.

((الدليل الثاني)):

ما ورد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– من حديث جابر قال:

((فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: **((اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ))** [1].

(مشاقص): السهام العريضة [2]

(1) – رواه مسلم (116)

(2) – إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم (397/3) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت – لبنان، صحيح مسلم بشرح النووي (113/1) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت – لبنان

(**براجمه**): المفصل الظاهر من أصابع اليد.

وجه الاستدلال:يدل هذا الحديث على أنَّ المنتحر ليس بكافر من وجوه:

الوجه الأول: عندما قال له الطفيل: ما صنع بك ربُك ، فقال له:

((غفر لى ربى بهجرتى إلى نبيُه)) ، ولو كان المنتحر كافرًا لما غَفَر الله -تبارك وتعالى- له ؛ لأنَّ الكافر لا يُغْفر له إنما يُخَلَّد فى نار جهنم.

الوجه الثانى: لو كان المنتحر كافرًا لما دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم-، لأن النبى-صلى الله عليه وسلم- قال:((اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ))،والكافر لا يجوز الدعاء له بالمغفرة؛ لأنه ليس محلًا لها، كما قال -تعالى- :

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ....﴾ [التوبة:113].

فهذا الحديث فيه دلالة على أن المنتحر ليس بكافر، وإنما هو فعل كبيرة من أعظم الكبائر عند الله، ولكنه ليس بكافر [1].

([1]) ـ **فائدة:** هذا الحديث الذى ورد فى صحيح مسلم فيه ردَّ على ثلاث طوائف ضالة من الوَعْدِية والوَعِيدِية وهم:

1 ـ ((المعتزلة من الوعيدية)):

- المعتزلة الذين يقولون : أنَّ فاعل الكبيرة يكون مُخلداً فى النار، هو فى الدنيا ليس بكافر (في منزلة بين المنزلتين) لكن فى الآخرة يُخلَّد فى النار .

2 ـ ((الخوارج من الوعيدية)):

- الخوارج الذين يقولون : أن فاعل الكبيرة يكون كافرًا ، وفى الآخرة يُخلَّد فى النار

((سؤال)): وما الفرق بين قول المعتزلة وقول الخوارج؟

الفرق بينهما أنَّ المعتزلة يقولون: فاعل الكبيرة يَخْلُد فى النار يوم القيامة ؛ لكن عذابه دون عذاب الكافر فاتفقوا في تخليده في النار، واختلفوا في العذاب . هذا هو الفرق لكن فى النهاية المسألة واحدة (خلود).

3 ـ ((المرجئة من الوعدية)): المرجئة يقولون: لا يضُر مع الإيمان ذنب !! =

((الدليل الثالث)):

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: **((أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ))** (1).

وفي روايه: ((أَمَّا أَنَا فَلَا أُصَلِّي عَلَيْهِ)) (2).

ـ فهذا الحديث فيه دلالة على أن المنتحر ليس بكافر!!

فإن قيل: كيف ذلك، وقد قال النبي–صلى الله عليه وسلم–:

((أَمَّا أَنَا فَلَا أُصَلِّي عَلَيْهِ)).

قلنا: وجه الاستدلال من الحديث:

لو كان المنتحر كافرًا لنهى النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابَه عن الصلاة عليه، ولنهى النبي–صلى الله عليه وسلم–المسلمينَ عن دفنه في مقابر المسلمين؛ لأنَّ **((تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز))** (3).

= والحديث حجة على الطائفتين؛ لأن هذا الرجل كان مؤمنًا، وقد فعل كبيرة بقتل نفسه، وقد أدخله الله الجنة،ودعا له النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولو كان كافرًا لما أدخله الله الجنة، ولا دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم-،والحديث يدل: على أن المنتحر ليس بكامل الإيمان لأن الله لم يَغفر له ما فعله من إفساد اليد إلا لما دعا له النبي -صلى الله عليه وسلم- ؛ ولو كان لا يضر مع الإيمان ذنب لَغُفِرَ له. فهذا الحديث يدل على أن المنتحر ليس بكامل الإيمان، وليس بكافر.

(1) ـ رواه مسلم (978).

(2) ـ **صحيح:** رواه النسائي (1964) وغيره.

(3) ـ انظر: "روضة الناظر وجنة المناظر" (صـ226) "، أبو المظفر السمعاني، قواطع الأدلة (295/1) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، نهاية السول بشرح منهاج الاصول (546/2) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

((الدليل الرابع)):

الإجماع على أن المنتحر ليس بكافر، إذ نقل غير واحد من أهل العلم هذا الإجماع.

قال ابن بطال (رحمه الله):

((أجمع الفقهاء، وأهل السنة أن من قتل نفسه لا يخرج بذلك عن الإسلام، وأنه يُصلى عليه، وقولهم هذا يدُل على أن من قتل نفسه ليس بكافر)) [1].

ونذكر بعض أقوال العلماء بهذا الشأن، ومنها:

قال الإمام ابن جرير الطبري –رحمه الله–:

﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء﴾{النساء:48}

قال:((وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ فَفِي مَشِيئَةِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَةً شِرْكًا بِاللَّهِ)) [2]

قال أبو الوليد ابن رشد، (الجَد) –رحمه الله–:

((وأما من قال: إن القاتل مخلد في النار، فقد أخطأ وخالف أهل السنة؛ لأن القتل لا يحبط ما تقدم من إيمانه،ولا ما كسب من صالح أعماله؛ لأن السيئات لا تبطل الحسنات، ومن عمل حسنة ومات على الإسلام فلابد أن يجازيه الله على حسنته،فإنه يقول تعالى–وقوله الحق–:﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾{محمد:35} قال الله –تعالى–:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

(1) ـ عمدة القاري بشرح صحيح البخاري (8 / 276) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان

(2) ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل القرءان) (3 / 891) طـ (دار الحديث) القاهرة.

شَرًّا يَرَهُ﴾{الزلزلة:7-8}، وقال الله-تعالى-:﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾{الأنبياء:94}، وقال -عز من قائل-:﴿فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾{الأنبياء: 47} اهـ [1].

قول الإمام النووى -رحمه الله-:

قال مُعلقاً على حديث:((اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ)):

((أَمَّا أَحْكَامُ الْحَدِيثِ فَفِيهِ حُجَّةٌ لِقَاعِدَةٍ عظيمة لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ أَوِ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً غَيْرَهَا وَمَاتَ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ وَلَا يُقْطَعُ لَهُ بِالنَّارِ بَلْ هُوَ فِي حُكْمِ الْمَشِيئَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ الْقَاعِدَةِ وَتَقْرِيرُهَا وَهَذَا الْحَدِيثُ شَرْحٌ لِلْأَحَادِيثِ الَّتِي قَبْلَهُ الْمُوهِمُ ظَاهِرُهَا تَخْلِيدَ قَاتِلِ النَّفْسِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ فِي النَّارِ وَفِيهِ إِثْبَاتُ عُقُوبَةِ بَعْضِ أَصْحَابِ الْمَعَاصِي فَإِنَّ هَذَا عُوقِبَ فِي يَدَيْهِ فَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الْمُرْجِئَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْمَعَاصِيَ لَا تَضُرُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ)) [2]

قال الإمام القرطبى -رحمه الله- في المُفْهِم:

قال مُعلقاً على حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

((اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ)):

((وهذا الحديث يقتضى أن قاتل نفسه ليس بكافر، وأنه لا يُخَلَّد فى النار،

(1) ـ المقدمات والممهدات (2 / 368) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ صحيح مسلم بشرح النووي (1 / 113) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

وهذا موافق لمقتضى قول الله عز وجل ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) قال وهذا الرجل ممن شاء الله أن يغفر له؛ لأنه أتى ما دون الشرك، وهذا بخلاف قاتل نفسه المذكور فى حديث جُندب فإنَّه ممن شاء الله –عز وجل– أن يُعذبه)) (1).

قال الرملى الشافعى –رحمه الله– في شرح المنهاج:

(((وَغُسْلُهُ) أَيْ الْمَيِّتِ (وَتَكْفِينُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ) وَحَمْلُهُ (وَدَفْنُهُ فُرُوضُ كِفَايَةٍ) إجْمَاعًا لِلْأَمْرِ بِهِ فِي الْأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ قَاتِلُ نَفْسِهِ وَغَيْرُهُ وَسَوَاءٌ الْمُسْلِمُ وَالذِّمِّيُّ، إلَّا فِي الْغُسْلِ وَالصَّلَاةِ)) (2).

ثانيًا ـ ((بعض توجيهات العلماء لنصوص وعيد القاتل بالخلود في النار)):

وسنذكر هنا الجواب عن إشكالية الخلود في الآية والحديث معًا:

((التوجيه الأول)):

أن هذه الزيادة ((**خالدًا مُخلدًا فيها أبدًا**))

قالوا: هذه الزيادة تفرَّد بها بعض الرواه ، وهي وهم من بعض الرواة وهى زيادة ضعيفة (3)

(1) ـ المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم (324/1) ط (دار ابن كثير) (دار الكلم الطيب) بيروت ـ لبنان

(2) ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج (508/2) طـ (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ سنن الترمذي (صـ 462) تحت الحديث رقم (2044) طـ (مكتبة المعارف) الرياض،

فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر (3/ 279) تحت الحديث رقم (1364) طـ (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، بد الدين العيني (277/8) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، تحفة الأحوذي، (142/7) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

قلت: وهذا التوجيه ضعيف من وجوه:

الأول: لأن هذه الرواية قد وردت فى الصحيح، ولو تفرَّد بها بعض الرواة فهم من الرواة الثقات، فَتوهين الرواة فى هذا الباب ليس بسديد.

الثاني: قد روى هذه الزيادة الإمام الأعمش، وهو ثقة ثبت حافظ [1] وزيادة الثقة ها هنا مقبولة، وتأويل هذه الزيادة أولى من توهيمها [2] لا سيما أنها قد وردت في الصحيح.

الثالث: ولئن سَلَّمْنَا بهذا في هذه الرواية، فماذا عن الروايات الأخرى، كالتي فيها ذكر الحرمان من الجنة؟ [3]

((التوجيه الثانى)):

أنَّ هذا يتعلق بمن استحل ذلك،أي: قتل نفسه مستحلًا، فيكون كافرًا والكافر يستحق الخلود فى النار [4]

قلت: وهذا التوجيه فيه نظر؛ لأمور:

الأول:هذا خلاف الأصل؛لأن غالب من يقتل نفسه لا يستحل ذلك، بل

(1) ـ انظر "تهذيب التهذيب"(2 / 424) ترجمة رقم (3049) طـ (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان، تقريب التهذيب (صـ 253) ترجمة رقم (2615) طـ (بيت الافكار الدولية).

(2) ـ تحفة الأحوذي (7 / 142) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ وقد يجاب عن رواية: (حرمت عليه الجنة): يعني : قبل دخول النار.

(4) ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر (3/ 279) تحت الحديث رقم (1364) ط (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري (277/8) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هو يعلم أن هذا حرام وأنها جريمة عظيمة [1] والأحكام الشرعية تكون للغالب.

الثاني: ثم من استحل قتل نفسه كَفَرَ سواء قتل نفسه أم لا من ساعتها.

الثالث: ولأنه لو كان المقصود هو المستحل لذكره النبي- صلى الله عليه وسلم- في خبر من الأخبار التي وردت في وعيد قاتل نفسه.

((التوجيه الثالث)):

قيل المراد بالخلود المدة لا حقيقة الدوام كأنه يقول: يخلد مدة معينة [2]

((التوجيه الرابع)):

قالوا:إن هذا جزاؤهم الذى يستحقه إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، والتوحيد والإيمان مانعان من الخلود في النار [3]، فإن التوحيد يمنعه بفضل الله -تبارك وتعالى- من الخلود فى النار.

((التوجيه الخامس)):

قيل:ورد مورد الزجر، والتخويف والتشديد والتغليظ، وحقيقته غير مراده [4].

(1) ـ بل المشهور عند العامة أن المنتحر كافر، وهذا غلط فاحش.

(2) ـ فتح الباري، للحافظ ابن حجر (3/ 279) تحت الحديث رقم (1364) طـ (دار الحديث) القاهرة.

(3) ـ مدارج السالكين (1 / 428) طـ (دار الحديث) القاهرة، حيث قال :((فإنَّ الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه وغاية هذه النصوص: الإعلام بأنَّ كذا سبب للعقوبة ومقتض لها ، وقد قام الدليل على ذكر الموانع....)) وقد ذكره في معرض الكلام على آية ((ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها....))

(4) ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر (3/ 279) تحت الحديث رقم (1364) طـ (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري (8 / 277) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

((التوجيه السادس)):

أنَّ هذا جزاؤه، لكن قد تكرم الله –تعالى– على الموحدين فأخرجهم من النار بتوحيدهم [1].

((التوجيه السابع)):

قيل: التقدير مخلدًا فيها إلى أن يشاء الله [2] أو إن جازاه.

((التوجيه الثامن)):

أن هذا وعيد وإخلاف الوعيد كرم [3] ولا يُذَم ؛ بل يُمْدح ((حرمت عليه الجنة)) يعني: قبل دخول النار [4]

(1) – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر (3/ 279) تحت الحديث رقم (1364) طـ (دار الحديث) القاهرة.

(2) – فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر (3/ 279) تحت الحديث رقم (1364) طـ (دار الحديث) القاهرة، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري (8 / 277) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان .

(3) – الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيتمي (161/2) وقد ذكر هذا التوجيه فى كبيرة قتل النفس في قوله تعالى (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها ....) طـ (دار الحديث) القاهرة

(4) – عمدة القاري بشرح صحيح البخاري (8 / 277) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان

((الترجيح)):

وأقوى التوجيهات –في نظري والعلم عند الله تبارك وتعالى–، أنَّ المراد بالخلود، الخلود المؤقت، وهو خلود الموحدين؛ لأن الخلود والتأبيد ينقسم إلى قسمين:

أ ـ خلود تأبيدي.

ب ـ وخلود تأقيتي

الخلود التأقيتي (المؤقت) بمعنى: المكث الطويل

والخلود التأبيدي بمعنى: البقاء وعدم الخروج

قال –تعالى–:**((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيها))**

فالخلود هنا معناه المكث الطويل المؤقت [1]، وهذا قول فيه قوة.

فإن قيل: لكن الخلود ينافي التأقيت؟

((الجواب)):

هذا وارد في لغة العرب، كانوا يقولون على من كبرت سنه، ولم يشب شعره، ولم تنخلع سنه (**هذا رجل مخلد**) لأنه مكث طويلًا.

المُخْلِدُ من الرِّجال: الذي أَبْطَأَ عنه المَشِيب

المُخْلِدُ: الذي لم تَسْقُط أَسنانه من الهرَم

(1) ـ وهذا أحد التوجيهات التي ذكرها العلماء في الجواب عن إشكال ذكر للخلود للقاتل العمد، والقتل معصية كما هو معلوم، وقد ارتضى هذا المسلك جماعة من العلماء منهم:((ابن حزم، ومحمد ابن أبي بكر الرازي، واحتمله البيضاوي، ومحمد رشيد رضا، والعثيمين)).

ـ وأيضاً من الأقوال التى فيها قوة:

أن هذا جزاؤه الذى يستحقه، لكن إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، وهنا يوجد مانع يمنعه من الخلود فى النار، ألا وهو توحيده لله وأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله لكنه وقع فى الكبيرة، فتوحيده هذا مانع من خلوده فى النار، فالتوحيد لا يجعله يخلد فى النار إنما يمكُث المكث الطويل، وإن شاء الله –عز وجل– عَذبه وإن شاء عفا عنه فلا يخلُد فى النار أبدًا.

سؤال: أليس هذا تأويلًا مخالفًا لظاهر النص؟

((الجواب)):

بلى. هو تأويل لكنه تأويل محمود لقول الله –تبارك تعالى–:﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾{الحجرات:9}، فقد حدث بينهما قتال ومع هذا سماهم الله مؤمنين، فالكفر في حديث (وقتاله كفر) كفر دون كفر.

وحديث الرجل الذي قتل نفسه ورئي في الجنة وقد غُفر له كل شيء إلا هذا الفعل، ولو كان قتل النفس كفرًا لَما دخل هذا الرجل الجنة.

فهذا هو الجواب على الإشكال.

وبالله التوفيق.

المسألة الخامسة ((الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر)):

ما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

هناك فوارق بين الشرك الأكبر والأصغر، وهي:

((الفارق الأول)):

الكفر الأكبر: يخرج صاحبه من الملة.

الكفر الأصغر: لا يخرج صاحبه من الملة.

((الفارق الثاني)):

الكفر الأكبر: يخلد صاحبه في النار.

الكفر الأصغر: لا يخلد صاحبه في النار، وإنما هو في المشيئة، ويخرج من النار -بإذن الله وفضله- إن دخلها.

((الفارق الثالث)):

الكفر الأكبر: مبيحٌ الدمَ والمالَ.

مثال:

لو ألحد وارتد رجل مسلم -والعياذ بالله-، فقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم-:((مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)) [1].

والذي يفعل ذلك هو ولي الأمر؛ لأنه المنوط بإقامة الحدود، فإن قَصَّر فإثمه عند ربه.

([1]) ـ رواه البخاري (6922).

الكفر الأصغر: لا يبيح الدم والمال.

((الفارق الرابع)):

الكفر الأكبر: ليس له كفارة.

ولا بد من الدخول في الإسلام مرة أخرى.

الكفر الأصغر: فله كفارة في بعض الأحيان.

كالحلف بغير الله فكفارته أن يقول "لا إله إلا الله".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:

((مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ)) [1].

((الفارق الخامس)):

الشرك الأكبر: لا يغفره الله.

قال الله -تعالى-: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾{النساء:48}.

الشرك الأصغر: فاختلف العلماء فيه:

فمنهم من قال يُغفر، ومنهم من قال لا يُغفر.

والجمهور على أنه يُغفر، وهو الأصح.

([1]) ـ رواه البخاري (4860)، ومسلم (1647).

((برهان ذلك)):

أ ـ قول النبي –صلى الله عليه وسلم–:((....**قُولُوا: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ"))** [1].

وجه الاستدلال: ثمة نوع من أنواع الشرك أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بالاستغفار منه، وهو –المكلف– لا يعلمه أصلًا، فدل ذلك على أنه قد يغفر.

ب ـ وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ–رضي الله عنه–قَالَ:" انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ –رضي الله عنه–إِلَى النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–، فَقَالَ:((**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا** [2]))، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم: **((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ))** [3].

وهذا الحديث فيه دليل على تقسيم الشرك لأصغر وأكبر كما هو واضح.

وجه الاستدلال: كسابقه.

((الفارق السادس)):

الشرك الأكبر: يحبط كل العمل إن مات على ذلك.

---

(1) ـ رواه أحمد (19606)، وفي سنده مقال، ومن العلماء من حسنه، ومنهم من ضعفه.

(2) ـ الصفا: هُوَ الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا يَعْلَقُ بِهِ شَيْء.

(3) ـ **صحيح:** رواه البخاري في الأدب المفرد (716)

الشرك الأصغر: فيحبط العمل الذي خالطه الرياء، يُحبط هذا العمل فحسْب دون سائر أعمال المرء.

((الفارق السابع)):

الكفر الأكبر: يقتضي العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمن فلا يجوز للمؤمن موالاته ولا محبته ولو كان أقرب قريب.

الكفر الأصغر: لا يوجب عداوة خالصة بين صاحبه وبين المؤمنين إنما يُحب على إيمانه وتوحيده وعمله الصالح، ويُبغض لأجل الشرك الأصغر الذي هو عليه.

وها هنا إشكال يشكل في الشرك الأكبر، وهو:

كيف لا أحبه وهو والدي، كيف لا أحبه وقد أباح الله لي الزواج من الكتابية، ومدار الزواج على الحب في الأصل.

((الجواب)):

اعلم أن المحبة تنقسم إلى قسمين:

أ ـ محبة جبلية طبيعية.

ب ـ محبة شرعية دينية.

فقد توجد المحبة الجبلية الطبيعية، مع البغض الديني، ولا تلازم بين المحبتين، كمحبة الوالدين المشركين فإنه يجب بغضهما في الله، ولا ينافي ذلك محبتهما بمقتضى الطبيعة، فإن الإنسان مجبول على حب والديه وقريبه.

سؤال: وما الدليل على ذلك، وجود المحبة الطبيعية مع البغض الديني؟

((الجواب)):

قال-تعالى-:﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء﴾ {القصص:56}.

على وجه من وجوه التفسير:((مَنْ أَحْبَبْتَ)) يعني: من أحببت هدايته وأحببته لقرابته.

خلاصة الكلام:

الكافر يبغض لما هو عليه من الدين الباطل، ولكن قد يحب محبة جبلية من جهة أخرى كمحبة الولد لوالده، أو الزوج لزوجته، ولا تلازم بين المحبتين، فقد توجد المحبة الطبيعية مع البغض الديني.

كالسفر للرزق، يحبه المرء ويبغضه، يحبه لسعة الرزق، ويبغضه للنَّصَب وفراق الأهل.

والجهاد في سبيل الله: محبوب ومبغوض، مكروه للنفس لمحبتها الراحة، ولترك الأهل والمال، وخوف الهلاك، ومحبوب؛ لإعلاء كلمة الله، وثوابه، ونصرة الدين، وعواقبه الحميدة في الدنيا قبل الآخرة.

سؤال: وهل يصح أن أقول الجهاد في سبيل الله مكروه للنفس؟

الجواب: نعم:

قال -تعالى-:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ {البقرة:216}.

اعتراض سمج:

بعض الجهلة في الفضائيات يعارضون تكفير النصارى واليهود، بحجة إباحة الزواج منها، –ويضاف إليه أن الكافر لا يُحب–

وجواب هذا الاعتراض السمج:

لا حرج في ذلك فقد يحب الرجل المرأة المحبة الجبلية الطبيعية، مع وجود البغض الشرعي الديني، فكونه مثلًا يحب وطئها لا يمنع من عدم مولاته لها أو تطبيق الولاء والبراء، لأن المحبة الطبيعية من جنس المعاملة، بخلاف البغض الديني في أصله من جنس الاعتقاد.

وقد رد العلماء على هذا الاعتراض السمج، ومن ذلك:

قال العدوي المالكي في حاشيته:

((قَوْلُهُ: "وَنَتْرُكُ مَنْ يَكْفُرُك" أَيْ:نَطْرَحُ مَوَدَّةَ الْعَابِدِ لِغَيْرِك، وَلا نُحِبُّ دِينَهُ وَلا نَمِيلُ إلَيْهِ، وَلا يُعْتَرَضُ هَذَا بِإِبَاحَةِ نِكَاحِ الْكِتَابِيَّةِ، لأَنَّ فِي تَزَوُّجِهَا مَيْلًا لَهَا، لأَنَّ النِّكَاحَ مِنْ بَابِ الْمُعَامَلَةِ وَالْمُرَادُ هُوَ بُغْضُ الدِّينِ)) [1].

سؤال: ولماذا التفريق في النكاح بين الكتابية، والمشركة؟

قال الكساني في بدائع الصنائع، في تفريق الشرع في جواز النكاح من الكتابية دون المشركة:

((وَالْفَرْقُ أَنَّ الْأَصْلَ أَنْ لَا يَجُوزَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَنْكِحَ الْكَافِرَةَ؛ لِأَنَّ ازْدِوَاجَ الْكَافِرَةِ

(1) ـ حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني، (صـ 346) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

وَالْمُخَالَطَةِ مَعَهَا مَعَ قِيَامِ الْعَدَاوَةِ الدِّينِيَّةِ لَا يَحْصُلُ السَّكَنُ وَالْمَوَدَّةُ الَّذِي هُوَ قِوَامُ مَقَاصِدِ النِّكَاحِ إلَّا أَنَّهُ جَوَّزَ نِكَاحَ الْكِتَابِيَّةِ؛ لِرَجَاءِ إسْلَامِهَا؛ لِأَنَّهَا آمَنَتْ بِكُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي الْجُمْلَةِ، وَإِنَّمَا نُقِضَتْ الْجُمْلَةُ بِالتَّفْصِيلِ بِنَاءً عَلَى أَنَّهَا أُخْبِرَتْ عَنْ الْأَمْرِ عَلَى خِلَافِ حَقِيقَتِهِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مَتَى نُبِّهَتْ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ تَنَبَّهَتْ، وَتَأْتِي بِالْإِيمَانِ عَلَى التَّفْصِيلِ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ أَتَتْ بِهِ عَلَى الْجُمْلَةِ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ حَالِ الَّتِي بُنِيَ أَمْرُهَا عَلَى الدَّلِيلِ دُونَ الْهَوَى وَالطَّبْعِ، وَالزَّوْجُ يَدْعُوهَا إلَى الْإِسْلَامِ وَيُنَبِّهُهَا عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَكَانَ فِي نِكَاحِ الْمُسْلِمِ إيَّاهَا رَجَاءُ إسْلَامِهَا فَجَوَّزَ نِكَاحَهَا لِهَذِهِ الْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ بِخِلَافِ الْمُشْرِكَةِ، فَإِنَّهَا فِي اخْتِيَارِهَا الشِّرْكَ مَا ثَبَتَ أَمْرُهَا عَلَى الْحُجَّةِ بَلْ عَلَى التَّقْلِيدِ بِوُجُودِ الْإِبَاءِ عَنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ الْخَبَرُ مِمَّنْ يَجِبُ قَبُولُ قَوْلِهِ وَاتِّبَاعُهُ – وَهُوَ الرَّسُولُ – فَالظَّاهِرُ أَنَّهَا لَا تَنْظُرُ فِي الْحُجَّةِ وَلَا تَلْتَفِتُ إلَيْهَا عِنْدَ الدَّعْوَةِ فَيَبْقَى ازْدِوَاجِ الْكَافِرِ مَعَ قِيَامِ الْعَدَاوَةِ الدِّينِيَّةِ الْمَانِعَةِ عَنْ السَّكَنِ وَالِازْدِوَاجِ وَالْمَوَدَّةِ خَالِيًا عَنْ الْعَاقِبَةِ الْحَمِيدَةِ فَلَمْ يَجُزْ إنْكَاحُهَا)) [1].

وبالله التوفيق.

المسألة السادسة: ((الفرق بين الشرك والكفر))

ما الفرق بين الشرك والكفر؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على أقوال:

(1) ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكساني الحنفي (459/3) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((القول الأول)):

لا فرق بينهما.

فالكفر والشرك اسمان لمسمى واحد، وإطلاق أحدهما على الآخر من باب الترادف (فكل كافر مشرك، وكل مشرك كافر)

نسبه ابن حزم للشافعي (1) وهذا قول أبي بكر بن الأصم [2]،واختاره ابن حزم [3]، واختاره جماعة من المعاصرين [4].

واستدلوا على ذلك:

بأن الله سمى الشرك كفرًا، وسمى الكفر شركًا، في نصوص، ومنها.

أ ـ قال –تعالى–:﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِإِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾{المؤمنون:117}.

فسمى الله من يشرك بالله في العبادة كافرًا

ب ـ قال الله –تعالى–:﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا

---

(1) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (264/3) ط (دار الجيل) بيروت.

(2) ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي (519/2) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، وأبو بكر الأصم: هو عبد الرحمن بن كيسان. ت (255 هـ) فقيه معتزلي مُفَسِّر، فصيح اللسان. كانت له مناظرات مع العلَّاف، وله عدة كتب.

انظر: طبقات المعتزلة، ابن المرتضى (صـ 56) ت: سوسة ديفلد، بيروت ـ لبنان،"سير أعلام النبلاء"، الذهبي (402/9) ط (مؤسسة الرسالة) بيروت ـ لبنان، "لسان الميزان"، الحافظ ابن حجر (121/5) ت: أبو غدة، ط (مكتبة المطبوعات الإسلامية)،"الأعلام" الزِركلي (323/3)، ط (دار العلم للملايين) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (265/3) ط (دار الجيل) بيروت.

(4) ـ منهم: ابن باز، والألباني، انظر: "فتاوى نور على الدرب"، ابن باز (280/1)، بعناية: الشويعر، و"فتاوى الألباني" (18/1).

﴿أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾{التوبة:32 _ 33}.

فسماهم الله كافرين، ومشركين.

ج ـ قال –تعالى–:﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾{الكهف:37 _ 38}.

فسمى فعله كفرًا، ثم في آخر نصحه وموعظته له بين له ألا يشرك بالله كما أشرك هو وقال في آخر القصة:﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾{الكهف:42}.

فصرح هو بنفسه أن فعله شرك، وقد سماه صاحبه كفر، وهذا يدل على أنهما اسمان لمسمى واحد، وهما مترادفان.

((القول الثاني))

بينهما عموم وخصوص، فالكفر أعم من الشرك.

فالكفر: جحد الإيمان بالله أو بأحد رسله، أو عدم الإيمان به، أو فعل ما يدل على عدم الإيمان.

ومدار الكفر على:(الاستكبار، والجحود).

والشرك: هو أن يعبد مع الله أحدًا سواه.

وهذا قول الجمهور.

قال أبو هلال العسكري:

((الفَرْقُ بين الكُفرِ والشِّرْكِ: أنَّ الكُفرَ خِصالٌ كَثيرةٌ على ما ذكَرْنا، وكُلُّ خَصلةٍ منها تضادُّ خَصلةً مِن الإيمانِ؛ لأنَّ العَبدَ إذا فَعَل خَصلةً مِنَ الكُفرِ فقد ضَيَّع خَصلةً مِن الإيمانِ، والشِّرْكُ خَصلةٌ واحِدةٌ، وهو إيجادُ آلِهةٍ مع اللهِ أو دونَ اللهِ، واشتقاقُه يُنبِئُ عن هذا المعنى، ثمَّ كَثُر حتى قيل لكُلِّ كُفرٍ: شِركٌ على وَجهِ التَّعظيمِ له، والمبالَغةِ في صِفَتِه، وأصلُه كُفرُ النِّعْمةِ لتضييعِه حُقوقَ اللهِ، وما يجِبُ عليه من شُكْرِ نِعَمِه، فهو بمنزلةِ الكافِرِ لها، ونقيضُ الشِّرْكِ في الحقيقةِ الإخلاصُ، ثُمَّ لَمَّا استُعمِلَ في كُلِّ كُفرٍ صار نقيضُه الإيمانَ)) [1].

قال الإمام النووي:

((إنَّ الشِّرْكَ والكُفرَ قد يُطلَقانِ بمعنًى واحِدٍ، وهو الكُفرُ باللهِ تعالى، وقد يُفَرَّقُ بينهما، فيُخَصُّ الشِّرْكُ بعَبَدةِ الأوثانِ وغَيرِها من المخلوقاتِ مع اعترافِهم باللهِ تعالى، ككُفَّارِ قُرَيشٍ، فيكونُ الكُفرُ أعَمَّ مِنَ الشِّرْكِ. واللهُ أعلَمُ)) [2].

واستدلوا على ذلك بأدلة:

الدليل الأول:

أن الله –تعالى– قد غاير بينهما في القرءان، فقال: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾{البينة:1} [3].

---

(1) ـ معجم الفروق اللغوية، العسكري (صـ454)، رقم:(1823)، ط (مؤسسة النشر الإسلامي).

(2) ـ صحيح مسلم بشرح النووي (62/1) تحت الحديث رقم: (134) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (264/3) ط (دار الجيل) بيروت.

وجه الاستدلال: العطف يقتضي المغايرة.

الدليل الثاني:

أن هذا مقتضى اللغة، والفرق اللغوي بين اللفظين:

فلفظ الشرك، مأخوذ من الشريك، فمن لم يجعل لله شريكًا فليس مشركًا (1).

((القول الثالث)):

أنهما: إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا.

"إذا افترقا" يعني: في الذكر.

"اجتمعا" يعني: في التعريف.

"إذا اجتمعا" يعني: في الذِّكر

"افترقا" يعني: في التعريف.

فالشرك والكفر إذا افترقا فهما بمعنى واحد، وهو الكفر بالله –تعالى –.

وإذا اجتمعا في آية، أو حديث، أو جملة:

فالمراد بالكفر: جحود الخالق– سبحانه–.

والمراد بالشرك: جعل شريك لله من مخلوقاته، وإشراكه معه في الخلق أو العبادة، أو فيهما معاً.

فالكفر –في أصله– هضم للربوبية، والشرك –في أصله– هضم للألوهية.

(1) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (264/3) ط (دار الجيل) بيروت.

((الترجيح)):

وأولى الأقوال بالصواب –في نظري– أن بين الشرك والكفر فرقًا، وبينهما تلازمًا.

أما الفرق بينهما: فهو العموم، والخصوص –كما ذكرنا في القول الثاني–.

وأما التلازم بينهما: فما من كافر، إلا وقد أشرك مع الله (هواه، وشيطانه) وما من مشرك إلا وقد كفر (بوحدانية الله).

وبالله التوفيق.

((فرع على الأصل السابق))

هل التقسيم: (الأصغر والأكبر) يختص بالشرك والكفر فقط؟

اعلم –رحمنا الله وإياك– أن هذا التقسيم: (الأصغر والأكبر) لا خاص، ولا قاصر على الكفر أو الشرك وحسب، وإنما يطلق على غير الشرك والكفر، وسنذكر ذلك باختصار، وإليك بيان ذلك:

1 ـ ((النفاق)):

النفاق: يُطلق كذلك في النصوص الشرعية، ويراد به النفاق الأكبر أو النفاق الأصغر.

واعلم أخي الحبيب –رحمنا الله وإياك– أن النفاق قسمان:

القسم الأول: النفاق الاعتقاديّ (النفاق الأكبر).

القسم الثاني: النفاق العمليّ (النفاق الأصغر).

الكلام على القسم الأول "النفاق الاعتقادي (الأكبر)":

النفاق الأكبر: هو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، خوفًا من سيف الحق –دولة الإسلام– (فهو في باطنه كافرٌ ويبغض الإسلام، ويظهر الإسلام).

قال الجرجاني:

((المنافق: هو الذي يضمر الكفر اعتقادًا، ويظهر الإيمان قولًا)) [1].

فمن أظهر الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأبطن ما يناقض

(1) ـ التعريفات، الجرجاني الحنفي (صـ 231) رقم: (1862)، ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

ذلك، أو يناقض شيئا منه: فهذا هو المنافق النفاق الأكبر.

حكم النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر):

للمنافق نفاقًا اعتقاديًّا أحكام في الدنيا وفي الآخرة:

أما في الدنيا: فتجري عليه أحكام المسلمين ما لم يُظهر هذا الكفر.

وأما في الآخرة: فيترتب عليه ما يترتب على الكفر الأكبر من انتفاء الإيمان عن صاحبه فلا يكون عند الله مؤمنًا، ومن الخلود في النار.

قال الله-تعالى-:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾{النساء:145}.

الدليل على هذا النوع في النصوص الشرعية:

هناك نصوص شرعية كثيرة فيها النفاق الأكبر، ومنها:

أ ـ قال- الله تعالى-:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾{النساء:145}.

ب ـ قال -الله تعالى-:﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾{التوبة:68}.

ج ـ قال-الله تعالى-:﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾{النساء:140}.

د ـ قال تعالى:﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾{الأحزاب:73}

الكلام على القسم الثاني "النفاق العملي"(الأصغر)":

المقصود به: النفاق الأصغر الذي هو دون النفاق الاعتقادي،-ويسمى كذلك بالنفاق العملي- فهو نفاق يتعلق بالأعمال، وهو أن يظهر عملًا صالحًا ويبطن خلاف ذلك، أو تختلف سريرته عن علانيته، لكن هذا الاختلاف بين الظاهر والباطن ليس في أصول الإيمان التي مر ذكرها.

مثال:

كأن يقع في شعبة من شعب النفاق العملي، ويتصف بصفة أو أكثر من صفات المنافقين "كالكذب والخيانة، والفجور في الخصومة وخلف الوعد".

ومعنى ذلك: أنه لا ينفي عن صاحبه مطلَق الإيمان، وصاحب هذا النوع من النفاق يكون في مشيئة الله أي إنْ شاء اللهُ عذبه وإن شاء غفر له، ولا يخلد في النار لو عُذب، وقد تدركه الشفاعة بإذن الله -تعالى-.

صور من النفاق العملي:

أ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-:((**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**)) [1].

وفي رواية: ((**...مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ**)) [2].

معنى الحديث:

"ولم يغز" يعني: ولم يغز حقيقةً، ولم يجاهد في سبيل الله حقيقةً، ولم ينل هذا

([1]) ـ رواه مسلم (1910) وغيره.

([2]) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (2502).

الشرف.

"ولم يحدث به نفسه" يعني: لم يحدث نفسه بالجهاد، ولم يتمنَّ الجهاد في سبيل الله، ولم يتشوق إلى الغزو في سبيل الله ولم يرغب فيه.

"مات على شعبة من نفاق" يعني: مات على شعبة من شعب النفاق.

وهذه معصية من المعاصي وليست كفرًا، فمعنى قوله –صلى الله عليه وسلم–:

"مات على شعبة من نفاق" أي: مات على شعبة من شعب النفاق الأصغر، لا النفاقِ الذي يخرج من الملة.

قال القاضي عياض –رحمه الله–:

((قوله:"**مات على شعبة من نفاق**": فسره فى الكتاب ابن المبارك: أنه مخصوص بزمن النبى– صلى الله عليه وسلم–، حيث كان الجهاد واجباً، وحمله على النفاق الحقيقى. وقد يحتمل أنه على العموم، ويكون معنى هذا: أنه تشبه بأخلاق المنافقين التى منها التخلف عن الجهاد، وهو إحدى شعب النفاق وأخلاق المنافقين)) [1].

قال النووي –رحمه الله–:

((...وهذا الذى قاله بن الْمُبَارَكِ مُحْتَمَلٌ وَقَدْ قَالَ غَيْرُهُ إِنَّهُ عَامٌّ وَالْمُرَادُ أَنَّ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَدْ أَشْبَهَ المنافقين المتخلفين عن الجهاد فى هذا الوصف فَإِنَّ تَرْكَ الْجِهَادِ أَحَدُ شُعَبِ النِّفَاقِ)) [2].

---

(1) ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (338/6) رقم:(1910) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (49/7) رقم: (1910) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–، عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ:((**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا –أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ– حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**)) [1].

وفي رواية:((**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**)) [2].

فالنفاق المذكور هنا: يُقصد به النفاق العملي لأن هذا يتعلق بأعمال.

إشكال في هذا الحديث:

ربما يُفهم من قوله –صلى الله عليه وسلم–:**(كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا)** أن المقصود: (النفاق الأكبر)، فمن اجتمعت فيه الخصال الأربع صار منافقًا النفاق الأكبر.

الجواب عن هذا الإشكال:

نقول: من اجتمعت فيه الخصال الأربع المذكورة في الحديث فنفاقه من جنس نفاق العمل، كما قال علماؤنا:

قال الإمام الترمذي –رحمه الله–:

((وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا كَانَ نِفَاقُ التَّكْذِيبِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَكَذَا رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ شَيْءٌ مِنْ

---

(1) ـ رواه البخاري (2459)، ومسلم (106).

(2) ـ رواه البخاري (34).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هَذَا، أَنَّهُ قَالَ: النِّفَاقُ نِفَاقَانِ؛ نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَنِفَاقُ التَّكْذِيبِ)) [1].

تأويلات العلماء لهذه اللفظة:

وقد تأول العلماء قول النبي -صلى الله عليه وسلم-:**(كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا)**، **على توجيهات:**

الأول:

قيل: أن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم.

الثاني:

قيل: المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي-صلى الله عليه وسلم- فحدثوا بإيمانهم وكذبوا، واؤتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا في خصوماتهم.

وهذا القول: مروي عن ابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهم-، وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري -رحمه الله- بعد أن كان على خلافه [2].

الثالث:

قيل: معناه التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه أن تفضي به إلى حقيقة النفاق.

([1]) ـ سنن الإمام الترمذي، تحت الحديث رقم: (2632).

([2]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم(40/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

الرابع:

قيل: خالصًا في هذه الخلال المذكورة في الحديث فقط لا في غيرها.

الخامس:

أن الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يواجههم بصريح القول فيقول: فلان منافق وإنما كان يشير إشارة كقوله -صلى الله عليه وسلم-: ما بال أقوام يفعلون كذا؟ [1]

وقال الإمام الخطّابي -رحمه الله-:

((وهذا القول من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، شفقا أن تفضي به إلى النفاق، وليس المعنى أن من بدرت منه هذه الخلال، وكان ما يفعل منها على غير وجه الاختيار والاعتياد له أنه منافق)) [2].

وقال أبو العباس القرطبي في المفهم -رحمه الله-:

((وليس الأمرُ على مقتضى هذا الظاهرِ؛ لِمَا قرَّرناه في أوَّلِ الكتابِ، وأَعَدناه في البابِ الذي قبلَ هذا.

ولـمَّا استحالَ حملُ هذا الحديثِ على ظاهره على مذهبِ أهل السنة، اختلَفَ العلماءُ فيه على أقوال:

---

(1) ـ انظر لهذه التوجيهات، "أعلام الحديث" شرح صحيح البخاري، الخطابي (165/1) ح، شرح النووي على صحيح مسلم (40/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (366/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري، الخطابي (165/1) ح.

أحدها: أنَّ هذا النفاقَ هو نفاقُ العملِ الذي سألَ عنه عمرُ حذيفةَ لما قال له: هل تعلَمُ فيَّ شيئًا من النفاق؟ أي: مِن صفات المنافقين الفعليَّة، ووجهُ هذا: أنَّ مَن كَانَت فيه هذه الخصالُ المذكورة، كان ساترًا لها، ومظهرًا لنقائضها؛ فصدَقَ عليه اسمُ منافق.

وثانيها: أنّه محمولٌ على مَن غلبت عليه هذه الخصال، واتَّخَذَها عادةً، ولم يبالِ بها؛ تهاوُنًا واستخفافًا بأمرها؛ فأي مَن كان هكذا، كان فاسدَ الاِعتقادِ غالبًا، فيكونُ منافقًا خالصًا.

وثالثها: أنَّ تلك الخصالَ كانت علامةَ المنافقين في زمانه؛ فإنَّ أصحابَ النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- كانوا متجنبين لتلك الخصال؛ بحيث لا تقع منهم، ولا تُعرَفُ فيما بينهم؛ وبهذا قال ابنُ عبَّاس وابنُ عمر، ورُوِيَ عنهما في ذلك حديثٌ، وهو أنهما أَتَيَا النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- فسألاه عن هذا الحديث، فضحكَ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- وقال:"ما لكم ولهنَّ، إنما خصَصتُ بهنَّ المنافقين، أنتم مِن ذلك بُرَآء"، وذكر الحديثَ بطولِهِ القاضي عياض، قال :وإلى هذا صارَ كثيرٌ من التابعين والأئمَّة)) [1].

وقال النووي -رحمه الله-:

((هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا عَدَّهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُشْكِلًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ تُوجَدُ فِي الْمُسْلِمِ الْمُصَدِّقِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ

(1) ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (250/1) ط (دار ابن كثير)، (دار الكلم الطيب) دمشق ـ بيروت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَفَعَلَ هَذِهِ الْخِصَالَ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِكُفْرٍ وَلَا هُوَ مُنَافِقٌ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ فَإِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ وَكَذَا وُجِدَ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ بَعْضُ هَذَا أَوْ كُلُّهِ وَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى إِشْكَالٌ وَلَكِنِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مَعْنَاهُ فَالَّذِي قَالَهُ الْمُحَقِّقُونَ وَالْأَكْثَرُونَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ خِصَالُ نِفَاقٍ وَصَاحِبُهَا شَبِيهٌ بالمنافقين فِي هَذِهِ الْخِصَالِ وَمُتَخَلِّقٌ بِأَخْلَاقِهِمْ فَإِنَّ النِّفَاقَ هُوَ إِظْهَارُ مَا يُبْطِنُ خِلَافَهُ وَهَذَا الْمَعْنَى مَوْجُودٌ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَيَكُونُ نِفَاقُهُ فِي حَقِّ مَنْ حَدَّثَهُ وَوَعَدَهُ وَائْتَمَنَهُ وَخَاصَمَهُ وَعَاهَدَهُ مِنَ النَّاسِ لَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ فِي الْإِسْلَامِ فَيُظْهِرُهُ وَهُوَ يُبْطِنُ الْكُفْرَ وَلَمْ يُرِدِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ نِفَاقَ الْكُفَّارِ الْمُخَلَّدِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا مَعْنَاهُ شَدِيدُ الشَّبَهِ بِالْمُنَافِقِينَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْخِصَالِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ وَهَذَا فِيمَنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ غَالِبَةً عَلَيْهِ فَأَمَّا من يندر ذلك منه فَلَيْسَ دَاخِلًا فِيهِ فَهَذَا هُوَ الْمُخْتَارُ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ وَقَدْ نَقَلَ الْإِمَامُ أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَعْنَاهُ عَنِ الْعُلَمَاءِ مُطْلَقًا فَقَالَ إِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ نِفَاقُ الْعَمَلِ وَقَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُرَادُ بِهِ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثُوا بِإِيمَانِهِمْ وَكَذَبُوا وَاؤْتُمِنُوا عَلَى دِينِهِمْ فَخَانُوا وَوَعَدُوا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَنَصْرِهِ فَأَخْلَفُوا وَفَجَرُوا فِي خُصُومَاتِهِمْ وَهَذَا قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَرَجَعَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَلَى خِلَافِهِ وَهُوَ مروى عن بن عباس وبن عُمَرَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَوَيَاهُ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ وَإِلَيْهِ مَالَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّتِنَا وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَوْلًا آخَرَ أَنَّ مَعْنَاهُ التَّحْذِيرُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْتَادَ هَذِهِ الْخِصَالَ الَّتِي يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ تُفْضِيَ بِهِ إِلَى حَقِيقَةِ النِّفَاقِ وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيْضًا عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْحَدِيثَ وَرَدَ فِي رَجُلٍ بِعَيْنِهِ مُنَافِقٍ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَاجِهُهُمْ بِصَرِيحِ الْقَوْلِ فَيَقُولُ فُلَانٌ مُنَافِقٌ وَإِنَّمَا كَانَ يُشِيرُ إِشَارَةً كَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ)) [1].

ويقول الكرماني –رحمه الله–:

((أقول فلدفع الأشكال خمسة أوجه لأن اللام إما للجنس فهو إما على سبيل التشبيه أو أن المراد الاعتياد أو معناه الإنذار وإما للعهد إما من منافقي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما منافق خاص بشخص بعينه وههنا وجه سادس للدفع وهو أن المراد بالنفاق النفاق العملي لا النفاق الإيماني إذ النفاق نوعان كما يستفاد من كلام الخطابي وأحسن الوجوه وهو السابع بأن يقال النفاق شرعي وهو ما يبطن الكفر ويظهر الإسلام وعرفي وهو ما يكون سره خلاف علنه وهذا هو المراد إن شاء الله تعالى)) [2].

([1]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (40/1 ـ 41) تحت الحديث رقم: (106) باب: "بيان خصال المنافق"، ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

([2]) ـ الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (366/1) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن الملك–رحمه الله–:

((أما من كُنَّ فيه هذه الخصال لا عن اعتقاد استحلالها، فلا يكون منافقاً شرعياً،بل يكون عُرفياً، وهو الذي يراعي أمور الدين علناً، ويترك محافظتها سراً، ويدل عليه قوله" :ومن كانت فيه خصلة منهن، كانت فيه خصلة من النفاق حتَّى يدعها"؛ أي :يتركها)) [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

((وَالنِّفَاقُ يُطْلَقُ عَلَى النِّفَاقِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ إضْمَارُ الْكُفْرِ وَعَلَى النِّفَاقِ الْأَصْغَرِ الَّذِي هُوَ اخْتِلَافُ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ فِي الْوَاجِبَاتِ. قَالَ لَهُ ابْنُ الْمُرَحَّلِ:– وَمِنْ أَيْنَ قُلْت: إنَّ الِاسْمَ يُطْلَقُ عَلَى هَذَا وَعَلَى هَذَا؟. قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ:– هَذَا مَشْهُورٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ. وَبِذَلِكَ فَسَّرُوا قَوْلَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم–:((**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ**)) وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ. وَحَكَوْهُ عَنْ الْعُلَمَاءِ. وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ "كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ وَنِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ وَشِرْكٌ دُونَ شِرْكٍ". وَإِذَا كَانَ النِّفَاقُ جِنْسًا تَحْتَهُ نَوْعَانِ فَالْفَاسِقُ دَاخِلٌ فِي أَحَدِ نَوْعَيْهِ)) [2].

سؤال: ما الأصل في نصوص القرآن التي ورد فيها ذكر النفاق؟

((الجواب)):

إذا أطلق النفاق في كتاب الله فالأصل فيه أنه النفاق الأكبر، ما لم تأت

([1]) ـ شرح المصابيح، ابن الملك (75/1) ح.

([2]) ـ مجموع الفتاوي، ابن تيمية (140/11) ط (مكتبة ابن تيمية) مصر.

قرينة صارفة عن ذلك.

((سؤال)):

لماذا سمي المنافق بهذا الاسم؟

((الجواب))

لأمور:

أحدها: أنَّه سمِّي بذلك؛ لأنَّه يستُرُ كفره؛ فأشبه الداخلَ في النَّفَق، وهو السَّرَبُ.

وثانيها: أنه شُبِّهَ باليربوعِ الذي له جُحرٌ يقال له: القَاصِعاء، وآخَرُ يقال له: النَّافِقاء، فإذا أُخِذَ عليه مِن أحدهما، خرَجَ من الآخر؛ وكذلك المنافق: يخرُجُ من الإيمانِ مِن غير الوجهِ الذي يدخُلُ فيه.

وثالثها: أنَّه شُبِّه باليربوعِ مِن جهة أنَّ اليربوع يَخرِقُ في الأرض، حتى إذا قاربَ ظاهرَهَا، أَرَقَّ الترابَ، فإذا رَابه رَيب، دفَعَ الترابَ برأسِهِ فخرَجَ، فظاهرُ جُحرِهِ تراب، وباطنُهُ حَفر، وكذلك المنافقُ: ظاهرُهُ الإيمان، وباطنه الكفر [1].

2 ـ ((الفسق)):

الفسق في شريعة الله، يطلق في النصوص الشرعية، ويراد به الفسق الأكبر، أو الأصغر (فسق دون فسق)

تعريف الفسق لغة: الخروج عن الشيء، ومنه الخروج عن الطاعة.

([1]) ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي (249/1) ط (دار ابن كثير)، (دار الكلم الطيب) دمشق ـ بيروت.

يُقال: فسَقت التمرة عن قشرها إذا خرجت، وفسقت الفأرة عن جحرها، إذا خرجت من الجحر.

والفسق اصطلاحًا: العصيان وتركُ أمر الله والخروجُ عن طاعته.

والفسق في شريعة الله قسمان:

الأول: الفسق الأكبر.

الثاني: الفسق الأصغر.

أولًا: الكلام على الفسق الأكبر:

الفسق الأكبر: رديف الشرك والكفر الأكبر، أي أنه يخرج صاحبه من الملة وينفي عنه مطلق الإيمان كالشرك والكفر الأكبر.

الدليل على هذا النوع _الفسق الأكبر_ في النصوص الشرعية:

هناك نصوص شرعية كثيرة فيها الفسق الأكبر، ومنها:

أ ـ قال-تعالى-:﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ**﴾{البقرة:99}.

ب ـ قال-تعالى-:﴿**وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾{النور:55}.

ثانيًا: الكلام على الفسق الأصغر:

الفسق الأصغر هو فسق دون فسق، ويُطلق على مرتكب الكبيرة -غير المكفرة-، ولا ينفي هذا الفسق عن صاحبه مطلق الإيمان ولا مسمَّى الإسلام ووصفه، أي يمكن أن يكون مسلما مع أن فيه فسقًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة: أن المسلم قد يجتمع فيه إيمان وفسق **كما جاء في الحديث:** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-:((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) [1].

والمقصود أنه لا يفعل هذه الكبائر، وهو كامل الإيمان.

الدليل على هذا النوع -الفسق الأصغر- في النصوص الشرعية:

هناك نصوص شرعية كثيرة فيها الفسق الأصغر، ومنها:

أ ـ قال-تعالى-:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ {الحجرات:6}.

ب ـ قال-تعالى-:﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾{البقرة:197}.

ج ـ قال-تعالى-:﴿وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾{البقرة:282}.

فالفسق المذكور في النصوص السابقة هو: **"الفسق الأصغر"**.

د ـ ومن السُّنة:

عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ المرْجِئَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ:((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) [2].

---

(1) ـ رواه البخاري (2475)

(2) ـ رواه البخاري (48)، ومسلم (116).

فالأصل أن الإنسان إذا سب مسلمًا لم يكفر بهذا في الأصل.

هـ ـ عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–:((**قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ**)) [1].

فالفسق المذكور في نصوص السُّنة السابقة هو: "**الفسق الأصغر**".

3 ـ ((الظلم)):

الظلم في شريعة الله، يطلق في النصوص الشرعية، ويراد به الظلم الأكبر، أو الأصغر (ظلم دون ظلم).

تعريف الظلم لغة: أصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد [2]، يقال: ظَلَمه، يَظْلِمُه ظَلْمًا، فالظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ.

وأصل الظلم، وضع الشيء في غير موضعه [3].

وقالَ الرَّاغِبُ: هُوَ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ:

(وَضْعُ الشّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه...) [4]

([1]) ـ رواه البخاري (1904).

([2]) ـ تهذيب اللغة، الأزهري (276/14) ح، لسان العرب، ابن منظور (258/5) مادة: (ظلم) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

([3]) ـ مقايس اللغة، ابن فارس (468/3) كتاب الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري أبو النصر (977/5) ح، لسان العرب، ابن منظور (259/5) مادة: (ظلم) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

([4]) ـ المفردات في غريب القرءان، الراغب الأصفهاني (صـ 537)، تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي (33/33) ح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن معانيه: الميل عن القصد [1].

معنى الظلم اصطلاحًا:

هو: (وضع الشيء في غير موضعه المختص به؛ إمَّا بنقصان أو بزيادة؛ وإما بعدول عن وقته أو مكانه) [2].

وقيل: (هو عبارة عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل وهو الجور. وقيل: هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحد) [3].

والظلم في شريعة الله قسمان:

الأول: الظلم الأكبر.

الثاني: الظلم الأصغر.

أولًا: الكلام على الظلم الأكبر:

الظلم الأكبر: رديف الشرك الأكبر، أي : ينفي عن صاحبه مطلق الإيمان، بل إنّ أظلم الظلم أن يشرك الإنسان بربه –عز وجل– .

نصوص في الظلم الأكبر (المخرج من الملة):

أ ـ قال–تعالى–:﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾{لقمان:13}.

والمقصود بالظلم هنا الشرك.

كما ورد في الحديث:

---

(1) ـ لسان العرب، ابن منظور (259/5) مادة: (ظلم) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ المفردات في غريب القرءان، الراغب الأصفهاني (صـ 537) ح.

(3) ـ التعريفات، الجرجاني (صـ144).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ –رضي الله عنه–،قَالَ:لَمَّا نَزَلَتْ:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ {الأنعام: 82}.

إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ:((لَيْسَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) [1].

ب ـ قال–تعالى–:﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾{هود:100-102}

فالمقصود بـ "ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ" الظلم الأكبر، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله آلهةً.

ج ـ قال–تعالى–:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾{هود:18}.

يقول الإمام الطبري –رحمه الله–:

((أَلَا غَضَبُ اللَّهِ عَلَى الْمُعْتَدِينَ. الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ)) [2].

---

(1) ـ رواه أحمد (3589)، البخاري (3429)، ومسلم (198)، والترمذي (3067).

(2) ـ تفسير الطبري (366/12) ط (دار هجر).

ثانيًا ((الكلام على الظلم الأصغر):

الظلم الأصغر: فهو ظلم دون ظلم، لا يخرج من الملة ولا ينفي عن صاحبه مطلق الإيمان.

نصوص في الظلم الأصغر:

أ ـ قال-تعالى-:﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[البقرة:231].

ب ـ قال-تعالى-:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[آل عمران:135].

ج ـ قال-تعالى-:﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[الأعراف:23].

مسألة ((أنواع الظلم عمومًا)):

الظلم عمومًا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظلم العبد لنفسه -ظلم أكبر-.

القسم الثاني: ظلم العبد للناس -بينه وبين الناس-.

القسم الثالث: ظلم العبد لنفسه بالمعاصي.

وقد جُمِعَت هذه الأقسام في حديث واحد -في سنده ضعف- وسنذكره استئناسًا:

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-،قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((الدَّوَاوِينُ ثَلَاثَةٌ فَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَالْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: 48] وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا قَطُّ فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئًا فَمَظَالِمُ الْعِبَادِ بَيْنَهُمُ الْقِصَاصُ لَا مَحَالَةَ)) [1].

وفي رواية: ((الدَّوَاوِينُ ثلاثَةٌ: فَدِيوَانٌ لَا يَغْفِرُ الله مِنْهُ شَيْئاً وَدِيوَانٌ لَا يَعْبأُ الله بِهِ شَيْئاً وَدِيوَانٌ لَا يَتْرُكُ الله مِنْهُ شَيْئاً فأَمَّا الدِّيوانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ الله مِنْهُ شَيْئاً فالإِشْراكُ بِاللَّه وأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئاً فَظُلْمُ العَبْدِ نَفْسَهُ فِيما بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنْ صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ أَوْ صَلاةٍ تَرَكَها فإِنَّ الله يَغْفِرُ ذَلِكَ إِنْ شاءَ وَيَتَجَاوَزُ وأَمَّا الدِّيوانُ الذِي لَا يَتْرُكُ الله مِنْهُ شَيْئاً فَمَظالِمُ العِبادِ بَيْنَهُمُ القِصاصُ لَا مَحالَةَ)) [2].

وإليك نبذة مختصرة عن هذه الأقسام الثلاث:

القسم الأول: ((ظلم العبد لنفسه –ظلم أكبر–)):

وأعظمه: الكفر، والشرك، والنفاق، ومن صور ذلك:

أ ـ قال–تعالى–:﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[الأنعام: 93].

ب ـ قال–تعالى–:﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[هود:18].

---

(1) ـ **إسناده ضعيف:** رواه البيهقي في شعب الإيمان (7069)، والحاكم (7817) وهذا لفظه.

(2) ـ انظر: الجامع الصغير وزيادته، السيوطي (6767).

ج ـ قال-تعالى-:﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان:13].

د ـ قال-تعالى-:﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾[الزمر: 32].

هـ ـ قال-تعالى-:﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإنسان: 31].

القسم الثاني: ظلم العبد للناس -بينه وبين الناس-:

ظلم بينه وبين الناس، بالتعدي على دمائهم أو أموالهم، أو أعراضهم، ومن صور ذلك:

قال -تعالى-:﴿وجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[الشورى: 42].

قال-تعالى-:﴿ولَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾[الإسراء:33]

القسم الثالث: ظلم العبد لنفسه بالمعاصي:

كأن يقع العبد في معاصٍ ومنكرات، وكبائر، ومن صور ذلك:

قال-تعالى-: فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾[فاطر: 32].

قال الله-تعالى-:﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران:135].

قال-تعالى-:﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف:23].

قال-تعالى-:﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[البقرة:231].

خلاصة الكلام:

الشرك والظلم والنفاق والفسق كل منها يُطلق في شريعة الله ويراد به تارة الأكبر، ويراد به تارةً أخرى الأصغرُ.

((القاعدة الثانية))

((كل ما سماه اللهُ –تعالى– ورسولُه –صلى الله عليه وسلم– **شركًا فيجب أن نسميَه شركًا سواء أكان من الشرك الأصغر أو من الشرك الأكبر)).**

والكلام على هذا الأصل سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ((معنى القاعدة)):

المسألة الثانية ((أدلة هذه القاعدة)):

المسألة الثالثة ((تطبيق هذه القاعدة)):

((القاعدة الثانية))

((كل ما سماه اللهُ ورسولُه شركًا فيجب أن نسميَه شركًا سواء أكان من الشرك الأصغر أو من الشرك الأكبر)).

والكلام على هذا الأصل سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ـ ((معنى القاعدة)):

أن إطلاق الحكم على شيءٍ بكونِه شركًا أو كفرًا أو فسقًا – فهذا من الأحكام الشرعية ولا يستقلُ العقلُ بها، فالشرك ما سماه اللهُ –تعالى– ورسولُه –صلى الله عليه وسلم– شركًا، والكفر ما سماه اللهُ ورسولُه كفرًا ولو سماه الناس غير ذلك، والكافر من كفّره الله ورسوله ولو لم يكفره الناس، والمشرك من سماه الله ورسوله مشركا.

((الخلاصة)):

العبرة في هذه الإطلاقات بالشرع لا بالعقل.

المسألة الثانية ـ ((أدلة هذه القاعدة)):

هذه القاعدة دلت عليها أدلة كثيرة، ومنها:

((الدليل الأول)):

قال–تعالى–:﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾[البقرة : 140].

وجه الاستدلال: من لم يسم الفعل أو القول أو الاعتقاد الذي سماه الله شركا فقد أدخل نفسه تحت الذم المتضمَّن في هذا الاستفهام الإنكاري.

((الدليل الثاني)):

قال –تعالى–:﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف : 33].

وجه الاستدلال: حرم الله القول عليه بلا علم، وما سماه الله شركًا إذا لم يسمه العبدُ شركًا بلا برهان فقد قال على الله –تبارك وتعالى– ما لا يعلم ونزل تحت هذا الوعيد وهذا التحريم.

((الدليل الثالث)):

قال –تعالى–:﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[الإسراء : 36].

(وَلا تَقْفُ) أي: لا تتبع ما ليس لك به علم.

وجه الاستدلال: من لم يسم ما سماه الله ورسوله شركًا فقد اتبع ما ليس له به علم، وقد نهى ربنا عن ذلك.

((الدليل الرابع)):

قال–تعالى–:﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ ﴾[النحل : 116].

وجه الاستدلال: نهى الله عن التقول عليه بغير علم وسماه افتراءً، ومن لم يسم ما سماه الله ورسوله شركًا فقد تَقَوَّل الكذب.

((الدليل الخامس)):

قال-تعالى-:﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1] [الحاقة:44 ـ 46].

وجه الاستدلال: يخبر الله عن المشركين الذين يزعمون أنه كاذب –بأبي هو وأمي وحاشاه– فبيّن الله أنه لو كان –صلى الله عليه وسلم– يَتَقَوَّل على الله بعض الأقاويل لعاقبه الله بما ذَكَرَ، وهذا وعيد لأشرف وأعظم خلق الله، النبي –صلى الله عليه وسلم–مع أنه معصوم من التَقَوُّل على الله –تعالى– بغير علم –وحاشاه–.

فكيف بغير النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا تَقَوَّل على الله بغير علم، فسمى القول أو الفعل أو الاعتقاد شركًا وهو تعالى لا يسميه شركًا، أوالعكس.

((الدليل السادس)):

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ سُئِلَ عَنْ:﴿فَاكِهَةً وَأَبًّا﴾[عبس: 31]، فَقَالَ: **((أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ))** [2]

([1]) ـ **((لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ))**: قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه.

((لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ)): قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه.

وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد.

وقال محمد بن كعب: هو القلب ومراقه وما يليه.

([2]) ـ رواه مالك في الموطأ (2079)، وابن أبي شيبة في المصنف (30107)، والبيهقي في شعب الإيمان (2082).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

((وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَوْنُ الرَّجُلِ مُؤْمِنًا وَكَافِرًا وَعَدْلًا وَفَاسِقًا هُوَ مِنَ الْمَسَائِلِ الشَّرْعِيَّةِ لَا مِنَ الْمَسَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ.....)) [1].

المسألة الثالثة _ ((تطبيق هذه القاعدة)):

مثال (1):

قال المشركون –وقد كانوا يصرفون أنواعا من العبادات لآلهتهم–: نتقرب إلى الله بعبادة هذه الآلهة، ولم يسموا فعلهم هذا شركا.

قال الله–تعالى–:﴿**أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ**﴾ [الزمر:3].

المشركون كانوا يصرفون العبادة لغير الله، وهذا قد سماه الله وسماه رسوله (صلى الله عليه وسلم) شركا –كما سيأتي معنا– لكنهم سمَّوْا هذا تقرُّبا إلى الله ولم يسموا صنيعهم هذا شركًا، وما عاملهم الله إلا معاملة الكفار ولم يعد مقالتَهم هذه (حيث سموا شركهم شفاعة) وقد عاملهم النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضا معاملة الكفار وقاتلَهم النبي –صلى الله عليه وسلم–.

مثال (2):

رجل حلف بغير الله (بالنبي –صلى الله عليه وسلم– مثلا) فسئل عن قَسَمِه

(1) ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (93/5) ت: محمد رشاد سالم.

بالنبي –صلى الله عليه وسلم–، فقال:(هذا من فرط حبي للنبي –صلى الله عليه وسلم–،ومن فرط تعظيمي محمدًا –صلى الله عليه وسلم–).

نقول: القاعدة في الباب:

(كل ما سماه الله ورسوله شركًا يجب أن نسميه شركًا).

وفي الحديث عن رسول الله:

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَقُولُ:

((مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)) [1].

فقد سمى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الحلف بغير الله شركًا.

الخلاصة:

العبرة في هذه الإطلاقات (الفسق، الكفر، الشرك، النفاق) بالشرع لا بالعقل.

([1]) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (3251).

((القاعدة الثالثة))

((من أثبت وسائطَ باطلةً بين الله والخلق فقد أشرك))

والكلام على هذا الأصل سيكون في مسائل:

المسألة الأولى: معنى القاعدة.

المسألة الثانية : ما المقصود بالشرك في هذا الأصل؟.

المسألة الثالثة: الأدلة على هذه القاعدة.

المسألة الرابعة: التطبيق العملي للقاعدة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((القاعدة الثالثة))

((من أثبت وسائطَ باطلةً بين الله والخلق فقد أشرك [1]))

والكلام على هذا الأصل سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ـ ((معنى القاعدة)):

((من أثبت وسائط باطلة بين الله والخلق)) **نعني**: من أثبت، أو جعل، أو اتخذ بينه وبين الله، أو بين الله و خلقه، وسائط باطلة –وسيأتي الكلام على هذا القيد "باطلة"–

وقد عبرنا بلفظ "من أثبت"، لأنه أعم [2].

((فقد أشرك)) **نعني**: أنه وقع في الشرك، وقد يكون فعله من الشرك الأكبر، أو الشرك الأصغر، –وهذا له تفاصيل سيأتي بيانها تباعًا–.

ثم المقصود بالشرك هنا: النوع لا العين؛ لأن المسلم قد يأتي بعمل هو شرك أكبر–مثلًا– ولا يكون العامل مشركًا؛ لعدم الشروط، أو لوجود مانع،–إذ التكفير العيني له شروط، وله موانع، ولكي يتحقق لابد من استيفاء الشروط، وانتفاء الموانع– والمقصود: أنَّ عمله كفر، لكن هو لا يكون كافرًا عينًا إلا بعد استيفاء الشروط وانتفاء الموانع [3].

إذا لا يلزم من التكفير المطلق تكفير المعين.

---

(1) ـ وهذا الشرك سيختلف، فقد يكون من الشرك الأكبر، أو من الشرك الأصغر، بحسب الحال، وسيأتي الكلام على ذلك، وبيانه ـ إن شاء الله ـ.

(2) ـ لأنه قد يُثبت، ولا يتخذ.

(3) ـ وهذه المسألة لها تفاصيل كثيرة وضواب، بينتها بدلائلها في كتابي: ((التأصيل في قواعد التكفير))

سؤال: لماذا قيدنا "بالوسائط الباطلة"؟

أو ما فائدة قيد "باطلة" في قولنا: "وسائط باطلة"؟

((الجواب)):

إنما قيدنا الوسائط بـ "باطلة"؛ لأن الوسائط تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: وسائط حق بين الله وخلقه.

القسم الثاني: وسائط باطلة.

القسم الأول ((وسائط حق بين الله وخلقه)):

كالرسل، فإنهم واسطة بين الله والخلق في تبليغ أمر الله، إذ الخلق لا يعرفون ما فرض الله عليهم، ولا ما أمر به ولا ما نهى عنه، ولا ما نسخه ولا ما أعد لأوليائه من كرامة ووعد، ولا ما توعد به أعداءه من عذاب إلا عن طريق الرسل -صلوات الله عليهم-، وكذلك لا يعرف الخلق ما يستحقه الله من الأسماء الحسنى والصفات العُلا إلا بالرسل الذين أرسلهم الله للعباد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

((وَالْأَنْبِيَاءُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ- هُمْ وَسَائِطُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فِي تَبْلِيغِ كَلَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ وَأَنْبَائِهِ الَّتِي أَنْبَأَ بِهَا عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَعَرْشِهِ وَمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَلَيْسُوا وَسَائِطَ فِي خَلْقِهِ لِعِبَادِهِ وَلَا فِي رِزْقِهِمْ وَإِحْيَائِهِمْ وَإِمَاتَتِهِمْ وَلَا جَزَائِهِمْ بِالْأَعْمَالِ وَثَوَابِهِمْ وَعِقَابِهِمْ وَلَا فِي إجَابَةِ دَعَوَاتِهِمْ وَإِعْطَاءِ سُؤَالِهِمْ؛ بَلْ هُوَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الَّذِي يُجِيبُ

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَهُوَ الَّذِي يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ....)) [1].

القسم الثاني ((وسائط باطلة)):

كالوسائط بين الله والخلق في جلب الرزق ودفع المضارّ -بما لا يجوز شرعًا [2]- كمن جعل الأنبياء والملائكة الصالحين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم دفعَ المضارِ وجلبَ النافع، وهذا كفر بإجماع المسلمين.

قال-تعالى-:﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[يونس: 18].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

((فَمَنْ جَعَلَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَسَائِطَ، يَدْعُوهُمْ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ وَيَسْأَلُهُمْ جَلْبَ الْمَنَافِعِ، وَدَفْعَ الْمَضَارِّ، مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَهُمْ غُفْرَانَ الذَّنْبِ وَهِدَايَةَ الْقُلُوبِ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُوبِ وَسَدَّ الفاقات: فَهُوَ كَافِرٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ....)) [3].

وقال أيضًا:

((وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ وَسَائِطَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ كَالْوَسَائِطِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَالرَّعِيَّةِ فَهُوَ مُشْرِكٌ؛ بَلْ هَذَا دِينُ الْمُشْرِكِينَ عُبَّادُ الْأَوْثَانِ

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (27/ 279 ـ 280) ط (مكتبة ابن تيمية) مصر.

(2) ـ قيدنا "**بما لا يجوز شرعًا**": حتى لا يأتي معترض ويقول: صاحب العمل واسطة في جلب الرزق، والاستغاثة الناس لدفع الضر واسطة، قلنا لهذا المتفزلق: هذا مما جوزه الشرع، الاستغاثة بالحي الحاضر القادر.

(3) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (124/1) ط (مكتبة ابن تيمية) مصر.

كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّهَا تَمَاثِيلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَإِنَّهَا وَسَائِلُ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ؛ وَهُوَ مِنْ الشِّرْكِ الَّذِي أَنْكَرَهُ اللَّهُ عَلَى النَّصَارَى حَيْثُ قَالَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:31]...)) [1].

المسألة الثانية _ ((ما المقصود بالشرك في هذا الأصل؟)):

ما المقصود بالشرك في هذا الأصل آلأكبر، أم الأصغر؟

المسألة فيها تفصيل على ما يلي:

أ ـ لو صرف لهم العبادة من دون الله، أو اعتقد فيهم ما لا يُعتقد إلا في الله فهذا (**شرك أكبر**)

ب ـ لو اتخذهم أسبابًا أو شفعاءَ إلى الله دون أن يصرف لهم العبادة ودون أن يعتقد فيهم ما لا يُعتقد إلا في الله >< ففي هذا نزاع، فمن العلماء من قال: إنه من الشرك الأكبر، ومنهم من حمله على الشرك الأصغر، و**الأرجح** أنه من الشرك الأصغر.

المسألة الثالثة _ ((الأدلة على هذه القاعدة)):

هذه القاعدة دلت عليها أدلة كثيرة، ومنها:

((الدليل الأول)):

أن هذا هو عين دين المشركين وعبّادِ الأوثان، وقد ذمهم الله –تعالى– على

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (134/1 ـ 135) ط (مكتبة ابن تيمية) مصر.

اتخاذهم الوسطاء بينه وبين العباد، وقد قال –تعالى–في ذمهم:﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[الزمر:3].

وقال–تعالى–:﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: 18]

وجه الاستدلال: سمى الله الوسائط التي يصرفون لها العبادة على أنهم شفعاء بينهم وبين الله:– سمى ذلك من الشرك.

((الدليل الثاني)):

قال الله –سبحانه تعالى–:﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:107]

وجه الاستدلال: بين الله أن النفع والضر بيده –سبحانه– ، ولا وساطة بين العبد و الرب في هذا الباب.

((الدليل الثالث)):

أن هذا هو الشرك الذي أنكره الله على المشركين والنصارى وعبّاد الأوثان، وهو الذي حذر منه النبي –صلى الله عليه وسلم–.

عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: ((لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) قَالَتْ:" فَلَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا " [1].

وفي رواية:((لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا [2].

عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ ل، قَالَتْ: كَانَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ حِينَ اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ، قَالَتْ: فَهُوَ يَضَعُهَا مَرَّةً عَلَى وَجْهِهِ، وَمَرَّةً يَكْشِفُهَا عَنْهُ، وَيَقُولُ: ((قَاتَلَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) **يُحَرِّمُ ذَلِكَ عَلَى أُمَّتِهِ** [3].

لأن هذا ذريعة ووسيلة إلى الغلو فيهم، والشرك وصرف العبادات لهؤلاء الصالحين، واتخاذهم وسطاء بين الخالق، والمخلوق.

المسألة الرابعة _ ((التطبيق العملي للقاعدة)):

تطبيق (1):

وهذا التطبيق سيكون عبارة عن ((شبهة وجوابها)):

بعض من يتخذون الوسطاء بينهم وبين الله يقولون لنا:

أنتم لا تعلمون.

---

(1) ـ رواه البخاري (4441)، ومسلم (531).

(2) ـ رواه البخاري (5815).

(3) ـ **حديث صحيح:** وهذا إسناد ضعيف، ابن إسحاق مدلس، وقد عنعن، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين، رواه أحمد (26350)

ليس هذا شركا.

إنما نحن نتخذ وسطاء من الأولياء والصالحين بيننا وبين الله؛ لأنهم شفعاء بيننا وبين الله، ونحن نتخذهم شفعاء لأمرين:

الأول:

أنهم أنفع لنا في إجابة دعواتنا، وقضاء حوائجنا؛ وذلك لأنهم أقرب إلى الله منا، ورفع حاجتنا لهم ليرفعوها لله- عز وجل- أنفع لأنهم بالإجابة أقرب.

الثاني:

أن هذا من باب التأدب مع الله —سبحانه تعالى-،فأنت لو كنت تريد أن ترفع حاجتك عند ملك أو سلطان أو أمير، فلن تذهب إليه مباشرة، ولكن تذهب للحاجب أو الوزير؛لأنه أقرب إليه منك؛ ولأن هذا من باب التأدب مع الملك، أو السلطان، والله أولى أن نعامله بهذا الأدب.

سؤال: لو أردت التقديم في جامعة فهل ستذهب أيها الطالب إلى العميد مباشرة؟ بلا شك لا، وإنما ستذهب للسكرتير، أو الإداري ونحوه.

((خلاصة الكلام)):

فأنت تتخذ واسطة للتأدب مع الله، ولأنه أقرب لله منك، وأولى وأحرى بقضاء حاجتك لقربه من الملك.

ثم هناك أمر آخر:

الذين ينكرون الوسائط بيننا وبين الله، هم يتخذون وسائط في كل حياتهم:

في جلب الرزق تحتاج واسطة وهي، العمل.

لو أردت الشبع فواسطتك الأكل.

لو أردت الري واسطتك شرب الماء.

لو أردت العلم واسطتك حضور المجالس، والمذاكرة.

فأنى لكم أن تنكروا علينا الواسطة بيننا وبين الله؟!

الجواب عن هذه الشبهة:

بداية: هذه شبهة أوهى من بيت العنكبوت، وسنجيب عليها إجمالًا.

أما قولهم: إن هذا من باب الأدب مع الله:

فالجواب من وجوه:

الوجه الأول:

هذا مخالف لفهم الصحابة -رضي الله عنهم- وفعلهم ، ولو كان هذا من الأدب، لكان الصحابة هم أولى الناس به، وفهم الصحابة مقدم على فهم غيرهم.

الوجه الثاني:

نقول: أدبكم المزعوم لازمه نسبة النقص لله -تعالى- ، وذلك:

لأن الملك في الدنيا يحتاج إلى وسيط، ويتخذ وزيرًا، أو سكرتيرًا، أومساعدينَ، لقصورِ علمه، ولعجزه عن تدبير أمور الرعية وحده، ولا يستطيع دفع الأعداء إلا بالأعوان، أما الله فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لتمام قدرته

وقيوميته، ولا يحتاج لحاجب ولا وزير، لكمال قدرته وعلمه، فعلمه تام مطلق، فلا يحتاج إلى مساعد أو معين، بل كل مخلوق مفتقر لله –تعالى–، ولا قوام له إلا بالله –تبارك وتعالى– .

قال–تعالى–:﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[الإسراء:111].

قال–تعالى–:﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحجرات:16].

قال–تعالى–:﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان:1 ـ 2].

فأدبكم المزعوم، لازمه نسبة النقص لله –تعالى–.

الوجه الثالث:

هذا ليس بأدب، بل هو شرك؛ والعبرة في هذا الباب، بالشرع لا بالعقل، ((وكل ما سماه الله ورسوله شركًا يجب أن نسميه شركًا))

ولو أطلقتم عليه الأدب –كذبًا وزورًا–.

الوجه الرابع:

إنما الأدب فيما شرعه الله، وأمر به، والسوء فيما حرمه –سبحانه تعالى– ونهى عنه فمن زعم أن الشرك، والبدع، وما نهى الله عنه أنه الأدب، فقد أعظم على الله الفرية.

الوجه الخامس:

لماذا لم يعمل النبي (صلى الله عليه وسلم) بهذا الأدب -المزعوم- ولو مرة؟!

ولماذا لم يأمر أمته بهذا الأدب مع وجود المقتضي وانتفاء المانع؟!

ولماذا لم يُعلمه أصحابه -رضي الله عنهم-؟

الوجه السادس:

قولكم لا دليل معتبر عليه لا من كتاب، ولا من سنة، ولا من قول صحابي، ولا من قياس صحيح معتبر، وهذا يكفي لبيان بطلان هذا القول.

أما قولهم:

أنهم أنفع لنا في إجابة دعواتنا، وقضاء حوائجنا؛ وذلك لأنهم أقرب إلى الله منا، ورفع حاجتنا لهم ليرفعوها لله- عز وجل- أنفع لأنهم بالإجابة أقرب.

فجوابه من وجوه:

الوجه الأول:

لماذا لم يرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته، ويأمرهم بهذا الأمر الذي هو أحرى وأنفع في إجابة الدعوات وقضاء الحاجات، مع أنه أرشدهم إلى كل شيء في باب الدعاء بالقول أو الفعل، كوقته المستجاب، والتأدب قبله بالثناء على الله، والصلاة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ورفع اليدين، والاتجاه للقبلة، والإلحاح على الله، والإقبال عليه، واليقين بالإجابة، والتوسل إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.....إلخ.

فلماذا لم يرشدنا لاتخاذ الوسائط [1] في الدعاء والاستشفاع بالموتى وقضاء الحاجات بهم؟

الوجه الثاني:

هذا مخالف لفهم الصحابة –رضي الله عنهم– وفعلهم، ولو كان هذا أقرب لقضاء الحوائج، لكان الصحابة هم أولى الناس بهذا الفعل، وفهم الصحابة مقدم على فهم غيرهم، ولما تركوه مع وجود المقتضي وانتفاء المانع علمنا بالقطع بطلانه.

الوجه الثالث:

مدار القرب والقبول، وقضاء الحاجات إنما هو بيد الله، وبالطريق الذي شرعه الله، فهو أمر توقيفي شرعي ديني، فأين برهانكم على زعمكم؟!

قال–تعالى–:﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة:111].

أما قولهم:

الذين ينكرون الوسائط بيننا وبين الله، هم يتخذون وسائط في كل حياتهم:

في جلب الرزق تحتاج واسطة وهي، العمل.

لو أردت الشبع فواسطتك الأكل.

لو أردت الري واسطتك شرب الماء.

---

(1) ـ **فإن قال قائل: يجوز في الشرع أن أسأل أحد الصالحين أن يدعو لي، ـودلائل هذا كثيرةـ أليس هذا واسطة؟**

((الجواب)):

أ ـ أصل تقعيد الأصل أن فيه قيد **"الوسائط الباطلة".**

ب ـ ثم هذا خارج النزاع، فنزاعنا فيما نهى عنه الله في الشرع وحرمه، من الوسائط الباطلة.

لو أردت العلم واسطتك حضور المجالس، والمذاكرة.

فأنى لكم أن تنكروا علينا الواسطة بيننا وبين الله؟!

فالجواب:

هذه سفسطة فارغة، وكلام يغني بُطلانه عن إبطاله، وفساده عن إفساده؛ لأن هذه الوسائط من جنس الأسباب الموصلة إلى المُسَبَّبَات، التي أمر الله بها -الأسباب- والعمل بها دين وعبودية لله -تعالى-، وتوكل عليه، فكيف يقاس الممنوع على المشروع!!

وأختم الكلام على هذه الشبهة الساقطة بما يلي:

أ ـ قال-تعالى-:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:189].

ب ـ قال-تعالى-:﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾[البقرة:215].

ج ـ قال-تعالى-:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:219].

د ـ قال-تعالى-:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾[البقرة:220].

هـ ـ قال-تعالى-:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[البقرة:222].

❖ لاحظ -رحمك الله- في كل آية من هذا الآيات فيها لفظ "يَسْأَلُونَكَ"

ثم يأمر الله نبيه بالجواب بقوله "قُلْ"، إلا في آية الدعاء، لم يأمره بقول قل،وإنما قال-تعالى-:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:186].

❖ تأمل: لم يقل في آية الدعاء:"فقل إني قريب"،وإنما قال:"فَإِنِّي قَرِيبٌ" وهي إشارة إلى أنه لا واسطة [1] بين الله وبين مخلوقاته.

وبالله التوفيق...

(1) ـ نعني: واسطة باطلة ـ كما سبق بيانه من أن الوسائط قسمان ـ.

((القاعدة الرابعة)):

((كل عمل ثبت بالشرع أنه عبادةٌ، فصَرْفُه لله: توحيد، وصَرْفُه لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: من الشرك الأكبر)).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى: معنى هذه القاعدة.

المسألة الثانية: ما الدليل على هذا القاعدة؟.

المسألة الثالثة: فائدة القيد المذكور –على الوجه الذي لا يليق إلا بالله–.

المسألة الرابعة: تطبيق على فائدة القيد المذكور –على الوجه الذي لا يليق إلا بالله– وسيكون التطبيق على "أنواع الاستغاثة".

المسألة الرابعة: التطبيق العملي على القاعدة.

((القاعدة الرابعة)):

((كل عمل ثبت بالشرع أنه عبادةٌ، فصَرْفُه لله: توحيد، وصَرْفُه لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: من الشرك الأكبر [1])).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ـ ((معنى هذه القاعدة)):

"كل": تفيد العموم ، **أيْ**: سواء كان هذا العمل من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح.

"ثبت بالشرع": ثبت عن طريق الكتاب أو السنة أو الإجماع.

"أنه عبادة": أنه داخل في مسمى العبادة،أي في عبودية الله –عز وجل–.

"فصرفه لله توحيد": لأن صرف العبادة لا يكون إلا لمن يستحقها، والذي يستحق العبادة هو الله –سبحانه وتعالى–، وصرفها له توحيد له في الألوهية.

"وصرفه لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله من الشرك الأكبر": أي يخرج صاحبه من الملة [2].

سؤال: ولماذا قيدنا بهذا القيد –على الوجه الذي لا يليق إلا بالله–؟

الجواب:

سنجيب عن هذا السؤال في مسألة مستقلة لأهميته –إن شاء الله–.

---

(1) ـ نوعًا لا عينًا؛ فإن هذا الحكم لا يتعلق بالأعيان إلا بعد استيفاء شروط التكفير وانتفاء موانعه.

(2) ـ انظر القاعدة الأولى: ((الشرك والكفر يطلق في النصوص الشرعية، ويراد به الأكبر تارة، والأصغر تارة)).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسألة الثانية _ ((ما الدليل على هذا القاعدة؟)):

سؤال: وما الدليل على هذه القاعدة:(أن صَرْف العبادة لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: من الشرك الأكبر)؟

الجواب: دلت على هذه القاعدة أدلة، ومنها:

((الدليل الأول)):

أن العبادة حق لله –تعالى– **بنص القرآن والسنة، فمَن صَرَفها لغير الله فقد أشرك مع الله في هذا الحق.**

ومن الأدلة على أن العبادة حق لله –عز وجل–:

أ ـ قال الله –تعالى– في أول أمرٍ في كتابه:

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾{البقرة:21}.

فأمر الله بعبادته وحده،وعلَّلَ ذلك بأنه هو الرب وحده، فكما أنه تفرد بالربوبية فحقُّه –تعالى– أن يتفرد بالألوهية، ففي هذه الآية بيان أن العبودية حقٌّ لله.

ب ـ قال–تعالى–:﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾{الذاريات:56}.

وجه الاستدلال:أسلوب الحصر(النفي والإثبات):"**ما**" للنفي و"**إلا**" للإثبات، وهذا يفيد حَصْر العبودية لله وحده –تبارك وتعالى–.

– فضلًا عن لام التعليل، التي أظهرت الحكمة من خلق العباد (1).

(1) ـ مجموع الفتاوي، ابن تيمية (187/8) ط (مكتبة ابن تيمية) مصر.

ج - عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ :كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ:((**يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟**)) قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((**فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**)) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ:((**لَا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا**)) [1].

وجه الاستدلال: التصريح بأن العبادة حق لله وحده -تبارك وتعالى-.

❖ وإذا أثبتنا بهذه النصوص أن العبادة حقٌّ لله -تعالى-؛ فمَن صَرَف العبادة لغير الله فقد أشرك مع الله في هذا الحق.

((الدليل الثاني على إثبات هذه القاعدة)):

أنَّ الله -تعالى- سمَّى في كتابه مَن يصرف العبادة لغيره: كافرًا.

قال-تعالى-:﴿**وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾{المؤمنون:117}.

وجه الاستدلال: سمَّى الله مَن يصرف العبادة والدعاء لغيره: كافرًا.

((الدليل الثالث على إثبات هذه القاعدة)):

أن صَرْف العبادة لغير الله فيه تسويةٌ بين الخالق والمخلوق، والتسوية بين الخالق والمخلوق -في صرف العبادة- من الشرك الأكبر، وهذا هو عَينُ دِين المشركين.

([1]) - رواه البخاري (2856)، ومسلم (49).

قال-تعالى-:﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾{الشعراء:98}.

فبيَّن الله سبب وجودهم في النار وسبب كُفْرِهم:أنهم كانوا يسَوُّون بين الخالق والمخلوق في هذا الباب، ومعلومٌ أنهم ما سوَّوْهم به في الذات والصفات والأفعال، وإنما سوَّوْهم به في المحبة والتعظيم والعبادة.

قال-تعالى-:﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾{الأنعام:1}.

أي: يشركون، وأصله يسوُّون [1]، فكان الكفار يجعلون لله عدلًا، يُقال: عدَلَ الشيءَ بالشيء: إذا سوَّاه به [2].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

((قال-تعالى-:﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾{البقرة: 165}، وقال:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾{الأنعام: 1}؛ أي يجعلون له عِدْلًا في العبادة والمحبة والتعظيم.

وهذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وآلهتهم، وعرفوا في النار أنها كانت ضلالًا وباطلًا، فيقولون لآلهتهم وهم في النار مَعَهُمْ:

﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾{الشعراء:97-98}،

ومعلوم أنهم ما سوَّوهم به في الذات والصفات والأفعال، ولا قالوا: إن آلهتهم

---

(1) ـ تفسير الطبري (4 / 608) ط (دار الحديث) القاهرة، تفسير البغوي (صـ 411) ط (دار بن حزم).

(2) ـ تفسير الطبري (9/147 - 148) ط (دار هجر)، تفسير البغوي (صـ 411) ط (دار ابن حزم)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خلقت السماوات والأرض، وإنها تحيي وتميت، وإنما سوَّوها به في محبتهم لها، وتعظيمهم لها، وعبادتهم إياها، كما ترى عليه أهل الإشراك ممن ينتسب إلى الإسلام.

ومن العجب أنهم يَنْسُبون أهل التوحيد إلى التنقُّص بالمشايخ والأنبياء والصالحين، وما ذَنْبُهم إلا أن قالوا: إنهم عبيدٌ، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا، وإنهم لا يشفعون لعابديهم أبدًا، بل قد حرَّم الله شفاعتَهم لهم، ولا يشفعون لأهل التوحيد إلا بعد إذن الله لهم في الشفاعة، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، والشفاعة كلها له -سبحانه-، والولاية له، فليس لخلقه من دونه وليٌّ ولا شفيعٌ)) [1].

((الدليل الرابع على إثبات هذه القاعدة)):

أن هذا هو شِرك مشركي العرب؛ فلقد كان اعتقاد مشركي العرب في الربوبية: أنهم يقِرون به في الجملة على خلل فيه [2]، وإنما كان العطب والخلل والشرك الأصيل الكامل موجودًا عندهم في توحيد العبادة.

([1]) ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (65/1) ت: محمد حامد الفقي، ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

([2]) ـ **وهذا الذي ذكرناه فيه ردٌّ على أُغْلُوطَةٍ مشهورةٍ، يذكرها بعض طلبة العلم في الدروس العَقَدِية، وربما ذكرها بعض المشايخ عندما يتكلمون عن توحيد الربوبية عند المشركين، وهي:**

((كان اعتقاد المشركين في الربوبية صحيحًا))

ويستدلون على ذلك بآيات من كتاب الله، ومنها:

قال-تعالى-: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ {الزخرف:87}. =

= قال الله –تعالى–:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾{يونس:31}.

قال–تعالى–:﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾{لقمان:25}.

والاستدلال بهذه الآيات على أنَّ (توحيد الربوبية كان عند المشركين صحيحًا مطلقًا ولا خلل فيه) خطأٌ وليس بسديدٍ.

والصواب: المشركون يقِرُّون بتوحيد الربوبية في الجملة، ولم يكن سليمًا، بل كان فيه خللٌ وشِرْكِياتٌ، ومنها:

أ ـ ((نسبة المطر للكواكب والأنواء)):

((برهان ذلك)):

حديث زيد بن خالد الجهني في الصحيح، وفيه: عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ –رضي الله عنه– قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ:((هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟)) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ: فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بنَوْءِ كَذَا وَكَذَا: فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))

رواه البخاري (1038)، ومسلم (71)، وأبو داود (3906)، والنسائي (1525).

قال الإمام "ابن عبد البر":

وأمّا العربُ: فكانت تُضيفُ المطرَ إلى النَّوءِ، وهذا عندهم معروفٌ مَشْهُورٌ في أخبارِهِم وأشْعارِهِم. فلمّا جاءَ الإسلامُ نَهاهُم رسُولُ اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– عن ذلك، وأدَّبَهُم وعرَّفَهُم ما يقولُونَ عندَ نُزُولِ الماءِ، وذلك أن يقولُوا: "مُطِرْنا بفَضلِ اللَّه ورحمتِهِ"، ونحوَ هذا من الإيمانِ والتَّسليم لما نطقَ به القُرآنُ)).

انظر: التمهيد، ابن عبد البر (6/ 409:410) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان. =

= ب ـ ((كانوا يأتون الكُهَّان)):

((برهان ذلك)):

أ ـ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ: كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ:((فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ)) رواه مسلم (537).

وفي رواية: قال: إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وقدْ جَاءَ اللَّهُ بالإِسْلَامِ، وإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قالَ: ((فلا تَأْتِهِمْ)) رواه مسلم (537) وأبو داود (390).

ب ـ عَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها–، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْكُهَّانَ كَانُوا يُحَدِّثُونَنَا بِالشَّيْءِ فَنَجِدُهُ حَقًّا، قَالَ:((تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْحَقُّ، يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقْذِفُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، وَيَزِيدُ فِيهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ)) رواه البخاري (3210)، مسلم (2228).

وفي رواية: قَالَتْ عَائِشَةُ –رضي الله عنها–: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ه:((لَيْسُوا بِشَيْءٍ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ه: ((تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ)) انظر: صحيح مسلم (2228).

فدلت هذه الأحاديث أنهم في الجاهلية كانوا يأتون الكُهَّان، وهذا شِرك في الربوبية.

((تنبيه)):

وهذا عند التصديق واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، وللمسألة تفاصيلُ من جهة أيٍّ منها يكون شركًا أو لا، وأيٍّ منها يكون شركًا أكبر أو أصغر، ومتى يثبت الحكم على المعين؛ إذ التكفير المطلق لا يلزم منه تكفير المعين.

والغرض المقصود: أن للمسألة تفاصيلَ ليس هذا محل ذِكرها...

ج ـ ((كانوا يتطيرون)):

(**الطِّيَرَة**) – بكسر الطاء، وفتح الياء، وقد تُسَكَّن –: وهي التشاؤم بالشيء.

انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ابن الأثير (صـ 564) مادة: (طير) ط (بيت الأفكار الدولية). =

= **فالطيرة هي**: التشاؤم بمرئيٍّ، أو مسموعٍ، أو معلومٍ.

التشاؤم بالمرئي: كالتشاؤم بالقطة السوداء، والبُومة، وما شابه ذلك.

التشاؤم بالمسموع: كالتشاؤم من صوت الغراب، وصوت البُومة، وما شابه ذلك.

التشاؤم بمعلوم: كالتشاؤم من رقم (13)، والزعم بأن يوم الجمعة فيه ساعة نَحْسٍ ـكما يقول جهلة العوام في زماننا ـ.

((برهان ذلك)):

حديث معاوية بن الحكم السلمي السابق ذِكره:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ، قَالَ:((**فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ**))، قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ، قَالَ:

((**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ، فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ**)) رواه مسلم (537).

فثبت أنهم كانوا يتطيرون في الجاهلية، وقد سماها النبي-صلى الله عليه وسلم-: شِركًا،

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنها- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:

((**الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ**)) **صحيح:** رواه أحمد (3687)، الترمذي (1614).

وفي رواية: ((**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**)) **صحيح:** رواه أبو داود (3910)، وابن ماجه (3538).

والتطير يتعلق بعلم الغيب، وهو يتعلق بالربوبية.

د ـ ((ينسبون بعض الحوادث للدهر)):

((برهان ذلك)):

قال -تعالى-:﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**﴾ {الجاثية:24}.

قال الإمام الطبري ::

((وقوله: ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ**﴾ يقول تعالى ذِكره مخبرًا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا:وما يهلكنا فيفنينا إلا مرُّ الليالي والأيام وطول العمر، إنكارًا منهم أنْ يكون لهم ربٌّ يفنيهم ويهلكهم))

انظر: "تفسير الطبري" (96/21) ط (دار هجر). =

قال –تعالى–:﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾{يونس:18}.

فبدأ الله الآية بأنهم يصرفون العبادة لغير الله، وختم الآية بقوله:

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فدل ذلك على أن صَرْف العبادة لغير الله من الشرك الأكبر.

((خلاصة الكلام)):

((كل عمل ثبت بالشرع أنه عبادةٌ، فصَرْفُه لله: توحيد، وصَرْفُه لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: من الشرك الأكبر)).

= كانوا يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثِّر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت، وقبْضَه الأرواح بإذن الله، وكانوا يضيفون كل حادثةٍ تحدُثُ إلى الدهر والزمان.

انظر: "تفسير النسفي" (304/3) ح، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني (186/13) حديث رقم: (6181) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

هـ ـ ((إنكار البعث)):

قال –تعالى–:﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾{التغابن:7}.

وأصل إنكار البعث: شكٌّ في قدرة الله –سبحانه وتعالى–، وهذا طعن في الربوبية.

وبالله التوفيق...

المسألة الثالثة

((فائدة القيد المذكور _على الوجه الذي لا يليق إلا بالله_))

ذكرنا أن القاعدة المذكور: ((**كل عمل ثبت بالشرع أنه عبادةٌ، فصَرْفُه لله: توحيد، وصَرْفُه لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: من الشرك الأكبر**))

فما فائدة هذا القيد المذكور –على الوجه الذي لا يليق إلا بالله–؟

((الجواب)):

لأن هناك عبادات –في أصلها– ويجوز صرفها لغير الله لا على وجه التعبد؛ وإنما على وجه المعاونة على البر والتقوى –بضوابط وشروط– وفعلها من باب الأخذ بالأسباب التي أمر الله بها.

وسيأتي بيان هذه الشروط، وتطبيق لهذا القيد في المسألة القادمة التي هي بعنوان:((أنواع الاستغاثة)) –إن شاء الله–.

المسألة الرابعة

((تطبيق على فائدة القيد المذكور –على الوجه الذي لا يليق إلا بالله–))

((وسيكون التطبيق على "أنواع الاستغاثة"))

الاستغاثة عبادة من أجل العبادات، وهي قسم من أقسام الدعاء

ووجه ذلك: أن الدعاء ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: دعاء حال.

القسم الثاني: دعاء مقال.

القسم الأول ((دعاء الحال)):

نعني حال العبادة لله –تعالى–، فصورته ليست صورة دعاء مقالي باللسان، وإنما قد يتضمن الدعاء، أو يكون الحال حال دعاء، وإليك بيان ذلك:

مضمونه: أنه ما من مسلم يتعبد لله بأنواع العبادات إلا لغرض –رضا الله–، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، وهذا هو دعاء العبادة، وهو دعاء حال، لا دعاء مقال.

فالمسلم يتعبد لله بأنواع العبادات القلبية والبدنية والمالية، لأجل رضا الله وثوابه، فهذا وإن لم يكن دعاء بالمقال، فصورته صورة دعاء بالحال.

القسم الثاني: ((دعاء مقال)):

وهو الدعاء باللسان، وهو أقسام:

القسم الأول: دعاء ثناء.

القسم الثاني: دعاء مسألة.

القسم الأول ((دعاء ثناء)):

وهو: الثناء على الله -تعالى- بما هو أهله.

مثال:

كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ:((**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ: فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ -أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ-**)) [1].

القسم الثاني ((دعاء مسألة)):

والمقصود به: دعاء باللسان لطلب مسألة، ودعاء المسألة قسمان:

الأول: طلب جلب خير

الثاني: طلب دفع ضر (وهذا الثاني استغاثة)

فمضمون الاستغاثة: (الدعاء لدفع ضر).

([1]) ـ رواه البخاري (1120)، ومسلم (769).

سؤال: ما الفرق بين الدعاء والاستغاثة؟

((الجواب)):

بينهما عموم وخصوص، فالدعاء أعم من الاستغاثة

((كل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة))

"كل استغاثة دعاء": فكل من استغاث بالله فقد دعاه.

"وليس كل دعاء استغاثة": لأن هناك من يدعو دعاء ثناء، أو يدعو دعاء مسألة لجلب الخير، فهذا لا يدخل في الاستغاثة.

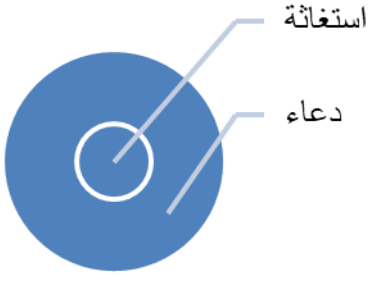

رسم توضيحي لبيان العلاقة بين الدعاء والاستغاثة.

((تطبيق على فائدة القيد المذكور –على الوجه الذي لا يليق إلا بالله–))

((وسيكون التطبيق على "أنواع الاستغاثة"))

اعلم –رحمني الله وإياك– أن الاستغاثة تنقسم إلى أقسام:

القسم الأول: استغاثة توحيدية.

القسم الثاني: استغاثة مباحة بشروط.

القسم الثالث: استغاثة شركية.

وإليك نبذة عن هذه الأقسام:

القسم الأول ((استغاثة توحيدية)):

وهي الاستغاثة برب العالمين لدفع الضر وكشف الكرب، إذا ألمت بك الملمات فتستغيث برب الأرض والسماوات.

فهي الاستغاثة التي يصرفها العبد لله –تعالى–، فيتذلل لربه، ويطلب الحاجات من ربه.

وهي الاستغاثة التي سارع إليها أفضل البشر، وخير خلق الله على الإطلاق وهم الرسل والأنبياء –صلوات ربي وسلامه عليه–.

صور من الاستغاثة التوحيدية:

أ ـ أيوب (صلى الله عليه وسلم):

قال –تعالى–:﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ

عِنْدِنَا﴾[الأنبياء:83 -84].

ب ـ يونس (صلى الله عليه وسلم):

قال-تعالى-:﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:87].

ج ـ يعقوب (صلى الله عليه وسلم):

قال -تعالى-:﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾{يوسف:68}.

د ـ نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم):

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَجُلًا، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ((اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا)) [1].

ومن ذلك:

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ (رضي الله عنه):نَظَرَ نَبِيُّ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى المُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ

(1) ـ رواه البخاري (1014)، ومسلم (897).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ:

((اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ))، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ، مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ مِنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، إِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال] فَأَمَدَّهُمُ اللَّهُ بِالمَلَائِكَةِ)) [1].

فهذه استغاثة توحيدية لله -تعالى-.

القسم الثاني ((استغاثة مباحة بشروط)):

وهي الاستغاثة بمخلوق بشروط، وهي:

أ ـ حي. & ب ـ حاضر. & ج ـ قادر.

((سؤال)):

وما دليل هذه الاستغاثة، وما دليل اشتراط هذه الشروط؟

((الجواب)):

إليك بعض الأدلة على هذه الاستغاثة:

والأدلة على جواز هذا النوع من الاستغاثة تنقسم إلى قسمين:

أ ـ أدلة خاصة.

([1]) ـ **حسن:** رواه الترمذي (3081).

ب ـ أدلة عامة.

أولًا ((الأدلة الخاصة)):

((الدليل الأول))

قال الله –تعالى–:﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**﴾ {القصص:15}.

وجه الاستدلال من وجهين:

الوجه الأول: أن موسى –صلى الله عليه وسلم–أعلم الناس بالله، وقد أغاث من استغاث به، ولو كانت هذه الاستغاثة لا تجوز لما فعلها أعلم الناس بالله.

الوجه الثاني: إقرار الله –تعالى–، فلو كان هذا لا يجوز لما أقره الله –تعالى–.

((الدليل الثاني)):

عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللهِ، فَتَرَكَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–:**((وَاللهِ لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ))** قَالَ: فَأَعْتَقَهُ. [1].

وفي رواية: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ –رضي الله عنه–، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا:**((اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ**

([1]) ـ رواه مسلم (1659).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنْكَ عَلَيْهِ))، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ:((أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ))، أَوْ ((لَمَسَّتْكَ النَّارُ)) [1].

وجه الاستدلال:أن الصحابي (رضي الله عنه) استعاذ برسول الله -صلى الله عليه وسلم-،وهو حي حاضر وفيما يقدر عليه،وقد أقره رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

((الدليل الثالث)):

عندما ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه آداب الطريق قال:

((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بُدَّ لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-:((إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)) قَالُوا:وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:((غَضُّ الْبَصَرِ،وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)) [2].

وفي رواية: عَنِ ابْنِ حُجَيْرٍ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ قَالَ:

((وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ وَتَهْدُوا الضَّالَّ)) [3].

وجه الاستدلال:أنه-صلى الله عليه وسلم-بين أن حق الطريق إغاثة الملهوف،

---

(1) ـ رواه مسلم (1659).

(2) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (4815).

(3) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (4817).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو كان لا يجوز لما أرشد إليه.

((الدليل الرابع)):

وهو حديث ضعيف، وإنما نذكره استئناسًا وتعضيدًا.

عن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه–، قال: أَنَّهُ كانَ في زمَنِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ منافِقٌ يؤذي المؤمنينَ فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيثُ برسولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– من هذا المنافقِ فقال النَّبيُّ –صلى الله عليه وسلم–: **((إنه لا يُستغاثُ بي، وإنما يُستغاثُ باللَّهِ))** [1].

وجه الاستدلال:إقرار النبي –صلى الله عليه وسلم– لأبي بكر (رضي الله عنه).

سؤال: أين هذا الإقرار وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم–:

"إنه لا يُستغاثُ بي"؟.

الجواب: أقره على فهمه بأنه يجوز الاستغاثة بالحي الحاضر القادر.

سؤال: إذا كان أقره فلماذا لم يغثه؟

((الجواب)):

أ ـ قيل: النفي كان على سبيل الإرشاد والتأدب مع الله في اختيار الألفاظ، سدًا للذريعة وحفظًا لجناب التوحيد، كما أنكر على من قال "ما شاء الله وشئت"، وليس المراد نفي جواز أصل الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه.

---

(1) ـ **ضعيف:** رواه أحمد (22706)، الطبراني في الكبير (5780).

ب ـ الصحابة (رضي الله عنهم) ظنوا أن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقدر على منع هذا المنافق من الأذى، فبين لهم أنه لا حيلة من منعه إلا بالاستغاثة بالله –تعالى–؛لأنه منافق والنبي –صلى الله عليه وسلم– كان يعاملهم بالظاهر، ولا يمكن الانتقام منه، فيكون المعنى (إنه لا يُستغاث بي في هذه الواقعة).

وكان طلب الصحابة منه من قبيل التقديرات الخاطئة التي قد يقع فيها الكثير من الناس.

ثانيًا ((الأدلة العامة)):

((الدليل الأول))

قال الله –تبارك تعالى–:﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾{المائدة:2}.

وجه الاستدلال: إغاثة الحي الحاضر القادر، لمن استغاث به من أعظم التعاون على البر والتقوى.

((الدليل الثاني)):

عَنْ جَابِرٍ –رضي الله عنه–، قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، وَإِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى، قَالَ: فَعَرَضُوهَا عَلَيْهِ فَقَالَ:((**مَا أَرَى بَأْسًا مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ**

أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ)) [1].

وجه الاستدلال: أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بنفع المسلم، وإغاثة الملهوف من أعظم النفع.

شروط استغاثة المخلوق بالمخلوق:

ح . ح . ق (حاء حاء قاف) = حيّ & حاضر & قادر.

أولًا: شرط "الحياة":

(1) ـ أن يكون حيًا؛ لأن الميت لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا.

قال –تعالى–: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾[النمل:80].

قال –تعالى–: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر:22].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،قَالَ:((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) [2].

ثانيًا: شرط "الحضور":

وفي سماع الموتى لكلام الأحياء خلاف معروف [3].

---

(1) ـ رواه مسلم (2199).

(2) ـ رواه مسلم (1631).

(3) ـ وهذا مبحث مختصر في الخلاف في هذه المسألة للدكتور : "محمد بن سعيد آل مدشة الغامدي" لمن يريده: https://mdak.journals.ekb.eg/article_157446_16a4c7fdd6fcb6a0789c2bcb8734dd59.pdf

(2) ـ أن يكون حاضرًا؛ لأن الغائب لا يعلم الغيب، ولا يعرف شيئًا عن المستغيث، فإذا استغاث مستغيث بغائب فكأنه زعم أن هذا الغائب يعلم الغيب، ويعلم ما هو فيه، ويسمعه من مكانه.

ثالثًا: شرط "القدرة":

(3) ـ أن يكون قادرًا؛ لأن غير القادر لا يستطيع تقديم العون، فإذا استغاث به المستغيث، وهو غير قادر فكأنه اعتقد فيه قوة خفية.

((سؤال)):

لو قال قائل: سأستغيث بملَك، والملك حي وحاضر وقادر، فخَلْق الملائكة عظيم، وبذلك فقد توافرات فيهم الشروط الثلاثة.

أو قال قائل: وكان في الصحراء تائهًا: "أيها الملائكة الحفظة أيها الملائكة الكتبة أغيثوني".

والملائكة الحفظة حضور، قال-تعالى-:﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾{الانفطار:10}

قال الله -سبحانه تعالى-:﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾{الرعد:11}، وهم الملائكة الحفظة، فهم حضور معنا.

وهم أحياء، وخلقتهم عظيمة فهم قادرون.

فضلًا عن بعض الآثار المروية في ذلك:

عن عتبة بن غزوان، عن نبي الله -صلى الله عليه وسلم - قال:((إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا، أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا، وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يَا

عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ)) [1].

فهل يجوز الاستغاثة بالملائكة بناء على ما سبق ذكره؟

((الجواب)):

لا تجوز الاستغاثة بالملائكة.

الجواب على كون الشروط الثلاثة وجدت فيهم:

أولًا: فإن الملائكة وإن كانوا موجودين، فحضورهم غير تام بالنسبة لنا؛ لأننا لا نراهم [2]،فهنا شرط الحضور غير متحقق التحقق التام الذي تجوز به الاستغاثة.

ثانيًا: النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو خير خلق الله وأحب الناس للملائكة، لم يرد عنه أنه استغاث بالملائكة، وإنما وقت المحنة كان يستغيث بالله عز وجل –كما سبق وبينا في الاستغاثة التوحيدية–، ولم يرشد أصحابه لذلك، مع أن منهم من كان يرى الملائكة، ومنهم من كانت تنزل الملائكة لقرائته للقرءان، ورغم ذلك ما أرشدهم النبي لذلك مع وجود المقتضي وانتفاء المانع، بل الثابت عنه:عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ :كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَوْمًا، فَقَالَ:((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ

---

(1) ـ **ضعيف:** رواه الطبراني في الكبير (290).

(2) ـ ولا يفهم من ذلك أن من حدثت له كرامة ورأى بعض الملائكة مثلًا أنه يجوز له الاستغاثة بهم، بل لا يجوز له؛ وذلك لعدم معرفة إمكانية القدرة كما سيأتي.

لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ)) [1].

ثالثًا: الصحابة لم يصنعوا ذلك مع أنهم كان فيهم من كانت تصافحه الملائكة، فنحن أولى منهم بألا نستغيث بالملائكة؛ لأننا أدنى منهم منزلةً ي.

رابعًا: كون الملك قادرًا فهذا غير معلوم بالنسبة لنا، لا سيما أن أعمال الملائكة منوطة بإذن الله –تعالى– مَالِك الملائكة.

سؤال: وما الدليل أن أعمال الملائكة منوطة بإذن الله –تعالى–؟

((برهان ذلك)):

قوله –تعالى–:﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾{مريم:64}.

❖ وأما الحديث المذكور **(يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي)** فضعيف لا يثبت [2].

([1]) ـ **صحيح:** رواه الترمذي (2516).

([2]) ـ **وهذا الحديث فيه ثلاث علل توجب ضعفه، وهي:**

العلة الأولى: "عبد الرحمن بن شريك بن عبد الله النخعي الكوفي" ، وهو متكلم فيه.

قال أبو حاتم : "واهي الحديث". انظر:" الجرح والتعديل (244/5)،

وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال: "ربما أخطأ" (8 /375)،

وقال الحافظ في "التقريب": "صدوق يخطيء" (ص 342).

العلة الثانية: شريك بن عبد الله النخعي، وقد تكلم العلماء في حفظه وضبطه.

وقال فيه الحافظ: " صدوق يخطيء كثيراً، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة".

العلة الثالثة: أن زيد بن علي بن الحسين لم يدرك عتبة بن غزوان، ولم يسمع منه، فبين وفاة عتبة وولادة زيد نحو من ستين سنة.

القسم الثاني ((استغاثة شركية)):

وهي على مايلي:

أ ـ إذا صرف للمخلوق عبادة من دون الله.

ب ـ أو اعتقد في المخلوق ما لا يعتقد إلا في الله.

ج ـ أو فقدت الاستغاثة شرطًا من شروط الاستغاثة المباحة.

((خلاصة الكلام)):

قيدنا بهذا القيد لبيان جواز صرف بعض هذه الأعمال للمخلوق لا على سبيل العبادة، ولكن من باب المعاونة على البر والخير.

((المسألة الخامسة))

تطبيق القاعدة على الاستعاذة (1):

الاستعاذة عبادة، ودليل ذلك:

أ ـ قال –تعالى–:﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ {الأعراف:200}.

وجه الاستدلال: أمر الله بالاستعاذة به، وهو لا يأمر –سبحانه– إلا بما يحبه ويرضاه، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

ب ـ في قصة مريم، قال –تعالى–:﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾

وجه الاستدلال: مدحها الله –تعالى– على ما فعلته، فدل ذلك على أن الاستعاذة عبادة؛ لأن الله لا يمدح من العمل إلا ما يحبه ويرضاه.

فالاستعاذة قد ثبت بالشرع أنها عبادة، وبناء على ذلك:

أ ـ صرف الاستعاذة لله توحيد.

ب ـ وصرفها لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله من الشرك الأكبر.

ج ـ وصرفها لغير الله على الوجه المباح، لا على سبيل العبودية، ولكن على سبيل التعاون على البر والتقوي، والأخذ بالأسباب التي أمر الله –تعالى– بها، وتعبدنا بها، بشروط:(**حي & حاضر & قادر**) مشروع مباح في الأصل [1].

وقد استعاذ الصحابي برسول –صلى الله عليه وسلم–:

---

(1) ـ وقد يكون هذا مستحبًا، وقد يكون واجبًا إذا ترتب على ترك الاستغاذة، هتك عرض، أو هلكة نفس أو عضو، ونحو ذلك.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَضْرِبُ غُلَامَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِرَسُولِ اللهِ، فَتَرَكَهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): ((وَاللهِ للَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ)) قَالَ: فَأَعْتَقَهُ. [1].

تطبيق القاعدة على النذر (2):

النذر عبادة لله –تعالى–.

((برهان ذلك)):

أ ـ قال –تعالى–:﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾

وجه الاستدلال: أن هذا سياق مدح، ولا يمدح الله إلا من يحب، وما يحبه الله داخل في مسمى العبادة؛ إذ إن العبادة اسم جامع لكل ما يحب الله ويرضى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

إذَن النذر عبادة.

تطبيق القاعدة:

س: قال رجل: "نذْرٌ عليّ أن أذهب عند قبر البدوي وأفعل كذا وكذا للبدويّ". سآتي بلحم وأوزعه نذرًا للبدوي –مثلاً– ما حكم من نذر لغير الله؟

ج: القاعدة أن كل عمل ثبت بالشرع أنه عبادة (وقد ثبت بالشرع أن النذر عبادة) فصرفه لله توحيد (لو نذر لله فلا إشكال) وصرفه لغير الله على الوجه

---

(1) ـ رواه مسلم (1659).

الذي لا يليق إلا بالله من الشرك الأكبر.

فلو نذر أحد لغير الله (كالبدوي مثلًا) >> فهذا العمل من الشرك الأكبر (الكفر الأكبر)، أما العامل فليس مشركًا –حتى تنتفي الموانع، وتتوفر وتُسْتَوفَى الشروط– [1].

(1) ـ وعدم شركه له تفاصيل، كقيام الحجة، وإزالة الشبهة، وفهم الحجة فيه نزاع،وقد فصلنا الكلام على ذلك في كتابي: ((التأصيل في قواعد التكفير)).

.

((القاعدة الخامسة))

(مَن اعتقد في غير الله ما لا يُعتقد إلا في الله فقد أشرك شركًا أكبر).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى: معنى هذه القاعدة.

المسألة الثانية: أدلة القاعدة.

المسألة الثالثة: تطبيق القاعدة.

((القاعدة الخامسة))

(مَن اعتقد في غير الله ما لا يُعتقد إلا في الله فقد أشرك شركًا أكبر).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ـ ((معنى هذه القاعدة)):

"من اعتقد" أي: من اعتقد في قلبه لأن أصل العقيدة يكون في القلب.

"في غير الله" في أي شيء سِوَى الله، سواء كان هذا الاعتقاد في صالح أو في طالح، كمن اعتقد في نبي مرسل، أو في ملك مقرب، أو ولي صالح أو في بَرٍّ أو في فاجرٍ أو في حجر أو في وثن (1) أو في شجر ... إلخ.

"ما لا يعتقد إلا في الله" أي: ما لا يصلح أن يُعتقد إلا في الله –تبارك تعالى–؛ لأن هناك من الأمور ما لا يجوز أن تعتقد إلا في الله –عز وجل–.

مثال:

❖ **إحياء الموتى:** فمن اعتقد في غير الله أنه قادر على إحياء الموتى فهذا من الشرك الأكبر.

---

(1) ـ **ما الفرق بين الصنم والوثن:**

كل صنم يعد وثناً، وليس كل وثنٍ صنماً.

والدليل على الفرق بينهما:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ امْرَأَةً، أَتَتِ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ– وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَضْرِبَ عَلَى رَأْسِكَ بِالدُّفِّ، قَالَ:((أَوْفِي بِنَذْرِكِ)) قَالَتْ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَذْبَحَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، مَكَانٌ كَانَ يَذْبَحُ فِيهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ:((لِصَنَمٍ)) قَالَتْ: لَا، قَالَ: ((لِوَثَنٍ))، قَالَتْ: لَا، قَالَ:((أَوْفِي بِنَذْرِكِ)). **حسن صحيح:** رواه أبو داود (3312).

- **علم الغيب المطلق:** ومن اعتقد في غير الله أنه يعلم الغيب المطْلَق فهذا من الشرك الأكبر.
- **إنزال المطر:** من اعتقد في غير الله أنه قادر إنزال المطر فقد أشرك شركًا أكبر.
- **الخلق من العدم:** من اعتقد في غير الله أنه قادر على الخلق من العدم فهذا من الشرك الأكبر.
- **القدرة المطلقة على النفع والضر:** من اعتقد في غير الله أنه قادر على النفع والضر المطلَقيْنِ فهذا من الشرك الأكبر.

"فهو شرك أكبر" أي: هذا الاعتقاد الذي اعتقده في غير الله هو من الشرك الأكبر.

- **وأما عين المعتقِد (الشخص) فلِكَي نحكم عليه بالكفر لا بد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع.**

"شرك أكبر" أي: مخرج من الملة.

المسألة الثانية _ ((أدلة القاعدة)):

سؤال: وما الدليل على هذه القاعدة؟

الجواب: دلت عليها أدلة، ومنها:

((الدليل الأول)):

أن الله –تعالى– من خصائصه:التفرد بملك الضُّرِّ والنفع، والعطاء والمنع...إلخ.

فمَن اعتقد في غيره ذلك فقد أشرك في ربوبية الله –تعالى–.

والنوء مخلوق لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا لغيره.

قال –تعالى–:﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس:107].

((الدليل الثاني)):

ولأن مَن اعتقد في غير الله –تعالى– ما لا يُعتقد إلا في الله، فقد سوي بين الخالق والمخلوق، وهذا كفر أكبر، وهو عين دِين المشركين، كما قال الله –تعالى–:﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {الشعراء:98}.

((الدليل الثالث)):

أن الله ذم المشركين لعبادتهم أصنامًا لا تضر ولا تنفع وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الله هو المتفرد بالنفع والضر. قال الله:

قال –تعالى–:﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس:18].

وقال في سورة الفرقان:﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾[الفرقان:].

قال الله –تعالى–:﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ﴾[الأنبياء:66].

فذمَّ ربنا المشركين لعبادتهم أصنامًا لا تملك لهم النفع ولا الضر، فدل هذا على أن الله هو الذي يستحق أن يُعبد؛ لأنه الذي بيده النفع والضر، كما قال الله

قال الله –تعالى–:﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ {الأعراف:188}.

المسألة الثالثة _ ((تطبيق القاعدة)):

تطبيق (1):

رجل يغرق في الإسكندرية فقال: يا بدوي، أنقذني من الغرق.

ما حكم ذلك؟

نقول: هذا الفعل من الشرك الأكبر (1)؛ لأن هذا الإنسان الغريق قد اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله.

أولا– شرك في الربوبية: لأنه اعتقد أن البدوي يعلم الغيب؛ لأن البدوي في قبره وهذا الرجل في مكان آخر.

---

(1) ـ ولا يلزم من ذلك تكفير المعين، وإنما الفعل كفر، وأما الفاعل، فلا يكفر حتى يتم استيفاء الشروط وانتفاء الموانع، فلابد من إقامة الحجة، وإزالة الشبهة، وفهم الحجة.

ثانيا– شرك في الصفات: لأنه اعتقد أن البدوي يسمعه من مكانه وهو ميت في مكانه، وهذا الرجل في الإسكندرية.

ثالثا– شرك في الألوهية: استغاث بغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله، ومن استغاث به ليس حيًا ولا حاضرًا ولا قادرًا ، ولأنه اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله.

تطبيق (2):

رجل أجدبت أرضه ولم ينزل المطر فقال: لو أن البدوي أنزل المطر لكان قد أحسنَ إلينا.

ما حكم ذلك؟

نقول: هذا من الشرك الأكبر لأنه اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله، وقد سوى بين الخالق والمخلوق، ولأنه اعتقد أيضا أن البدوي يعلم بما هم فيه من جدب ونحوِه.

أولا– شرك في الربوبية: لأنه اعتقد أن البدوي يعلم الغيب، فقد اعتقد أن البدوي يعلم حاجتهم للمطر، والبدوي في قبره.

ثانيا– شرك في الصفات: لأنه اعتقد أن البدوي يسمعه، ويراه وهو ميت في قبره.

ثالثا– شرك في الألوهية: لأنَّ مقالته هذه **(لو أن البدوي أنزل المطر لكان قد أحسنَ إلينا)** هذه تتضمن استغاثة بغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا

بالله، ومن استغاث به ليس حيًا ولا حاضرًا ولا قادرًا.

رابعًا أنه سوى بين الخالق والمخلوق، في كل ما سبق.

((القاعدة السادسة))

((من اعتقد في سبب لم يدلَّ عليه شرع ولا قدَرٌ فقد أشرك: إن اعتقد فيه السببية فقد أشرك شركًا أصغرَ –على قول–، وإن اعتقد أنه الفاعل بذاته فقد أشرك شركا أكبرَ)).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى: الخلاف في هذا الضابط.

المسألة الثانية: معنى الضابط.

المسألة الثالثة: العلاقة بين السَّبَب والمُسَبَّب، وطرائق معرفة السبب.

المسألة الرابعة: أقسام الناس في الأسباب.

المسألة الخامسة: ما الدليل على هذا الأصل.

المسألة السادسة: تطبيق لهذا الأصل.

((القاعدة السادسة))

((من اعتقد في سبب لم يدلَّ عليه شرع ولا قدَرٌ فقد أشرك: إن اعتقد فيه السببية فقد أشرك شركًا أصغرَ _على قول_، وإن اعتقد أنه الفاعل بذاته فقد أشرك شركا أكبرَ)).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى ((الخلاف في هذا الضابط)):

هل هذا الضابط متفق عليه؟

الجواب:

من العلماء من أنكر جزءًا في هذا الضابط، وهو:

"إن اعتقد فيه السببية فقد أشرك شركًا أصغرَ"

وهناك اعتراضاتٌ على هذا الجزء من هذا الضابط، فمن أهل العلم مَن ينكره ولا يوافق عليه، ويقول: لا يلزم في اعتقاد السببية في أمر لم يدل عليه شرع ولا قَدَر، أن يكون من الشرك الأصغر،

ومن العلماء مَن يقول به ويثبته.....

المسألة الثانية ((معنى الضابط)):

"من اعتقد في سبب" ولم نقل "من اتخذ سببًا" فثمة فرق بين الاعتقاد والاتخاذ.

ولذلك اعترض بعضهم على هذا الأصل من هذا الجهة (الاتخاذ).

❖ اعترض بعضهم على هذا الضابط فقالوا: أنتم تقولون: إن من اتخذ سببًا لم يشرعه الله فقد أشرك، فما تقولون في اللص وقد اتخذ سببًا لم يشرعه الله؟ فهل هو مشرك؟ وما تقولون في الراقصة وقد اتخذت سببًا لم يشرعه الله لتجمع المال؟

والجواب أن كلًا من اللص والراقصة ليسا مشركين بل هما عاصيان.

ولذلك قيدنا المسألة بالاعتقاد دون الاتخاذ؛ لأنه لا يلزم من الاتخاذ (نعني: اتخاذ السبب الغير مشروع) الاعتقاد (نعني: الاعتقاد فيه).

"لم يدلَّ عليه شرع ولا قدَرٌ" يعني: لم يدل على كونه سببًا من الأسباب، لا الشرع ولا القدر.

الشرع: الكتاب أو السنة –وسيأتي تطبيق ذلك–.

القدر: التجربة العلمية المعتبرة.

"فقد أشرك شركًا أصغرَ" يعني: فعله هذا من جنس الشرك الأصغر.

"–على قول–" يعني: لمراعاة أن من العلماء من أنكر هذا الضابط، وأنه لا يلزم من الاعْتِقَاد في سبب لم يدل عليه شرع ولا قدر السببية، أن يكون من الشرك الأصغر.

"وإن اعتقد أنه الفاعل بذاته" يعني: إن اعتقد في هذا السبب أنه الفاعل، والمتحكم بذاته، وله النفع والضر بذاته.

"فقد أشرك شركا أكبرَ": فعله هذا من الشرك الأكبر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسألة الثالثة

((العلاقة بين السَّبَب والمُسَبَّب، وطرائق معرفة السبب)):

أولًا: العلاقة بين السبب والمسبَّب:

السبب: هو وسيلة حصول المطلوب، وهو ما يُتوصل به إلى غيره.

المُسَبَّب: هو النتيجة الحاصلة على الآخِذ بالسبب.

فالأكل سبب، والشِّبع مُسبَّب.

والزراعة سبب، وجني الثمار مُسبَّب.

والزواج سبب، والإنجاب مُسبَّب.

وسرعة قيادة السيارة سبب، والحوادث مُسبَّبة لسرعة القيادة.

ثانيًا: ربط الأسباب بالمُسَبَّبات:

اعلم أخي الحبيب -رحمنا الله وإياك أن الله -تعالى- ربط الأسباب بمسبَّباتها: فربط المطر بوجود السحاب والرياح، والإنجاب بالزواج، ودخول الجنة بالعمل الصالح.....إلخ.

والأصل أن السبب -الوسيلة- إن وُجِد فإنه يُوجَد مُسبَّبُه -النتيجة-، ولا يوجد المسبَّب مِن دون سببه، هذا هو الأصل (1) بين السبب والمسبب.

وأحيانًا يكون على خلاف الأصل، إذ قد يوجد السبب ولا توجد مُسبَّباتُه:

أ ـ كما أُلقي الخليل إبراهيم-صلى الله عليه وسلم-**في النار ولم تحرِقْه وتعطَّل**

(1) ـ نعني بالأصل في هذا الموضع: (القاعدة المستمرة)

السبب:

كما قال -سبحانه تعالى-:﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾{الأنبياء/69:71}.

ب ـ وكالزواج: فقد يوجد الزواج، ولا يوجد إنجاب.

ج ـ وكالسحب والغيوم والرياح:

فقد توجد السُّحُب والرياح ولا يوجد المطر.

- لكن الأصل الغالب، والقاعدة العامة: **"إن وُجِدَ السبب، وُجِدَ المُسَبب"**، وهذا هو الأصل الثابت، وقد يخرق الله العادة لنبيٍّ في معجزة أو وليٍّ في كرامة، وهذا لحكمة من الله -تعالى-.

- وقد يوجد المسبَّب بلا سببه [1]: كوجود الرزق عند مريم-رضي الله عنها- في غير أوانه في محرابها، كما قال الله -تبارك تعالى-:﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾{آل عمران:37}.

فكانت تُؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف،وفاكهة الصيف في الشتاء (2)،

ومن صور ذلك، أيضًا: حَمْل عيسى -صلى الله عليه وسلم- بلا وطء.

إذا ثبت هذا الأصل: "أن الله ربط الأسباب بالمسبَّبات"

([1]) ـ **نعني:** سببه المادي المعروف، وهو الزراعة وانتظار الثمر وجمعه، وإلا فإن رزق مريم وكرامتها هذه سببها تقواها وإقبالها على الله -تعالى-.

([2]) ـ انظر: تفسير الطبري (353/5) ط (دار هجر)، وقد ثبت هذا عن مجاهد، وقتادة.

فلابد من معرفة طرائق معرفة الأسباب.

ثالثًا: طرائق معرفة الأسباب، من حيث سببيتها في وجود المُسَبب:

فما هي سُبُل معرفة الأسباب وطرائقها؟

اعلم أن هناك سُبُلا لمعرفة الأسباب، ولا سبيل إلى معرفة السبب، من جهة سببيته للمُسَبب إلا بأمرين، وهما:

الأمر الأول: الشرع.

الأمر الثاني: القدر –التجربة المعتبَرة– (1).

((أمثلة على معرفة الأسباب بالشرع)):

أ ـ كقوله –تعالى–: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ﴾ {النحل/69}.

فالعسل سبب للشفاء، وقد علمنا ذلك بالشرع.

ب ـ الحبة السوداء شفاء بإذن الله:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

((إنَّ في الحَبَّةِ السَّوْداءِ شِفاءً مِن كُلِّ داءٍ إلَّا السَّامَ)) (2).

فالحبة السوداء سبب للشفاء، وقد عَلِمنا ذلك بالشرع.

---

(1) ـ وقد قيدنا الكلام هنا بالتجربة المعتبرة؛ لأن هناك تجربة لا قيمة لها، وهي غير معتبرة: كمن إذا جُذِعَت يده ربطها بخيط رفيع من الصوف كالإسورة، ويقولون: هذا مُجرَّب في إزالة جذع اليد، وهذه التجربة لا قيمة لها؛ لأنه لا دلالة عليها من الشرع، ولا من جهة التجربة العملية عند أهل الفن والتخصص من الأطباء، وهكذا كل تجربةغير معتبرة في الباب لا اعتبار بها؛ ولذلك قيدنا بـ (التجربة المعتبرة)، وبالله التوفيق.

(2) ـ رواه البخاري (5688)، ومسلم (2215).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ج ـ العمل الصالح سبب لدخول الجنة:

قال –تعالى–:﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {الأعراف:43}.

قال –تعالى–:﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ {الزخرف:72}.

د ـ الرقية المشروعة سبب لدفع العين والنظرة:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ل، قَالَتْ: رَأَى رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي بَيْتِي جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ: ((اسْتَرْقُوا لَهَا؛ فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ)) [1].

(سَفْعَةٌ): أي: لون يخالف لون الوجه، فقيل: سواد في الوجه، وقيل: حُمْرة يعلوها سواد، وقيل: صُفْرة، وقد فُسِّرت في الحديث بالصُّفْرة، والحاصل أن بوجهها موضعًا على غير لونه الأصلي (2).

(النظرة) يعني: أُصيبت بالعين (3).

هـ ـ وصلاة النبي–صلى الله عليه وسلم–على الميت ودعاؤه له سببٌ في تنوير القبر.

---

(1) ـ رواه البخاري (5739)، ومسلم (2197).

(2) ـ شرح النووي على صحيح مسلم تحت الحديث رقم: (2197)، فتح الباري (245/10) تحت الحديث رقم: (5739) ط (دار الحديث) القاهرة، واعلم أن الاختلاف في اللون كأنه بحسب لون الوجه الأصلي، فإن كان أبيض فالسفعة صفراء، وإن كان أحمر فالسفعة سوداء، وإن كان أسود فالسفعة حُمْرَةٌ يعلوها سواد. (قاله الحافظ في الفتح).

(3) ـ المصادر السابقة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ – أَوْ: شَابًّا – فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–، فَسَأَلَ عَنْهَا –أَوْ: عَنْهُ– فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ:((أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟))، قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا –أَوْ: أَمْرَهُ – فَقَالَ: ((دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ)) فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ)) [1].

((أمثلة على معرفة الأسباب بالقدر _التجربة المُعتبَرة_)):

أ ـ الجبيرة (الجِبْس ونحوه) لمن كُسرت عظامه:

فقد علمنا بالتجربة العلمية (2) المعتبَرة أنها سبب في التئام العِظام

ب ـ المُسكِّنات الطبية:

فقد علمنا بالتجربة العلمية المعتبَرة أنها سبب في عدم شعور المريض بالألم أو تخفيفه.

ج ـ خياطة الجروح سبب في التئام الجروح:

وهكذا في كل سبب عرفناه بالتجربة المعتبرة، سواءً في زراعة أو صناعة أو طب..... إلخ.

---

(1) ـ رواه مسلم (956).

(2) ـ المقصود: بـ (العلمية) التجربة المبنية على عِلم أهل التخصص أو أهل العلم والخبرة بالفن، سواءٌ أكان في زراعة أو طب أو صناعة... إلخ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المسألة الرابعة ((أقسام الناس في الأسباب)):

وهذه مسألة في غاية الأهمية في هذا الباب، وقد اختلف فيها الناس، وإليك نبذة مختصرة عن ذلك:

الناس في الأسباب على طوائف:

الطائفة الأولى ((أهل الشرك)):

يعتقدون أن الأسباب هي الفاعلة، فيعتمدون عليها، ويعتقدون فيها، وأنها تؤثر بذاتها، وفعَّالة بذاتها –فهذا شرك أكبر، وهذا قول الملاحدة والفلاسفة ومَن وَافَقَهم من أهل الشرك.

الطائفة الثانية ((أهل الإعراض عن الأسباب)):

فهم لا يرون تحقيق التوكل إلا في ترْك الأسباب بالكلية، فتركوا التكسُّب والعمل والاحتراز والاحتياط والتزود في السفر والطعام.....إلخ، ويرون ذلك كله منافيًا للتوكل، وهذا حالُ جماعاتٍ، وسار على هذا جماعاتٌ من غُلاة المتصوفة، وبعض جَهَلة العُبَّاد والنُّسَّاك وغُلاتهم الذين زعموا أن التعلق بالأسباب نَقْصٌ في الإيمان [1]!!

كذا كان فهْمُهم للتوكل.

حتى قال بعضهم:

([1]) ـ حدائق الحقائق، عبد القادر شمس الدين الحنفي (صـ 56 ، 57) طـ (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، سراج الغيوب في أعمال القلوب، عبد الكبير بن عبد المجيد عليوات (صـ 233) طـ (كتاب ناشرون) بيروت ـ لبنان.

جَرَى قَلَمُ القَضَاءِ بِمَا يَكُونُ ... فَسِيَّانِ التَّحَرُّكُ وَالسُّكُونُ

جُنُونٌ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ ... وَيُرْزَقُ فِي غَيَابَتِهِ الجَنِينُ

الطائفة الثالثة ((نُفاة تأثير الأسباب بالكلية)):

وهم الذين يزعمون أن الأسباب لا تأثير لها مطلقًا

فالأسباب عندهم ليس لها تأثيرٌ ألبتة، إنما هي مجرد علامات على حصول الشيء، وليس لها تأثير سببي، ويعدُّون اعتقاد تأثير السبب من جهة تأثير السببية: مِن الشرك !! وإنكار التأثير السببي: توحيدًا !!

فالأسباب عندهم ما هي إلا قرائن على الأفعال فقط، وليست أسبابًا حقيقيةً، فلا ارتباط لسبب بمسبَّب، وإنما العلاقة بينهما علاقة اقتران؛ فالنار –عندهم– لا تحرق بطبعها ولا هي علة الإحراق، وإنما يخلق الله –تعالى– فيها الإحراق عند التقائها بشيءٍ قابلٍ للاحتراق، فالذي يحرق هو الله، والنار ليس لها أي تأثير؛ والسِّكِّين –عندهم– لا تقطع بطبعها ولا هي علة القطع، إنما يخلق الله –تعالى– فيها القطع عند مرورها على الشيء القابل للقطع، فالذي يقطع هو الله، والسكين ليس لها أي تأثير؛ وليس في الماء قوة الإغراق، وإنما عند وجود الماء يخلق اللهُ الإغراقَ، بلا تأثيرٍ من الماء، ولا في الماء والخبز قوة الرَّيّ والتغذِّي به، وإنما عند وجود الماء والخبز يخلق الله الرَّيَّ والتغذيةَ، بلا تأثير من الماء والخبز، ونحو ذلك ممَّا قد أجرى اللهُ العادة بخلق المسبَّبات عند وجود هذه الأسباب.

حتى إن منهم مَن زعم أن السحاب ليس سببًا مباشرًا للمطر، وأن المطر ليس سببًا في الإنبات، وزعموا أن هذه مجرد قرائن !!

وهذا مذهب الجهمية الجبرية، ومخانيث الجبرية –الجبرية المتوسطة– من الأشاعرة [1].

قال أحمد بن محمد العدوي الأشعري، المشهور بـ (الدردير):

قال في الخريدة [2] البَهِيَّة:

تَخَالُفٌ للغيْرِ وحدانيةْ ..... في الذَّاتِ أو صِفَاتِهِ العليَّةْ

والفِعلِ فالتأثيرُ ليسَ إلا ..... للواحِدِ القَهَّار جلَّ وعَلا

ومَن يَقُل بالطَّبعِ أو بالعلَّةْ ... فذاكَ كُفرٌ عند أهلِ المِلَّةْ

ومَن يَقُل بِالقُوَّةِ المُودَعَةِ ..... فَذَاكَ بِدْعِيٌّ فلا تَلتَفِتِ [3]

قال أحمد بن محمد العدوي الأشعري –رحمه الله– (الدردير) في شرحه:

((وعُلِمَ أيضًا أنه لا تأثيرَ للأمور العادية في الأمور التي اقترنت بها: فلا تأثيرَ للنار في الإحراقِ، ولا للطَّعامِ في الشَّبَعِ ولا للماء في الرِّيِّ، ولا في إنباتِ الزَّرعِ، ولا للكواكبِ في إنضَاجِ الفواكِه وغيرِهَا، ولا للأفلاكِ في شيءٍ من الأشياء، ولا

---

(1) ـ الجهمية وهم الغلاة الذين يجعلون فعل العبد الاختياري، والاضطراري واحداً، وأما الجبرية المتوسطة، وهم الأشاعرة، الذين قالوا بعقيدة الكسب، وحقيقة الكسب هي الجبر، فإنهم يسمون العبد كاسباً لفعله، وهذا مجرد اسم، وأما ثمرة الفعل فهي ليست للعبد، وقد فصلنا القول في الفارق بينها ـ غلاة الجبرية الجهمية، ومتوسطة الجبرية ـ في كتابي: ((المختصر في مبحث القدر))، وبالله التوفيق.

(2) ـ **معنى الخريدة:** اللؤلؤة التي لم تثقب.

(3) ـ الخريدة البهية في علم التوحيد، مع شرحها، للدردير، (صـ 61) ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنار باب: (أفعال العباد والخلاف فيها).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للسِّكِّين في القطعِ، ولا لشيءٍ في دفْع حَرٍّ أو بردٍ أو جلبِهِمَا وغيرِ ذلك، لا بالطَّبعِ ولا بالعلَّةِ ولا بقُوَّةٍ أودَعَهَا اللهُ فِيها، بل التأثيرُ في ذلك كُلُّهُ لله تعالى وحدَهُ بمحضِ اختيارِهِ عند وُجُودِ هذه الأشيَاءِ)) [1].

فوجود المسبَّب –عندهم– وحدوثه إنما يكون عند وجود السبب، لا بالسبب.

وهذ المقالة: مخالفة لنصوص القرآن والسنة والمعقول والفطرة والحِسِّ.

الطائفة الرابعة ((القدرية)):

وهم ممن يغالي في إثبات الأسباب:

فجعلوا للسبب تأثيرًا؛ لكنه ذاتيٌّ مخلوقٌ للإنسان [2]، ولا يدخل تحت مشيئة الرب –سبحانه تعالى–، وإنما زعموا بأن أفعال العباد علمها الله ولم يخلقها، وهذا مذهب القدرية المعتزلة المتأخرين، وهم عمومًا طوائف ثلاثة [3].

---

(1) ـ شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، للدردير، (صـ 63) ت: عبد السلام بن عبد الهادي شنار. باب: (أفعال العباد والخلاف فيها).

(2) ـ والقدرية لا يصرّحون في كتبهم بأن العبد خلق فِعل نفسه من باب التأدب مع الله؛ ولكن يقولون: أفعالٌ أَحْدَثَهَا الإنسان!! وهم يصرّحون بأن الله ليس خالقًا لأفعال العباد!!

(3) ـ **((الطائفة الأولى)):**

القدرية الأوائل (غلاة القدرية): وهم الذين ينفُون عن اللهِ العلمَ بأفعال العباد، وكذلك الخلق.

يقولون: أنَّ الله ما علم، وما خلق شيئًا من أعمال العباد.

وهؤلاء كفار نوعًا وعينًا كما قرر السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المتبوعين.

((الطائفة الثانية)):

القدرية المتأخرون: يقولون: أنَّ الله تبارك وتعالى لم يخلق أفعال العباد عمومًا من الخير ومن الشر، ولكنهم يثبتون العلم ـأي أنَّ الله يعلم كل أعمال العباد قبل وقوعهاـ

=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((الطائفة الخامسة)):

ممن يغالي في إثبات الأسباب:

وهم الذين يجعلون ما ليس بسببٍ سببًا، وهؤلاء هم عامة الخرافيين من غلاة الصوفية ونحوهم [1].

الطائفة السادسة ((مذهب أهل الحق: أهل السنة والجماعة)):

قالوا: الأسباب مؤثرة لا بذاتها، وإنما جعل الله لها تأثيرًا سببيًا لا ذاتيًا، والله هو الذي خلق السبب والمسبَّب، وهي تحت مشيئة الله وقدرته، فإن شاء مَنَع اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لمسبَّباتها.

- وهم يوجِبون الأخذ بالأسباب ـ وهو عمل الجوارح ـ مع عدم الاعتماد عليها، فيكون التوكل بالقلب على الله مع الأخذ بالسبب، ويعتقدون عدم منافاة الأخذ بالسبب للتوكل، بل هي من التوكل [2].

((الطائفة الثالثة)):

= **وهم القسم الثاني من متأخري القدرية، ويقولون:** أنَّ الله خلق الخير، ولم يخلق الشر ـ وعلى هذا جماعة من أهل الحديث الذين كانوا يقولون بالقدر يقولون: أنَّ الله خلق الخير، ولم يخلق الشر.

(1) ـ واعلم أن مقالات الطوائف المنحرفة في الأسباب، لها تفاصيلُ وأصولٌ ودلائلُ، وقد أجاب عنها علماء أهل السنة والجماعة وهدموها من القواعد، وقد ذكرنا بعض هذه التفاصيل والأصول والدلائل والجواب عنها في كتابي: ((المختصر في مباحث القدر)) يسَّر الله نشره، والغرض ها هنا الإشارة للطوائف المنحرفة في الأسباب.

وبالله التوفيق.

(2) ـ وأكثر العلماء على أن التوكل يكون بالقلب (إذ التوكل هو: صِدْق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفْع المضارِّ من أمور الدنيا والآخرة) ـ قاله ابن رجب في جامع العلوم ـ، والأخذ بالأسباب من عمل الجوارح، ولا يدخل في التوكل، وهذا الذي تدل عليه اللغة.

وعلى وَفْق هذا القول: ترْك الأخذ بالسبب لا يطعن في التوكل؛ للفارق بينهما ـ هذا من عمل الظاهر، وهذا من عمل=

فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ومسلكهم في الأسباب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:

((فَالَّذِي عَلَيْهِ السَّلَفُ وَأَتْبَاعُهُمْ وَأَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْمُثْبِتُونَ لِلْقَدَرِ الْمُخَالِفُونَ لِلْمُعْتَزِلَةِ: إثْبَاتُ الْأَسْبَابِ، وَأَنَّ قُدْرَةَ الْعَبْدِ مَعَ فِعْلِهِ لَهَا تَأْثِيرٌ كَتَأْثِيرِ سَائِرِ الْأَسْبَابِ فِي مُسَبَّبَاتِهَا؛ وَاَللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْأَسْبَابَ وَالْمُسَبَّبَاتِ، وَالْأَسْبَابُ لَيْسَتْ مُسْتَقِلَّةً بِالْمُسَبَّبَاتِ؛ بَلْ لَابُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ تُعَاوِنُهَا، وَلَهَا – مَعَ ذَلِكَ – أَضْدَادٌ تُمَانِعُهَا، وَالْمُسَبَّبُ لَا يَكُونُ حَتَّى يَخْلُقَ اللَّهُ جَمِيعَ أَسْبَابِهِ، وَيَدْفَعَ عَنْهُ أَضْدَادَهُ الْمُعَارِضَةَ لَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يَخْلُقُ جَمِيعَ ذَلِكَ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ كَمَا يَخْلُقُ سَائِرَ الْمَخْلُوقَاتِ: فَقُدْرَةُ الْعَبْدِ سَبَبٌ مِنْ الْأَسْبَابِ، وَفِعْلُ الْعَبْدِ لَا يَكُونُ بِهَا وَحْدَهَا، بَلْ لَابُدَّ مِنْ الْإِرَادَةِ الْجَازِمَةِ مَعَ

= الباطن _، ولكن ترْك الأخذ بالسبب معصية مخالفة للشرع _ في الأصل _.

ومن العلماء مَن قال: أن الأخذ بالأسباب مِن التوكل شرعًا؛ لورود هذا في النصوص الشرعية، ومنها:

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:((**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ: تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**)) **صحيح: رواه أحمد (373)، والترمذي (2344).**

والغُدُوُّ والرَّوَاحُ مِن عمل الطير سماه النبي–صلى الله عليه وسلم–: توكلًا، فدل ذلك على أن الأخذ بالأسباب من تمام التوكل، وترْك الأخذ بالأسباب تَوَاكُلٌ.

وعلى وَفق هذا القول: يكون تعريف التوكل:((صِدْق اعتماد القلب على الله تعالى في استجلاب المصالح ودفْع المضارّ من أمور الدنيا والآخرة، مع فِعل الأسباب التي أمر الله بها)) ويكون ترْك الأخذ بالسبب طعنًا في التوكل، وهذا القول _في نظري_ أقربُ للصواب وأَسَدُّ، والله أعلم، بالله التوفيق.

الْقُدْرَةِ، وَإِذَا أُرِيدَ بِالْقُدْرَةِ الْقُوَّةُ الْقَائِمَةُ بِالْإِنْسَانِ فَلَابُدَّ مِنْ إزَالَةِ الْمَوَانِعِ: كَإِزَالَةِ الْقَيْدِ وَالْحَبْسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَالصَّادِّ عَنْ السَّبِيلِ كَالْعَدُوِّ وَغَيْرِهِ)) [1].

وقال –رحمه الله– في (درء التعارض):

((وأهل السنة لا ينكرون وجود ما خلقه الله من الأسباب، ولا يجعلونها مستقله بالآثار، بل يعلمون أنه ما من سبب مخلوق إلا وحُكمه متوقف على سبب آخر، وله موانع تمنع حُكمه: كما أن الشمس سبب في الشعاع، وذلك موقوف على حصول الجسم القابل به، وله مانع: كالسحاب والسقف)) [2].

المسألة الخامسة ((ما الدليل على هذا الأصل)):

ما هي دلائل هذا الأصل عند من اعتمده من أهل العلم.

((مَن اعتقد في سببٍ سببيةً لم يدل عليها شرع ولا قَدَرُ، فقد أشرك شركًا أصغر)).

الجواب: هناك أدلة على ذلك، ومنها:

((الدليل الأول)):

كما ذكرنا: أنه لا سبيل لمعرفة الأسباب إلا بالشرع أو القدر، فمَن اعتقد وجود سببٍ بغير شرعٍ أو قدرٍ، فقد شرَّع أمرًا لم يأذن به الله (تعالى) –لا شرعًا ولا قدرًا– والله –تعالى–يقول:﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**﴾{الشوري:21}.

---

(1) ـ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (487/8 - 488) ط (مكتبة ابن تيمية) مصر.

(2) ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، (385/4) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

فالله الخلاق العليم هو الذي يربط الأسباب بمسبَّباتها،فمَن زعم في سببٍ سببيةً -دونما شرعٍ ولا قَدَرٍ- فكأنما نصَّب نفسه مُشرِّعًا.

سؤال: ولماذا لم نحمله على الشرك الأكبر؟

((الجواب)):

لأن القائل اعتقادُه في الله صحيحٌ؛ فإنه لم يصرف العبادة لغير الله، ولم يعتقد في غير الله ما لا يُعتقد إلا في الله؛ وإنما هو اعتقد في سببٍ سببيةً لم يدل عليها شرع ولا قَدَر، وليس هذا كذاك.

((الدليل الثاني)):

أن هذا الفعل هو وسيلة للشرك الأكبر والاعتقاد في السبب -الباطل- وصرْف العبادة له؛ فلذلك هو شرك أصغر؛ لأنه من جنس الوسائل للشرك الأكبر.

((الدليل الثالث)):

ولأن من الأسباب ما قد يكون ارتباطها بمسبَّباتها غيبيًا لا يُدرك، فكيف يُقال إن هذا سببٌ لهذا الشيء -المسبَّب- وهو غير محسوس، فلازمُ ذلك ادِّعاءُ عِلْم الغيب.

((الدليل الرابع)):

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- **بين في مواطن أن الاعتقاد في سبب سببية، لم يدل عليه شرع ولا قدر من الشرك، ومن ذلك:**

أ ـ الطيرة شرك:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ -صلى الله عليه وسلم-:

((الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ))، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [1].

وفي رواية: ((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا))، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [2].

ب ـ من تعلق تميمة فقد أشرك:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ:((إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً)) فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: ((مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ)) [3].

ج ـ الرقى والتمائم والتولة شرك:

عَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ)) [4].

د ـ من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مؤمن بالكوكب:

وسيأتي تطبيق عليه في المسألة القادمة -إن شاء الله-.

وقد ورد مثل هذا عن بعض الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن ذلك:

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أحمد (4171)، والترمذي (1614)، وابن ماجة (3538).

(2) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (3910).

(3) ـ **صحيح:** رواه أحمد (17422)، وغيره.

(4) ـ **صحيح:** رواه أحمد (3615)، وأبو داود (3883)، وابن ماجة (3530).

هـ ـ ابن مسعود –رضي الله عنه–:

عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى امْرَأَتِهِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ، فَإِذَا فِي عُنُقِهَا خَيْطٌ مُعَلَّقٌ، فَقَالَ:((**مَا هَذَا؟**)) فَقَالَتْ: شَيْءٌ رُقِيَ لِي فِيهِ مِنَ الْحُمَّى، فَقَطَعَهُ فَقَالَ:((**إِنَّ آلَ عَبْدِ اللهِ أَغْنِيَاءُ عَنِ الشِّرْكِ**)) [1].

هـ ـ حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه– :

عَنْ عَاصِمٍ الأَحْوَلِ، عَنْ عَزْرَةَ قَالَ: ((دَخَلَ حُذَيْفَةُ عَلَى مَرِيضٍ فَرَأَى فِي عَضُدِهِ سَيْرًا فَقَطَعَهُ أَوِ انْتَزَعَهُ، ثُمَّ قَالَ:﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[يوسف:106])) [2].

وفي رواية: عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ، قَالَ: دَخَلَ حُذَيْفَةُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ عَبْسٍ يَعُودُهُ، فَمَسَّ عَضُدَهُ، فَإِذَا فِيهِ خَيْطٌ،قَالَ:((**مَا هَذَا؟**)) قَالَ: شَيْئًا رُقِيَ لِي فِيهِ. فَقَطَعَهُ وَقَالَ:((**لَوْ مُتُّ وَهُوَ عَلَيْكَ، مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ**)) [3].

---

(1) ـ **إسناده ضعيف:** رواه وعبد الرزاق (20343)، ابن أبي شيبة (23458)، أحمد (3615)، وأبو داود (3883)، وابن ماجه (3530) وغيرهم، وإسناده ضعيف، للانقطاع؛ أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يثبت سماعه من أبيه.

(2) ـ رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (12040).

(3) ـ **إسناده صحيح:** رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" (25007)، أبو بكر الخلال في كتاب "السنة" (1482).

المسألة السادسة _ ((تطبيق لهذا الأصل)):

تطبيق (1):

نطبق هذا الأصل على حديث من أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،وفيه:

عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ –رضي الله عنه–،قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ –صلى الله عليه وسلم– صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ:((**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**)) قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:((**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ،فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ: فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بنَوْء كَذَا وَكَذَا: فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**)) [1].

((تعريف النَّوْء)):

(نَوْء) **معني النَّوْء**:هو سقوط النجم أو الكوكب في المغرب، من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر.

وقيل: هو طلوع نجم منها، (ولا خلاف بينهما؛ فإنه عند طلوع نجم في المشرق وَقَع حالَ طلوعِه آخرُ في المغرب) (2).

([1]) ـ رواه البخاري (1038)، ومسلم (71)، وأبو داود (3906)، والنسائي (1525).

([2]) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (2 / 248) حديث رقم: (71)، فتح الباري، ابن حجر (2 / 636). ط (دار الحديث) القاهرة، لسان العرب (8 / 729) مادة: (نوأ). ط (دار الحديث) القاهرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سؤال: ولماذا سُمي النَّوْء بهذا الاسم؟

((الجواب)):

لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق (يَنُوء نوءًا)، أي: نهض وطلع.

وذلك النهوض هو النَّوْء، فسُمِّيَ النجم به (1).

وبيان ذلك: أنَّ هناك ثمانيةً وعشرين نجمًا (2) معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين (3)، يسقط في كل ثلاث

---

(1) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (2 / 248) حديث رقم: (71)، فتح الباري، ابن حجر (2 / 636) ط (دار الحديث) القاهرة، لسان العرب (8 / 730) ط (دار الحديث) القاهرة.

(2) ـ **وهذه المنازل هي مواقع النجوم، وهي:**

((الشرطان، والبطين، والثُّرَيَّا، والدَّبَران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والخرثان، والصرفة، والعواء، والسِّماك، والغفر، والزبانا، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر – بالغين المعجمة – وبطن الحوت)).

انظر: النجم الوهاج في شرح المنهاج، الدميري (2 / 232) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، الشافي شرح مسند الشافعي، ابن الأثير الجَزَري (1 / 746) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ **قال الإمام بن عبد البر :**

((والأنواءُ على الحَقِيقةِ: النُّجُومُ التي هي مَنازِلُ القمرِ، وهي ثمانٍ وعِشرُونَ مَنْزِلةً، يبدُو لعينِ النّاظِرِ منها أرْبَعةَ عشَرَ مَنْزِلًا، ويخفى أرْبَعةَ عشَر، فكلَّما غابَ منها مَنْزِلٌ بالمغرِبِ، طلع رَقِيبُهُ من المشرِقِ، فليسَ يُعدمُ منها أبدًا أربعةَ عشَرَ للنّاظِرِينَ في السَّماءِ، وإذا لم يَنْزِل مع النَّوءِ ماءٌ، قيل: خَوَى النَّجمُ وأخْوَى، وخَوَى النَّوءُ وأخْلَفَ. =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عشرة ليلة منها نجمٌ في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته (1).

وكان أهل الجاهلية إذا سقط نجمٌ وطلع آخرُ، قالوا: لابد أن يكون عند ذلك مطر أو رياح فينسبون المطر إلى الساقط الغارب، وقيل : ينسبونه إلى الطالع.

فيقولون: مُطِرْنا بنَوْءِ الثُّرَيَّا و الدَّبَران والسِّماك (2).

فأبطل الله أ هذا الاعتقاد الفاسد.

((خلاصة الكلام)):

النَّوْء: هو حركة النجوم ومنازلها ما بين ساقطٍ وطالعٍ.

= وأمّا العربُ: فكانت تُضيفُ المطرَ إلى النَّوءِ، وهذا عندهم معرُوفٌ مَشْهُورٌ في أخبارِهِم وأشْعارِهِم.

فلمّا جاءَ الإسلامُ نَهاهُم رسُولُ اللَّه –صلى اللَّه عليه وسلم– عن ذلك، وأدَّبَهُم وعرَّفهُم ما يقولُونَ عندَ نُزُولِ الماءِ، وذلك أن يقولُوا:"مُطِرْنا بفَضلِ اللَّه ورحمتِهِ"، ونحوَ هذا من الإيمانِ والتَّسليم لما نطقَ به القُرآنُ)). انظر: التمهيد، ابن عبد البر (6 / 409:410) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(1) ـ المصدر السابق، الفتح الرباني، الساعاتي (998/1) حديث رقم: (2943) ط (بيت الأفكار الدولية).

(2) ـ شرح النووي على صحيح مسلم (2 / 248) حديث رقم: (71)، فتح الباري، ابن حجر (2 / 637) ط (دار الحديث) القاهرة.

((علاقة النَّوْء بنزول المطر))

سؤال: هل النَّوْء (حركة النجوم ومنازلها) له علاقة بسقوط الأمطار؟

الجواب: لا علاقة ولا دَخْل للنوء في سقوط الأمطار.

((برهان ذلك)):

أن أسباب نزول المطر أشياءُ أخري:كـ(الرياح اللواقح والسحاب..إلخ).

قال الله –تعالى–:﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾{الأعراف:57}.

قال –تعالى–:﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾{الفرقان:47،48}.

قال –تعالى–:﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾{فاطر:9}.

قال –تعالى–:﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾{الحجر:22}.

فعلى ما سبق: لا علاقة للنوء بالمطر.

((تنبيه مهم)):

كثير من العامة عندما يُنْكَر عليهم قولهم: (مُطِرْنا بنَوْء كذا) يتعجب ولا يفهم محل الإنكار؛ وذلك لأنه يظن أن النَّوْء أو (النَّوَّة) -كما حرَّفوها- يظنون أنها الرياح والغيوم والسُّحُب التي هي سبب الأمطار، فيتعجب من الإنكار عليه.

فعلى طلبة العلم والدعاة ومَن يتكلم عن هذه المسالة: أن يبين للناس معنى النَّوْء، وأن النَّوْء لا علاقة له بنزول المطر؛ ليَعقِلوا ويَفْهَمُوا المسألة،

وهذا ينبغي أن نُعَلِّمَه للعامة:(النَّوْء لا علاقة له بالمطر).وبالله التوفيق.

مَن قال: مُطِرْنا بنَوْء كذا، له أحوالٌ وأقسامٌ –إجمالًا–:

((الحال الأولى)):

يقول: مُطِرْنا بنَوْء كذا، مع صَرْف العبادة للنَّوْء، كأن يدعوه أو يستغيث به.

حكمه: كفرٌ أكبر؛ لأنه صرف عبادة لغير الله.

((الحال الثانية)):

يقول: مُطِرْنا بنَوْء كذا، مع الاعتقاد أن النَّوْء فاعلٌ أو مُتحكِّم في نزول المطر.

حكمه: كفر أكبر؛ لأنه اعتقد في غير الله ما لا يُعتقد إلا في الله.

((الحال الثالثة)):

يقول: مُطِرْنا بنَوْء كذا، مع اعتقاد أن النَّوْء سبب في نزول المطر والله هو الخالق المُتحكِّم في المطر.

حكمه: كفر أصغر؛لأنه اعتقد في سببٍ السببيةَ؛ ولم يدل عليها شرع ولا قدر.

((الحال الرابعة)):

يقول: مُطِرْنا بنَوْء كذا، ويقصد نسبة الوقت، يعني: في وقت كذا.

حكمه: فيه خلاف بين العلماء:

((القول الأول)):

أن هذا القول جائز (1)؛ لأنه لم يعتقد في النَّوْء لا أنه الفاعل ولا أنه سببٌ،

---

(1) ـ الشافي شرح مسند الشافعي، ابن الأثير الجَزَري (1 / 746) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (33 / 446) ط (وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية) قطر.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وغايةُ قوله أنه إخبار أن المطر نزل في وقت النَّوْء الفلاني.

((القول الثاني)):

أن هذا القول مكروهٌ، وهذا ظاهر كلام الشافعي–رحمه الله–:(1) ، وهو مذهب الشافعية (2) وبعض الحنابلة (3).

((القول الثالث)):

التفصيل: لا يجوز، ويَحْرُم قول: مُطِرْنا بنَوْء كذا.

ويجوز قول: مُطِرْنا في نَوْء كذا.

وهذا هو الصحيح من مذهب الحنابلة، وعليه أكثرهم [4].

((القول الرابع)):

تفصيلٌ آخرُ: لا يجوز، ويَحْرُم قول: بنَوْء كذا، ويحرم.

ويُكره قول: (في نَوْء كذا، إلا أن يقول مع ذلك: برحمة الله) [5].

---

(1) ـ كتاب الأم (1 / 277) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ البيان في شرح المهذب، العمراني (2 / 658) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، المجموع بشرح المهذب، النووي (5 / 91) ط (مكتبة الإرشاد) السعودية، النجم الوهاج في شرح المنهاج، الدميري (232/2) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي (2 / 294) ط (دار الفكر) بيروت ـ لبنان، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الشربيني (1 / 486) ط (دار المعرفة) حاشية الجمل على شرح المنهج (3 / 106) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان.

(3) ـ فتح الباري، ابن رجب (9 / 264) حديث رقم: (1038) ط (مكتبة الغرباء الأثرية) المدينة.

(4) ـ الفروع، ابن مفلح، وبذيله تصحيح الفروع (129/2) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، فتح الباري، ابن رجب (9 / 264) حديث رقم: (1038) ط (مكتبة الغرباء الأثرية) المدينة، الإنصاف (1 / 377) ط (بيت الأفكار الدولية)، كشاف القناع، البهوتي (2 / 120) ط (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان.

(5) ـ الإنصاف (1 / 377) ط (بيت الأفكار الدولية).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا قول بعض المالكية [1]، وهو وجه عند الحنابلة: قال به بعض الحنابلة [2].

((الحال الخامسة)):

يقول: مُطِرْنا بنَوْء كذا وكذا، ظنًا منه أن النَّوْء هو الريح والسُّحُب وهو سبب في نزول المطر –كما هو حال غالب الناس في زماننا–.

حكمه: أصاب في المعنى، وأخطأ في اللفظ؛ لأن النَّوْء ليس الرياح والسُّحُب؛ فالنوء هو حركة النجوم ومنازلها.

وحكم هذا القول أيضًا عدم الجواز.

((الترجيح)):

أن هذه المسألة:(مُطِرْنا بنَوْء كذا) حُكمها يدور بين الكراهة والتحريم، وأنا إلى التحريم أَمْيَل –والله أعلم–.

وأما قول: (في نَوْء كذا): فالأمر فيه سهل؛ لأن عامة العلماء يقولون بجوازه، وإن كان غيره من القول أحب إليَّ منه –والله أعلم–.

---

(1) ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (259/1) ط (دار ابن كثير) (دار الكلم الطيب) بيروت ـ لبنان.

(2) ـ الفروع، ابن مفلح، وبذيله تصحيح الفروع (129/2) ط (دار الكتب العلمية) بيروت ـ لبنان، فتح الباري، ابن رجب (264/9) حديث رقم: (1038) ط (مكتبة الغرباء الأثرية) المدينة، الإنصاف (1 / 377) ط (بيت الأفكار الدولية)، كشاف القناع، البهوتي (120/2) ط (دار إحياء التراث العربي) بيروت ـ لبنان.

تطبيق (2):

رزق الله رجلا بمولودٍ ذكرٍ، فأتى هذا الوالد بـ (خمسة وخِميسة) [1] ووضعها على جبهة المولود عند شعره مثلًا، وقال: فعلت ذلك لأدفع العين عن المولود.

فما حكم هذا الفعل على ضوء ما درستَ؟

((الجواب)):

هذا الرجل له حالان:

((الحال الأولى)):

إن اعتقد أن هذه التميمة (الخمسة وخميسة) مجرد سبب لدفع العين والسوء عن المولود، والله تعالى، هو الذي بيده النفع والضر، ويدبر الأمور ويفعل ما يشاء (كما هو حال غالب الناس).

حكم هذا الفعل: هذا شرك أصغر.

وذلك: لأنه اعتقد في سبب سببية، لم يدل عليها شرع ولا قدر.

((الحال الثانية)):

فإن اعتقد أن هذه التميمة (الخمسة وخميسة) تدفع العين وترد السوء وتنفع وتضر بذاتها (وغالب الناس لا يعتقدون ذلك).

حكم هذا الفعل: شرك أكبر.

---

(1) ـ وهي عبارة عن صورة كف وأصابع، وقد تكون من الذهب أو غيره، وهي مشهورة في مصر.

وذلك:

أ ـ لأنه اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله.

ب ـ وسوى بين الخالق والمخلوق، في اعتقاد النفع والضر الذاتي، لا السببي.

((الضابط السابع))

((الأصل في لفظ (الشرك) إذا أُطلق في النصوص الشرعية معرَّفا بـ (أل) أن يُحمل على الشرك الأكبر، وإذا كان نكِرة حُمل على الشرك الأصغر)).

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى _ ((الخلاف في هذا الضابط)):

هل هذا الضابط متفق عليه؟

الجواب:

من العلماء من أنكر هذا الضابط:

فهو ضابط مختلف فيه حيث قرره بعض العلماء، وأنكره آخرون.

قرر هذا الضابطَ أبو عُبيد القاسم بن سلَام وابن تيمية وجماعة من المعاصرين.

ومن العلماء من أنكروه وقالوا: إنه ليس ضابطًا سديدًا، واعترضوا عليه بجملة من الاعتراضات.

المسألة الثانية _ ((معنى هذا الضابط)):

"الأصل" أي: هذا هو الأصل في النصوص الشرعية، وقد يتغير هذا الأصلُ لدليل آخر، كما لو قلنا: **"الأصل في الأطعمة الحِلّ"**.

سؤال: ما حكم أكل الأسد؟

الجواب: وفقا لهذا الأصل نقول: "أكله حلال". لكن وردَنا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ فَأَكْلُهُ**

حَرَامٌ)) [1].

فجاء هذا الدليل وأخرج أكل الأسد عن الأصل.

والغرض المقصود: قد يتغير هذا الأصلُ لدليل آخر.

"الأصل في الشرك": الأصل في لفظ الشرك.

"إذا أطلق في النصوص الشرعية": في نصوص القرآن والسنة.

"وكان معرفا بأل": كأن تقول: "الشرك" "الكفر".

"أن يُحمل على الشرك الأكبر" أي: يدل هذا اللفظ ـ في أصله ـ على الشرك الأكبر ما لم تأت قرينة تصرفه إلى غيره.

"وإذا كان نكرة" أي: غير معرف بأل فإنه يُحمل على الشرك الأصغر.

((تنبيه)):

قد يختلف هذا الأصل لقرائن وأدلة، فقد يكون معرفًا بأل، ثم يأتي الدليل على كونه من الشرك الأصغر، والعكس، وإنما الكلام هاهنا على الأصل في هذا الضابط –على قول من يقول به ويعتمده–.

مثال خلاف الأصل (كفر معرف يُراد به كفر دون كفر):

في الصحيح: أنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بنِ قَيْسٍ أتَتِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَتْ: يا رَسولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بنُ قَيْسٍ، ما أعْتِبُ عليه في خُلُقٍ ولَا دِينٍ، ولَكِنِّي أكْرَهُ الكُفْرَ في الإسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ:

([1]) ـ رواه مسلم (1933)، وهذا قول الجمهور بحرمة أكل الأسد، وعند المالكية في رواية بكراهة أكله، والصواب قول الجمهور؛ للحديث المذكور.

((أَتَرُدِّينَ عليه حَدِيقَتَهُ؟)) قالَتْ: نَعَمْ، قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: ((اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً)) [1].

وفقا لهذا الضابط آنف الذكر يُحمل لفظ "الكفر" في الحديث على الكفر الأكبر، لكن جاءت قرينة تدل على أن المقصود هنا كفر دون كفر إذ قالت (الكفر في الإسلام) أي: كانت تقصد- رضي الله عنها- كفران العشير كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن النساء:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم-: ((أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ)) قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: ((يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)) [2].

المسألة الثالثة _ ((دليل هذا الضابط)):

التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة في الشرك والكفر.

ومن صور دلائل العلماء على ذلك:

أ ـ قال -تعالى-: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾{التوبة:74}.

وجه الشاهد: ولقد قالوا كلمة الكفر، فالكفر هنا هو الكفر الأكبر.

وفي السنة: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رسول الله

---

(1) ـ رواه البخاري (5273).

(2) ـ رواه البخاري (29)

-صلى الله عليه وسلم-:((الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ))، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [1].

وفي رواية: ((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا))، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [2].

وجه الاستدلال: التصريح بأن التوكل يذهبه، ولو كانت الطيرة من الشرك الأكبر لما ذهب بالتوكل وحسب، إنما بالرجوع إلى الإسلام.

المسألة الرابعة _ ((تطبيق الضابط)):

تطبيق (1):

عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ)) [3].

سؤال: علامَ يُحمل الشرك في هذا الحديث وفقًا لهذا الضابط؟

الجواب: على وفق الضابط، يُحمل على الشرك الأكبر ؛ لأنه معرَّف.

((تنبيه)):

هذا الأصل، ولكن قد يأتي العالم بقرينة تدل على أنه محمول على (كفر دون كفر) كما فعل جماهير العلماء وقالوا بعدم كفر تارك الصلاة.

❖ لأن تارك الصلاة نوعان: (جحودًا، وتكاسلًا)

---

(1) ـ **صحيح**: رواه أحمد (4171)، والترمذي (1614)، وابن ماجة (3538).

(2) ـ **صحيح**: رواه أبو داود (3910).

(3) ـ رواه مسلم (134)، وغيره.

الأول: (تارك للصلاة جحودًا)

حكمه: هذا كافر بإجماع العلماء.

الثاني: (تارك للصلاة تكاسلًا)

حكمه: وأما تاركها تكاسلًا، فقد اختلف العلماء في حاله، والجمهور على أنه لا يكفر.

فمن قال: إن تارك الصلاة يكفر كفرًا أكبر يحمل هذا النص على الشرك الأكبر، ومن يقول بعدم كفره (الجمهور) يقولون : إن هذا من الكفر الأصغر.

تطبيق (2):

عَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**)) [1].

والتمائم: جمع تميمة، وهي ما يعلق على الأولاد من خرزات وعظام ونحو ذلك لدفع العين .

-سميت تميمة لاعتقادهم أنهم يتم أمرهم ويحفظون بها.

والتولة: ضرب من السحر يحبب المرأة إلى زوجها.

كما قال ابن مسعود: شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ [2].

سؤال: هل هذا من الشرك الأكبر أو الأصغر؟

الجواب: على وفق الضابط، فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه لفظ نكِرة.

([1]) ـ **صحيح:** رواه أحمد (3615)، وأبو داود (3883)، وابن ماجة (3530).

([2]) ـ رواه ابن حبان (6090).

- هذا هو الأصل في هذا الباب، لكن لو اعتقد فيه ذاتية النفع والضر فهذا من الشرك الأكبر، وإن اعتقد فيه سببية، فهو من الشرك الأصغر.

- لكن الأصل فيه أنه من الشرك الأصغر.

تطبيق (3):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:((**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا**))، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [1].

سؤال: هل هذا من الشرك الأكبر أو الأصغر؟

الجواب: على وفق الضابط، فهو من الشرك الأصغر؛ لأنه لفظ نكِرة.

((تنبيه)):

هذا ضابط غير متفق عليه إذ اختلف العلماء فيه.

ومن معارضات هذا الأصل:

أ ـ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم-يَقُولُ:((**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**)) [2].

الجمهور على أنه لا يكفر، وأن هذا كفر دون كفر، وهو معرف بأل.

ب ـ ومن ذلك:

قوله -تعالى-:﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (3910).

(2) ـ رواه مسلم (82).

ـ على وفق الضابط فالأصل أنه محمول على الكفر الأكبر، ومن قرر هذا الضابط يقولون: إن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا أكبر، وقد يكون كفرًا دون كفر.

قلت: وقد يجاب على ذلك بأن هذا هو الأصل في هذا الضابط، فالأصل فيه أن يحمل على الشرك الأكبر إذا كان معرفًا ويحمل على الأصغر إذا كان نكرة، وقد يأتي صارفٌ يصرفنا عن هذا الأصل.

((إشكال وجوابه)):

قلنا من ذي قبل:إن الكفر والشرك في الشريعة يُطلقان ويراد بهما الكفر الأكبر تارة ويراد بهما الأصغر تارة أخرى،وقلنا: إن أغلب النصوص الشرعية في كتاب الله يُقصد بها الشرك الأكبر، والإشكال:

أن هناك الكثير من النصوص التي ورد فيها لفظ الكفر غيرَ معرف بأل، فهل الكفر فيها محمول على الكفر الأصغر؟، ومن ذلك:

قال –تعالى–:﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾

قال –تعالى–:﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا﴾

قال –تعالى–:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

وقال الله –تعالى–:﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالا وَوَلَدًا﴾

وقال الله –تعالى–:﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

وقال الله –تعالى–:﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾

وقال الله –تعالى–:﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾

((الجواب)):

في هذه النصوص التي ذكرتها أفعالٌ "فمنهم من آمن ومنهم من كفر" و(كفر) هذا فعل ماضٍ

"وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا" فعل ماض أيضًا.

"وَالَّذِينَ كَفَرُوا" فعل ماض أيضًا.

"أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا" فعل ماض.

"سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا" فعل ماض أيضًا.

وفي اللغة العربية ليست الأفعال محلا للتنكير أو التعريف بأل، فالكلام في هذا الباب منصبّ على الأسماء لا على الأفعال؛ لأن الأفعال لا تعرف بـ أل.

ولذلك جاء في الألفية:

بالجر والتنوين والنِّدا [1] وأل *** ومسندٍ للاسم تمييزٌ حَصَلْ**

(1) ـ **أي:** النداء. فتقول: "يا إبراهيم"، "يا أحمد". ولا تقول: "يا يَشْرَبُ"، "يا يَجري".

فمن الفوارق بين الاسم والفعل: قبول التعريف "بأل" (الألف واللام).

ولذلك لم نذكر في التطبيقات قول النبي -صلى الله عليه وسلم-:(من حلف بغير الله فقد أشرك)؛ لأن "أشرك" هذا فعل، فهو لا يقبل التعريف بأل.

سؤال: وماذا نفعل حِيالَ نصوص الكفر التي فيها أفعال؟

الجواب: مردها إلى السياق، والقرائن المتصلة، أو المنفصلة، والنظر في النصوص الآخرى لبيان المراد منها.

مثال:

قال -تعالى-:﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا**﴾

هذا من نصوص الكفر الأكبر.

برهان ذلك:

السياق، حيث قال "**لَنْ يُبْعَثُوا**" واعتقاد عدم البعث كفر أكبر.

((الضابط الثامن))

((الشرك الأصغر يمكن أن ينحدر تحت الشرك الأكبر بالقلب والنية))

الكلام على هذه القاعدة سيكون في مسائل:

المسألة الأولى: معنى هذا الضابط.

المسألة الثانية: تطبيق على هذا الضابط.

((الضابط الثامن))

((الشرك الأصغر يمكن أن ينحدر تحت الشرك الأكبر بالقلب والنية))

أولًا ((معنى هذا الضابط)):

"**الشرك الأصغر**" **أي**: الأصغر في أصله.

"**ينحدر**" **أي**: يسقط وينزل.

"**تحت الشرك الأكبر**" **أي**: الشرك المخرج من الملة.

"**بالقلب والنية**" **أي**: عن طريق القلب والنية.

المسألة الثانية _ ((تطبيق على هذا الضابط)):

تطبيق (1):

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)) [1].

فهذا محمول على الشرك الأصغر.

وفي ذلك يقول الإمام الترمذي:

((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَفُسِّرَ هَذَا الحَدِيثُ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّ قَوْلَهُ: ((فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ)) عَلَى التَّغْلِيظِ، وَالحُجَّةُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ: وَأَبِي وَأَبِي، فَقَالَ:((أَلَا إِنَّ اللَّهَ

([1]) ـ **صحيح**: رواه الترمذي (1535).

يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ))، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ:**((مَنْ قَالَ فِي حَلِفِهِ وَاللَّاتِ، وَالعُزَّى فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))** هَذَا مِثْلُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ قَالَ:**((إِنَّ الرِّيَاءَ شِرْكٌ))** وَقَدْ فَسَّرَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ هَذِهِ الآيَةَ:﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا**﴾ [الكهف:110] الآيَةَ، قَالَ: لَا يُرَائِي)) [1].

ومعلوم أنه من الفوارق بين الشرك الأصغر والأكبر:

أ ـ وجود الكفارة، كما في حديث الحلف -كما سبق-.

فالحلف بغير الله شرك أصغر في أصله.

وها هنا سؤال: لماذا نُقسم ونَحلف؟

الجواب:

أولًا: يقسم الإنسان ليصدقه السامع، فيقسم بأعظم ما عنده ليؤكد للسامع صدقه.

ثانيا: لسان حالك يقول للسامع: سأقسم لك بمن لو، حلفت به كاذبًا فهو قادر على عقابي، وهو الله -عز وجل- .

((تطبيق القاعدة)):

لو قصد الحالف بغير الله -تعالى- تعظيمَ المحلوفِ به كتعظيمه لله أو أشدَّ من تعظيمه لله -تعالى- ، فهذا من الشرك الأكبر.

([1]) ـ سنن الترمذي، تحت الحديث رقم: (1535).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودلائل ذلك معلومة، وتُفهم هذه الدلائل مما سبق ذكره في ثنايا شروح هذه الضوابط والقواعد، التي ذكرناها قبلُ (كالتسوية بين الخالق والمخلوق، وغيره مما سبق ذكره).

((الضابط التاسع))

((الأشياء التي يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر [1]))

أولًا ـ ((معنى هذا الضابط)):

أنَّ هناك دلالات مُفَرِّقة بين الشرك الأكبر والأصغر في النصوص الشرعية، نستطيع أن نميز بين النوعين عن طريقها.

فكيف نميز المقصود بلفظ (الشرك)؟

وكيف نعرف المقصود في النص الشرعي بلفظ الشرك؟

((الجواب)):

ثمة دلالات للتفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر، ومنها:

الدلالة الأولى ((دلالة التصريح)):

أن يأتي في النص الشرعي التصريح بأن هذا من الشرك الأصغر أو من الشرك الأكبر.

تطبيق (1):

تطبيق على الشرك الأكبر:

أ ـ عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ

(1) ـ والمقصود من هذا الضابط: ذكر أهم ما يميز، ويُفَرِّق بين الشرك الأكبر والأصغر في النصوص الشرعية.

عَلَيْنَا:((أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)) [1].

وجه الاستدلال: فقد صرح في النص بأن المراد هو الكفر الأكبر (كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان)، فالمقصود به الكفر الأكبر بالاتفاق.

تطبيق (2):

تطبيق على الشرك الأكبر:

ب ـ قال –تعالى–:﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾{البقرة:39}

فهذا تصريح بأن المقصود في هذه الآية هو الكفر الأكبر لقوله: "هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"، وإنما الخلود في النار لأهل الكفر الأكبر.

تطبيق (3):

تطبيق على الشرك الأصغر:

عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ:

((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)) قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:((الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ

(1) ـ رواه البخاري (7055)، ومسلم (1709).

عِنْدَهُمْ جَزَاءً)) [1].

فهذا الحديث فيه التصريح حيث قال:((الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ))

الدلالة الثانية ((فَهم الصحابة)):

فالصحابة –رضي الله عنهم– إذا فهموا أنَّ المقصود بلفظ الشرك في النص الشرعي:– الأكبر أو الأصغر فقولهم وفهمهم مقدم.

سؤال: ولماذا فهمهم مقدم؟

((الجواب)):

لأنهم خير الأمة، وأعلم الأمة، وفيهم نزل الوحي، وهم أعلم بالنصوص، وقد تعلموا من النبي –صلى الله عليه وسلم–، وهم الذين عدَّلهم الله، وعدَّلهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهم خير أمةٍ أُخرجت للناس.

تطبيق (1):

الطيرة شرك:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:

((الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ))، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [2].

وفي رواية: ((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا))، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [3].

---

(1) ـ **حسن:** رواه أحمد (23630)

(2) ـ **صحيح:** رواه أحمد (4171)، والترمذي (1614)، وابن ماجة (3538).

(3) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (3910).

فهذا محمول على الشرك الأصغر، وذلك لفهم ابن مسعود –رضي الله عنه–، حيث قال معلقا على قول النبي –صلى الله عليه وسلم–:((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ)) قال: "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ".

وهذه اللفظة:(وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ) مُدْرَجة على الراجح، فهي من كلام ابن مسعود،وليست من كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–.

فَفَهِم ابن مسعود –رضي الله عنه–، أن هذا من الشرك الأصغر، ولو كان هذا شركا أكبر لما كان يذهب بالتوكل، وإنما يذهب بالرجوع إلى الإسلام.

تطبيق (2):

قال يَعْلَى بْنُ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، عَنْ أَبِيهِ، –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ:

((كُنَّا نَعُدُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الرِّيَاءَ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ)) [1].

فالصحابة ي فهموا أن الرياء –الأصل فيه– أنه من الشرك الأصغر.

الدلالة الثالثة:

((لو كان سبب لم يدل عليه شرع، ولا قدر واعتقد فيه السببية)):

لو كان الشرك في النص الشرعي من جنس الأسباب التي لم يدل عليها شرع ولا قدر، فهو من الشرك الأصغر –على قول–كما سبق وبيناه من قبل في ضابط مستقل [2].

---

(1) ـ **صحيح:** رواه الحاكم (7937).

(2) ـ انظر: (صـ 211، وما بعدها).

تطبيق (1):

من علق تميمة فقد أشرك:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَقْبَلَ إِلَيْهِ رَهْطٌ، فَبَايَعَ تِسْعَةً وَأَمْسَكَ عَنْ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بَايَعْتَ تِسْعَةً وَتَرَكْتَ هَذَا؟ قَالَ: ((إِنَّ عَلَيْهِ تَمِيمَةً)) فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَقَطَعَهَا، فَبَايَعَهُ، وَقَالَ: ((مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ)) [1].

وكما سبق: إن اعتقد فيها السببية، فهو من الشرك الأصغر، وإن اعتقد فيها النفع والضر الذاتي، فهو من الشرك الأصغر.

تطبيق (2):

الرقى والتمائم والتولة شرك:

عَنْ زَيْنَبَ، امْرَأَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ)) [2].

الدلالة الرابعة ((وجود الكفارة يدل على أن الشرك أصغر)):

تطبيق (1):

كالحلف بغير الله فكفارته أن يقول "لا إله إلا الله":

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أحمد (17422)، وغيره.

(2) ـ **صحيح:** رواه أحمد (3615)، وأبو داود (3883)، وابن ماجة (3530).

قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ)) [1].

الدلالة الخامسة ((لو أتى لفظ الكفر أو الشرك معرّفا بأل)):

لو أتى لفظ الكفر أو الشرك معرّفا بأل (في غير لفظ الأفعال)، فهو محمول على الشرك الأكبر، ولو جاء نكرة فالأصل فيه أنه من الشرك الأصغر -في الأصل على قول كما سبق وبيناه [2]-

تطبيق (1):

قال -تعالى-:﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾

وجه الاستدلال: ولقد قالوا كلمة الكفر، فالكفر هنا هو الكفر الأكبر.

وهذا من الكفر الأكبر، وقد جاء معرفًا "بأل".

تطبيق (2):

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رسول -صلى الله عليه وسلم-:

((الطِّيَرَةُ مِنَ الشِّرْكِ))، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [3].

وفي رواية:((الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا))، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ [4].

---

(1) ـ رواه البخاري (4860)، ومسلم (1647).

(2) ـ انظر:(صـ 238).

(3) ـ **صحيح:** رواه أحمد (4171)، والترمذي (1614)، وابن ماجة (3538).

(4) ـ **صحيح:** رواه أبو داود (3910).

وجه الاستدلال:الشرك هناك محمول على الأصغر،للتصريح بأن التوكل يذهبه، ولو كانت الطيرة من الشرك الأكبر لما ذهب بالتوكل وحسب، إنما بالرجوع إلى الإسلام، وقد جاء لفظ الشرك نكرة.

الدلالة السادسة ((دلالة النصوص الأخرى)):

فدلالة النصوص الأخرى، قد تدل على المراد بلفظ الشرك أو الكفر، فأهل السنة والجماعة لديهم أصل، وهو أنهم لا ينظرون بعين واحدة، بل ينظرون إلى مجموع الأدلة.

بخلاف أهل البدع الذين ينظرون بعين واحدة، وجهة واحدة:

فالخوارج مثلا ينظرون بعين واحدة، ومن ذلك:

عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ:

((اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)) فَقَالَ: ((لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) [1].

فنظر الخوارج إلى نصوص الوعيد وغلبوها، فنظروا بعين واحدة، وكَفَّروا من قتل مسلمًا.

وكذلك المرجئة: نظروا بعين واحدة، نظروا إلى نصوص الوعد، وغلبوها.

ومن ذلك:

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:((مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ

([1]) ـ رواه البخاري (121)، ومسلم (118).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَلْبِهِ، أَوْ يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ....)) [1].

فقال المرجئة: من قال لا إله إلا الله فإيمانه كإيمان جبريل، وإن فعل ما فعل من معاصٍ ومنكرات ويدخل الجنة!!.

وأما أهل السنة والجماعة: فنظروا بالعينين معًا، نظروا إلى نصوص الوعد والوعيد، وجمعوا بين نصوص الوعد والوعيد، ولم تكن نظرتهم عوراء، كطوائف أهل البدع.

ويظهر هذا في هذا التطبيق:

أ ـ عَنْ زُبَيْدٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ عَنْ المرْجِئَةِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) [2].

ب ـ عَنْ جَرِيرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: ((اسْتَنْصِتِ النَّاسَ)) فَقَالَ: ((لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)) [3].

فهذه نصوص تدل على الكفر.

قال أهل السنة والجماعة: لكن جاءت نصوص أخرى تدل على أن الكفر في هذه النصوص، كفر دون كفر، قال -الله تعالى-: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي

---

(1) ـ **صحيح:** رواه أحمد (22060).

(2) ـ رواه البخاري (48)، ومسلم (116).

(3) ـ رواه البخاري (121)، ومسلم (118).

﴿تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾[الحجرات:9].

فسماهم مؤمنين، وقال بعد ذلك:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ رغم أنهم وقعوا في القتال.

وقال الله أيضا:﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فسماه أخًا له.

فدل ذلك على أن هذا كفر دون كفر.

تم بحمد الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((الخاتمة))

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، أما بعد:

هذا ما تيسر لنا جمعه في هذا المبحث، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأل الله الكريم أن يجعلني ممن وُفِّقَ لمراده القويم، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، ويقبله من عبده المسكين، وينفع به المسلمين؛ إنه جواد كريم.

ونسأله سبحانه:

أن يُحيَنا ويميتنا على التوحيد والسنة، وعقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يجمعنا على ما يرضيه، وأن يُمَسِّكَنا جميعًا بحبله المتين وصراطه المستقيم.

ونسأله سبحانه:

أن يقر أعيينا بنَصْر السُّنة، ورفع الغُمة، وقَمْع البدعة، وظهور عقيدة أهل السُّنة.

ونسأله سبحانه:

أن يرفع عن بلادنا وبلاد المسلمين البلاء والسوء؛ وأن يتوب علينا لنتوب، ويهدينا إلى مراضيه، ويعتق رقابنا ورقاب أمهاتنا وآباءنا من النار، وأن يغفر لنا ولمن له فضل علينا، وللمؤمنين والمؤمنات؛ إنه بالإجابة كفيل، وهو على كل شيء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلِ اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: أبو عبد الله السكندري المصري

محمد أنور محمد مرسال

الاثنين/ السادس عشر من جمادى الآخر(1444 هـ)

الموافق: 9 /يناير/ 2023 م

((الفهرس))

مقدمة المصنِّف -عفا الله عنه- 4
تمهيد 7
المسألة الأولى:(أهداف اختيار الموضوع) 7
المسألة الثانية:(منهج الشرح) 9
المسألة الثالثة:(أهمية الموضوع) 11
مقدمة مهمة عن توحيد الألوهية، بين يدي القواعد 19
المسألة الأولى:(الكلام على التوحيد عمومًا وأقسامه) 20
أمثلة على توحيد الربوبية 22
توحيد الألوهية 22
توحيد الأسماء والصفات 25
الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية 25
الفرق الأول 25
الفرق الثاني 25
تنبيه 26
التوحيد له أقسام كثيرة باعتبارات مختلفة 26
المسألة الثانية:(حكم إدخال أقسام أخرى مع أقسام التوحيد) 27
حكم إضافة بعض الأنواع الآخرى لأقسام التوحيد 27
مسألة أخرى 28
بعض المعاصرين يضيف توحيد المتابعة 28
المسألة الثالثة:(الاعتراض على تقسيم التوحيد) 29
أولًا:(الجواب على من زعم أن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أول من أحدث هذا التقسيم) 30

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبب اعتراض المتكلمين على تقسيم التوحيد 32
(بعض من ورد عنهم من السلف التفريق بين الربوبية والألوهية) 34
الرد على من زعم أن هذا التقسيم بدعي محدث..... 38
الوجه الأول 38
الوجه الثاني..... 40
التقسيم نوعان (شرعي ــ اصطلاحي) 40
حكم التقسيم الشرعي..... 41
حكم التقسيم الاصطلاحي 43
فصل: (بعض الأدلة المختصرة في التفريق بين الربوبية والألوهية) 45
الدليل الأول: (الدليل اللغوي) 45
الدليل الثاني: (آيات فرقت بين النوعين)..... 45
الدليل الثالث..... 46
الدليل الرابع..... 46
(هل كان اعتقاد مشركي الجاهلية في الربوبية صحيحًا؟)..... 47
الدليل الخامس..... 48
الدليل السادس..... 48
المسألة الرابعة:(بعض أسماء توحيد الألوهية) 48
فصل: في الكلام على شهادة التوحيد (لا إله إلا الله)..... 50
المسألة الأولى:(أسماء شهادة أن لا إله إلا الله)..... 50
المسألة الثانية:(خلاف الطوائف في معنى لا إله إلا الله)..... 57
اختلاف الطوائف في معنى الإله..... 57
القول الأول: (الإله معناه:"المعبود")..... 57
القول الثاني: (الإله معناه: "واجب الوجود")..... 61
القول الثالث:(الإله معناه:"القديم") 61

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القول الرابع:(الإله معناه:"الخالق القادر").....62
تنبيه.....62
تنبيه أخر.....63
المفاسد المترتبة على عدم التفريق بين الربوبية والألوهية.....63
تنبيه آخر.....63
بعض دلائل (شبهات) من لم يفرق بين الربوبية والألوهية.....64
الدليل الأول.....64
الدليل الثاني.....64
الدليل الرابع.....65
الدليل الخامس.....66
الحق في المسألة، وقول أهل السنة والجماعة، أنَّ معنى الإله: "المعبود".....66
المسألة الثالثة.....67
من الأشاعرة من ورد عنه المعنيان -في معنى الإله-، فهل من ذكر المعنيين أصاب أم أخطأ؟.....67
المسألة الرابعة:(علام يُطلق لفظ الإله _عند من يقول معناه المعبود_؟).....67
لماذا نذكر هذا الخلاف وما فائدته؟.....68
المسألة الخامسة:(اختلاف الطوائف في ما معنى "لا إله إلا الله"؟).....68
القول الأول:(معناها "لا معبود بحق إلا الله").....68
القول الثاني:(معناها "لا معبود موجود إلا الله").....68
تنبيه.....69
القول الثالث:(معناها "لا قادر إلا الله").....70
القول الرابع:(معناها "لا موجود إلا الله").....70
والصواب من هذه الأقوال:(أن معناها "لا معبود بحق إلا الله") وهو قول عامة أهل السنة والجماعة.....71

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المسألة السادسة:(أركان لا إله إلا الله)..... 71
الركن الأول: (النفي)، الركن الثاني:(الإثبات)..... 71
توجيهات العلماء في الحكمة من تقديم النفي على الإثبات..... 71
التوجيه الأول..... 72
التوجيه الثاني..... 72
التوجيه الثالث..... 72
التوجيه الرابع..... 72
المسألة الثامنة:(شروط لا إله إلا الله)..... 73
الأدلة على أن كلمة التوحيد لها شروط..... 73
الدليل الأول..... 73
الدليل الثاني..... 73
الدليل الثالث..... 74
بعض كلام السلف في أنَّ لكلمة التوحيد شروطًا..... 74
ومن المتكلمين من نص على أن كلمة التوحيد لها شروط..... 75
خلاصة الكلام:..... 75
اختلفت عبارات العلماء في التعبير عن المعاني اللازم توافرها في الانتفاع بالشهادة ... 76
تنبيه مهم..... 76
المسألة العاشرة:(خواص لا إله إلا الله)..... 77
المسألة الحادية عشرة:(هل يجوز نطقها بغير العربية)..... 78
القاعدة الأولى:((الكفر والشرك يطلق في الشريعة ويُراد به الكفرُ الأكبر تارة، والكفرُ الأصغر تارة أخرى))..... 81
المسألة الأولى:(معنى القاعدة)..... 81
المسألة الثانية: تعريف الكفر، والشرك..... 81
الكُفر في اللغة..... 81

الكفر اصطلاحًا.....83
الشرك اصطلاحًا.....85
ما يختص الله به نوعان.....86
المسألة الثالثة:(الأدلة والتطبيقات على هذه القاعدة).....87
أمثلة الشرك الأكبر في كتاب الله.....87
تنبيه. 89
أمثلة من السُّنة على الكفر الأكبر 90
أنواع الكفر الأكبر.....90
1 – (كفر العِناد).....90
2 – (كفر الإنكار) 91
3 – (كفر الكبر) 92
4 – (كفر الجحود) 92
أنواع كفر الجحود.....93
الأول:(جحود عام).....93
الثاني:(جحود خاص مقيد).....93
5 – (كفر النفاق).....94
6 – (كفر الاستهزاء).....94
سؤال: حكم الاستهزاء بالمؤمنين؟ 95
أحوال الاستهزاء بالمؤمنين.....95
الحالة الأولى.....95
الحالة الثاني.....96
سؤال: وهل تجوز السخرية من المسلم في حال؟.....96
7 – (كفر الإعراض).....97
أقسام الإعراض.....97

إعراض كلي.....97
إعراض جزئي.....98
8 ـ (كفر البغض والكره).....98
9 ـ (كفر الشك).....98
10 ـ (كفر البغض والكره).....99
الشرك الأصغر.....100
وسبب تسميته كفراً.....100
أمثلة على الكفر، والشرك الأصغر.....102
اختلاف العلماء في معنى الكفر في حديث النياحة، والطعن في الأنساب.....104
سؤال: لماذا جمع النبي -صلى الله عليه وسلم- **بين النياحة على الميت والطعن في النسب؟ وما العَلاقة بينهما؟**.....105
تنبيه.....107
هل كفر النعمة كله من الكفر الأصغر؟.....107
(خلاصة القاعدة).....107
المسألة الرابعة:(إشكال وجوابه).....108
(إشكال) هناك نصوص فيها التصريح بخلود قاتل المسلم، وقاتل نفسه في النار،والخلود في النار يكون للكافر كفرًا أكبر، فما الجواب؟.....108
الجواب عن هذا الإشكال.....109
أولًا ــ ذكر بعض الأدلة على عدم كفر قاتلِ نفسه.....109
الدليل الأول.....109
الدليل الثاني.....110
الدليل الثالث.....112

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدليل الرابع.....113

ذِكر أقوال العلماء بهذا الشأن.....113

ثانيًا ــ (بعض توجيهات العلماء لنصوص وعيد القاتل بالخلود في النار).....115

((التوجيه الأول)):.....115

((التوجيه الثانى)):.....116

((التوجيه الثالث)):.....117

((التوجيه الرابع)):.....117

((التوجيه الخامس)):.....117

((التوجيه السادس)):.....118

((التوجيه السابع)):.....118

((التوجيه الثامن)):.....118

((الترجيح)):.....119

الخلود التأقيتي (المؤقت) بمعنى: المكث الطويل.....119

والخلود التأبيدي بمعنى: البقاء وعدم الخروج.....119

الجواب عن إشكالية "أن الخلود ينافي التأقيت".....119

المسألة الخامسة:(الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر).....121

الفارق الأول.....121

الفارق الثاني.....121

الفارق الثالث.....121

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفارق الرابع.....122
الفارق الخامس.....122
الخلاف في أن الشرك الأصغر يُغفر.....122
الفارق السادس.....123
الفارق السابع.....124
إشكال يشكل في الشرك الأكبر ـ في كون الكافر لا يُحب ـ ، وهو:(كيف لا يحب الرجل والده الكافر ـ النصراني ـ وهو والده، كيف لا أحب الكافر، وقد أباح الله لي الزواج من الكتابية، ومدار الزواج على الحب في الأصل 124
الجواب عن هذا الإشكال.....124
سؤال: وما الدليل على ذلك، وجود المحبة الطبيعية مع البغض الديني؟ 125
خلاصة الكلام:.....125
اعتراض سمج.....126
بعض الجهلة في الفضائيات، وغيرها يعارضون تكفير النصارى واليهود، بحجة إباحة الزواج منها، -ويضاف إليه أن الكافر لا يُحب.....126
رد العلماء على هذا الاعتراض السمج.....126
سؤال: ولماذا التفريق في النكاح بين الكتابية، والمشركة؟.....126
المسألة السادسة:(الفرق بين الشرك والكفر).....127
الخلاف في الفرق بين الشرك والكفر.....127
القول الأول:(لا فرق بينهما).....128
القول الثاني:(بينهما عموم وخصوص) 129
القول الثالث: (إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترق).....131
(الترجيح).....132
هل التقسيم: (الأصغر والأكبر) يختص بالشرك والكفر فقط؟.....133
1 ـ (النفاق) 133

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلام على القسم الأول "النفاق الاعتقادي (الأكبر)".....133
حكم النفاق الاعتقادي (النفاق الأكبر).....134
الدليل على هذا النوع في النصوص الشرعية.....134
الكلام على القسم الثاني "النفاق العملي"(الأصغر).....135
صور من النفاق العملي.....135
إشكال في هذا الحديث (كان منافقًا خالصًا).....137
تأويلات العلماء لهذه اللفظة.....138
الأصل في نصوص القرآن التي ورد فيها ذكر النفاق.....143
لماذا سمي المنافق بهذا الاسم؟.....144
2 – (الفسق).....144
تعريف الفسق لغة.....144
أولًا: الكلام على الفسق الأكبر.....145
الدليل على هذا النوع (الفسق الأكبر) في النصوص الشرعية.....145
ثانيًا: الكلام على الفسق الأصغر.....145
الدليل على هذا النوع (الفسق الأصغر) في النصوص الشرعية.....146
3 – (الظلم).....147
تعريف الظلم.....147
أولًا: الكلام على الظلم الأكبر.....148
نصوص في الظلم الأكبر (المخرج من الملة).....148
ثانيًا: (الكلام على الظلم الأصغر).....150
نصوص في الظلم الأصغر.....150
أنواع الظلم عمومًا.....150
القسم الأول:(ظلم العبد لنفسه - ظلم أكبر-).....151
القسم الثاني: ظلم العبد للناس - بينه وبين الناس -.....152

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القسم الثالث: (ظلم العبد لنفسه بالمعاصي).....152
القاعدة الثانية: ((كل ما سماه اللهُ ورسولُه شركًا فيجب أن نسميَه شركًا سواء أكان من الشرك الأصغر أو من الشرك الأكبر)).....155
المسألة الأولى:(معنى القاعدة).....155
المسألة الثانية:(أدلة هذه القاعدة).....155
الدليل الأول.....155
الدليل الثاني.....156
الدليل الثالث.....156
الدليل الرابع.....156
الدليل الخامس.....157
الدليل السادس.....157
المسألة الثالثة:(تطبيق هذه القاعدة).....158
مثال (1):.....158
مثال (2):.....158
القاعدة الثالثة:((من أثبت وسائطَ باطلةً بين الله والخلق فقد أشرك)).....161
المسألة الأولى:((معنى القاعدة)).....161
سؤال: لماذا قيدنا "بالوسائط الباطلة"؟.....162
الوسائط تنقسم إلى قسمين.....162
القسم الأول:(وسائط حق بين الله وخلقه).....162
القسم الثاني:(وسائط باطلة).....163
المسألة الثانية:(ما المقصود بالشرك في هذا الأصل؟).....164
المسألة الثالثة:(الأدلة على هذه القاعدة).....164
لدليل الأول.....164
الدليل الثاني.....165

الدليل الثالث.....165
المسألة الرابعة:(التطبيق العملي للقاعدة).....166
تطبيق (1): (شبهة وجوابها).....166
الجواب عن هذه الشبهة:.....168
القاعدة الرابعة:((كل عمل ثبت بالشرع أنه عبادةٌ، فصَرْفُه لله: توحيد، وصَرْفُه لغير الله على الوجه الذي لا يليق إلا بالله: من الشرك الأكبر)).....175
المسألة الأولى:(معنى هذه القاعدة).....175
المسألة الثانية:(ما الدليل على هذا القاعدة؟).....176
الدليل الأول.....176
الدليل الثاني.....177
الدليل الثالث.....177
الدليل الرابع.....179
المسألة الثالثة: (فائدة القيد المذكور _على الوجه الذي لا يليق إلا بالله_)).....184
المسألة الرابعة:((تطبيق على فائدة القيد المذكورعلى ـ الوجه الذي لا يليق إلا بالله ـ على "أنواع الاستغاثة")).....185
أقسام الدعاء.....185
القسم الأول:(دعاء الحال).....185
القسم الثاني:(دعاء مقال).....185
الفرق بين الدعاء والاستغاثة.....187
أنواع الاستغاثة.....188
القسم الأول:(استغاثة توحيدية).....188
صور من الاستغاثة التوحيدية.....188
القسم الثاني:(استغاثة مباحة بشروط).....190
إليك بعض الأدلة على هذه الاستغاثة.....190

أولًا:(الأدلة الخاصة) 191
الدليل الأول 191
الدليل الثاني 191
الدليل الثالث 192
الدليل الرابع 193
ثانيًا:(الأدلة العامة) 194
الدليل الأول 194
الدليل الثاني 194
شروط استغاثة المخلوق بالمخلوق 195
أولًا: شرط "الحياة" 195
ثالثًا: شرط "القدرة" 196
حكم الاستغاثة بالملائكة، فهم أحياء، حضور، يمتلكون القدرة 196
القسم الثاني: (استغاثة شركية 199
(المسألة الخامسة) تطبيق القاعدة على الاستعاذة 200
تطبيق القاعدة على النذر 201
القاعدة الخامسة: ((مَن اعتقد في غير الله ما لا يُعتقد إلا في الله فقد أشرك شركًا أكبر)) 204
المسألة الأولى:(معنى هذه القاعدة) 204
المسألة الثانية:(أدلة القاعدة) 205
الدليل الأول 205
الدليل الثاني 206
الدليل الثالث 206
المسألة الثالثة:(تطبيق القاعدة) 207
تطبيق (1): 207

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تطبيق (2): 208
القاعدة السادسة ((من اعتقد في سبب لم يدلَّ عليه شرع ولا قدَرٌ فقد أشرك: إن اعتقد فيه السببية فقد أشرك شركًا أصغرَ ـ على قول ـ، وإن اعتقد أنه الفاعل بذاته فقد
المسألة الأولى:(الخلاف في هذا الضابط)..... 211
المسألة الثانية:(معنى الضابط)..... 211
المسألة الثالثة: (العلاقة بين السَّبَب والمُسَبَّب، وطرائق معرفة السبب)..... 213
ثانيًا: ربط الأسباب بالمُسَبَّبات..... 213
ثالثًا: طرائق معرفة الأسباب، من حيث سببيتها في وجود المُسَبب..... 215
أمثلة على معرفة الأسباب بالشرع..... 215
أمثلة على معرفة الأسباب بالقدر ـ التجربة المُعتبَرة ـ..... 217
المسألة الرابعة :(أقسام الناس في الأسباب)..... 218
الطائفة الأولي:(أهل الشرك)..... 218
الطائفة الثانية:(أهل الإعراض عن الأسباب)..... 218
الطائفة الثالثة:(نُفاة تأثير الأسباب بالكلية)..... 219
الطائفة الرابعة:(القدرية)..... 221
طوائف القدرية الثلاث (هامش)..... 221
الطائفة الخامسة..... 222
الطائفة السادسة:(مذهب أهل الحق: أهل السنة والجماعة)..... 222
المسألة الخامسة:(ما الدليل على هذا الأصل)..... 224
الدليل الأول..... 224
الدليل الثالث..... 225
الدليل الرابع..... 225
المسألة السادسة:(تطبيق لهذا الأصل)..... 228
تطبيق على "الاستسقاء بالأنواء"..... 228

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سؤال: ولماذا سُمي النَّوْء بهذا الاسم؟.....229
(علاقة النَّوْء بنزول المطر).....231
(تنبيه مهم).....232
أحوال الناس في الاستسقاء بالأنواء: (الحال الأولي).....233
(الحال الثانية).....233
(الحال الثالثة).....233
(الحال الرابعة).....233
(الحال الخامسة).....235
((الترجيح)).....235
تطبيق (2): 236
الضابط السابع: ((الأصل في لفظ (الشرك) إذا أُطلق في النصوص الشرعية معرَّفا بـ (أل) أن يُحمل على الشرك الأكبر، وإذا كان نكِرة حُمل على الشرك الأصغر)).....238
المسألة الأولى:(الخلاف في هذا الضابط).....238
المسألة الثانية :(معنى هذا الضابط).....238
(تنبيه).....239
المسألة الثالثة:(دليل هذا الضابط).....240
المسألة الرابعة:(تطبيق الضابط).....241
تطبيق (1):.....241
(تنبيه).....241
تطبيق (2): 242
تطبيق (3): 243
(تنبيه).....243
(إشكال وجوابه).....244

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الضابط الثامن: ((الشرك الأصغر يمكن أن ينحدر تحت الشرك الأكبر بالقلب والنية)) 248
أولًا:((معنى هذا الضابط 248
المسألة الثانية:(تطبيق على هذا الضابط) 248
تطبيق (1): 248
الضابط التاسع: ((الأشياء التي يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر)) 251
أولًا:(معنى هذا الضابط) 251
دلالات التفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر 251
الدلالة الأولى :(دلالة التصريح) 251
تطبيق (1) 251
تطبيق على الشرك الأكبر 251
تطبيق (2) 252
تطبيق على الشرك الأكبر 252
تطبيق (3) 252
تطبيق على الشرك الأصغر: 252
الدلالة الثانية:(فَهم الصحابة) 253
تطبيق (1) 253
الطيرة شرك 253
تطبيق (2) 254
الدلالة الثالثة:(لو كان سبب لم يدل عليه شرع، ولا قدر واعتقد فيه السببية) 254
تطبيق (1) 255
من علق تميمة فقد أشرك 255
تطبيق (2) 255
الرقى والتمائم والتولة شرك 255

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدلالة الرابعة:(وجود الكفارة يدل على أن الشرك أصغر).....255

تطبيق (1).....255

الدلالة الخامسة:(لو أتى لفظ الكفر أو الشرك معرّفا بأل) 256

تطبيق (1).....256

تطبيق (2).....256

الدلالة السادسة:(دلالة النصوص الأخرى) 257

الخاتمة.....260

فهرس المحتويات.....262

((صَدَرَ للمؤلف))

مصنفات في العقيدة:

1 – أسئلة مُشكِلة في القدر.

2 – قواعد تأصيلية في توحيد الألوهية.

3 – متن:"**أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله –تعالى–**".

4 – شرح متن:"**أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله –تعالى–**".

5 – مختصر شرح:"**أصول أهل السنة والجماعة في صفات الله –تعالى–**" سؤال وجواب.

6 – أصول الفرق المخالِفة لأهل السنة والجماعة في الصفات.

7 – مذكرة في الإيمان.

8 – المختصر في مسائل القدر.

9 – أصول أهل السنة والجماعة في أسماء الله –تعالى–.

10 – شرح العقيدة الطحاوية.

11 – شرح أصول السنة (للإمام أحمد).

12 – الاستسقاء بالأنواء (حكم قول: مُطِرْنا بنوء كذا وكذا).

13– حكم الاحتفال والتهنئة بالكريسماس.

14 – تلخيص التأصيل في قواعد التكفير –عند أهل السنة–.

15 – المغني المفيد في علم التوحيد (متن جامع لعقيدة أهل السنة والجماعة).

16 – حكم طلب المدد من غير الله.

17 – تحرير مذهب أبي حنيفة –رحمه الله– في الإرجاء.

ومن المقالات والأبحاث العقدية:

18 – الجواب عن إشكالية "**النفي المفصل والإثبات المجمل في نصوص الصفات**".

19 – الفرق بين الشرك والكفر.

20 – هل كان اعتقاد مشركي الجاهلية في الربوبية صحيحًا.

21 – الرد على فرية "تقسيم التوحيد بدعة".

22 – هل ثبت عن البخاري تأويل الصفات؟ –والرد على هذه الفرية.

23 – الألفاظ المتعلقة بصفات الله تعالى.

الفرق والطوائف:

24 – ماذا تعرف عن النصيرية؟

25 – تبصير الأمة الإسلامية بحقيقة البابية البهائية.

ومن المقالات:

26 – إشكالية لفظ "مرجئة الخوارج" !!

في الفقه:

27 – مسائل فقهية مهمة يكثر السؤال عنها.

28 – الجامع المحرَّر في أحكام عاشوراء والمحرم.

29 – تحرير المسائل والأقوال في صيام الستة من شوال.

30 – المعونة في حكم إخراج زكاة الفطر معكرونة.

31 – علامات القول الفقهي الشاذ– بين التأصيل والتطبيق.

32 – اللمعة في حكم اجتماع العيد مع الجمعة.

33 – خلاصة الكلام في إفراد السبت بالصيام.

34 – حكم الصيام بعد منتصف شعبان.

35 – حكم الصيام في شهر رجب.

36 – هل يجوز للمرأة أن تصوم الستة من شوال قبل قضاء ما عليها من رمضان؟

37 – فتح المجيب في حكم صلاة التعقيب –هل صلاة التعقيب بدعة؟

38 – القول المبتوت في حكم صلاة الجمعة في البيوت.

39 – الاختصار في أحكام الانتحار.

40 – أحكام فقهية مهمة لقارئ القرءان في شهر رمضان.

41 – حكم الجمع بين الاضحية والعقيقة.

42 – أحكام زكاة الفطر (شرح عمدة الأحكام) تعليق وتحقيق.

43 – مختصر أحكام الصيام بالدليل والبرهان.

ومن المقالات الفقهية:

44 – هل كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يصوم شعبان كله؟

45 – حكم التوسعة على الأهل والعيال في يوم عاشوراء.

46 – هل يجوز للمريض الجمع بين الصلاتين؟

47 – حكم وضع جوزة الطيب على الطعام.

48 – حكم الصيام قبل رمضان بيوم أو يومين.

49 – حكم مشاركة المسلم في تشييد معابد غير المسلمين.

50 – حكم الأضحية عن الميت.

51 – سلسلة: مباحث في الإجهاض.

52 – حكم تولي المرأة القضاء.

53 – حكم وهب ثواب قراءة القرءان للميت؟

54 – حدود النظر للمخطوبة –من تريد خطبتها–.

55 – حكم طلاق السكران، ومن يتعاطى مخدرات.

56 – حكم صلاة الغائب.

57 – حكم تعزية الكافر.

أصول الفقه:

58 – شرح متن الورقات.

59 – القواعد الأصولية بين التأصيل والتطبيق.

60 – الخلاف في عموم المقتضى –تأصيل وتطبيق.

ومن المقالات:

61 – فائدة أصولية "بين الجمهور والظاهرية".

الفقه المذهبي:

62 – مقدمات في مذهب الشافعية.

63 – مقدمات في مذهب الحنابلة.

64 – فقه الأضحية (شرح متن الغاية والتقريب).

65 – فقه الأضحية (شرح متن "الياقوت النفيس").

فقه الحديث:

66 – شرح كتاب الصيام (شرح عمدة الأحكام).

67 – شرح كتاب الأطعمة من (بلوغ المرام).

ومن المقالات:

68 – معنى المشاحن في حديث "النصف من شعبان"

مصطلح الحديث:

69 – شرح المنظومة البيقونية.

70 – شرح نخبة الفكر.

ومن المقالات:

71 – تخريج حديث: "إذا انتصف شعبان فلا تصوموا".

72 – تخريج حديث: " من وجد سعة ولم يضحي....".

73 – سماع الحسن عن سمرة.

74 – الفرق بين قول البخاري: (فلان فيه نظر)، و(فلان في إسناده نظر).

الرد على الشبهات والمخالفات والأخطاء

75 – نقض أساس من يريد التسوية بين الرجل والمرأة في الميراث.

76 – الرد على شبهات مَن أباح الموسيقى والأغنيات.

77 – حكم تمثيل الأنبياء في الأعمال الفنية.

78 – القول الجلي في الاحتفال بالمولد النبوي.

79 – هل المواظبة صيام العشر الأُول من ذي الحجة بدعة؟

80 – عيد الأم- بين الوهم والحقيقة.

81 – مخالفات تقع فيها النساء.

82 – مخالفات يقع فيها الرجال.

83 – رسالة إليك أخي التاجر!

84 – من أول من احتفل بالمولد النبوي

85 – (ردًا عن المفترين) الدرر البهية من حياة ابن تيمية.

الرقائق:

86 – كيف أخشع في صلاتي؟

87 – مكايد الشيطان.

88 – كنوز مهجورة.

89 – أسباب الفرح في رمضان.

90 – خدعوك فقالوا.

91 – "100" سبب لمغفرة الذنوب.

92 – حوار مع مسلمة.

93 – كيف أتدبر القرآن؟

94 – رسالة لكل مريض: (لا تحزن).

95 – فضل تلاوة القرآن.

96 – فضل المطر في القرآن والسُّنة.

97 – رقائق رمضانية.

98 – فضل شهر الله المحرم.

99 – حكمة اليوم.

100 – روائع القصص.

101 – الردود المفحمة.

102 – طرائف.

ومن المقالات:

103 – تعلمت من قصة إبراهيم –صلى الله عليه وسلم–.

104 – علمني عاشوراء

105 – ما الحكمة من استحباب الإكثار من الصلاة على النبي –صلى الله عيه وسلم– يوم الجمعة؟

106 – ثمرات وحِكَم صيام الأيام الستة من شوال.

في التفسير:

107 – تفسير آية الكرسي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

108 – تفسير سورة الفاتحة.

109 – لطائف قرءانية

وغير ذلك بحول الله وفضله [1].

(1) ـ غالب هذه الكتب: ما بين مطبوع ورقي، أو ألكتروني، وهو متوفر على الشبكة العنكبوتية، ومنها قلة ما بين (تحت الطبع والتجهيز، أو عندي حتى ييسر الله ظهورها)، وأما المقالات فجلها موجود ومتوفر على الشبكة العنكبوتية، والله الموفق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب